ابو العلاء المعري

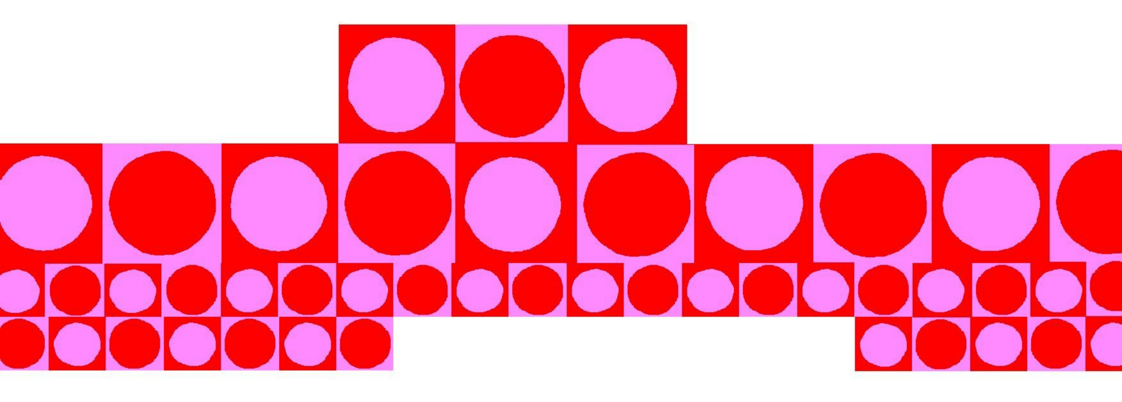
المنتخب من اللزوميات

نقد

الدولة والدين والناس

اختاره و قدم له بدراسة عن المعري

هادي العلوي



مركز الابحاث والدراسات الاشتراكية في العالم العربي

المنتخب من اللزوميات

نقد

الدولة والدين والناس

المنتخب من اللزوميات

نقد
الدولة والدين والناس

اختاره و قدم له بدراسة عن المعري

هادي العلوي

مركز الابحاث والدراسات الاشتراكية في العالم العربي

ص. ب: ٧٣٦٦ دمشق، ٧٠٢٥ نيقوسيا، ١١١

تلكس NAHJ 412410 SY

الطبعة الأولى
١٩٩٠

فاتحة

اللزوميات أو لزوم ما لا يلزم هي ديوان لابو العلاء احمد بن عبدالله المعري التنوخي بناه على قافيتين وسمي لذلك لزوم ما لا يلزم، اذ اللازم في العروض هو قافية واحدة يختم بها البيت وتتكرر في بقية الابيات. وعلى هذا جرت كل نصوص الديوان. وقد حمله عليه مزاجه الخاص به في تحمل ما لا يتحمل سواه من التزامات كالعزوية وعدم أكل اللحم والاسراف في البساطة.

واللزوميات هي احد ديوانين فلسفيين ثانيهما بعنوان: «استغفر واستغفري» ويتألف من عشرة آلاف بيت روعيت فيها القافية الواحدة. وهو من كتبه المفقودة. ويقول المؤرخون الذين اطلعوا عليه انه على غرار اللزوميات في المضمون أي انه يحمل افكاره بخصوص الدين والسياسة وامور الحياة والوجود. ولابو العلاء ما بين ٥٥ و٦٧ كتاب فقد معظمها في اجتياح البيزنطيين لمعرة النعمان بعد وفاته بزمن واحراقهم مكتباتها ومنها

مكتبته الشخصية التي كانت في منزله وتضم مخطوطات فريدة لمؤلفاته. وقد ضيعت علينا هذه الهجمة البيزنطية تراث هام لواحد من اعلام مثقفينا.

مذاهب المعري الفلسفية تؤخذ رئيسياً من لزوم ما لا يلزم. أما ديوانه الآخر الذي وصلنا وهو «سقط الزند» فيتألف من شعره الخالص وليس فيه إلا القليل من النظرات الفلسفية. وقد بث في كتبه النثرية بعض افكاره التي في اللزوميات واهمها «رسالة الغفران»، «الصاهل والشاحج»، و«الفصول والغايات». وتختلط في هذه الكتب موضوعات الادب واللغة والفكر ويغلب عليها الاسهاب والاستطرادات. وللاولين طبعة علمية وافية الشروح اجرتها الكاتبة الكبيرة بنت الشاطىء. أما الاخير فطبع الجزء الاول منه، وهو الوحيد المتبقي منه، بعناية محمود حسن زناتي عام ١٩٣٨ في القاهرة. والطبعة مضبوطة ولو انها اقل شرحاً من الكتابين الآخرين.

طبعت اللزوميات عام ١٩١٥ في القاهرة باعتناء امين عبد العزيز الذي ارفقها بشروح مبتسرة لا تغني. وهذه الطبعة هي المتداولة اليوم ولكن في اوساط المعنيين بالادب القديم على الاكثر. واللزوميات لوعورة الفاظها لاتزال اقل انتشاراً بما لا يقاس من بقية دواوين الاقدمين التي تحظى بالرواج بين عامة المتعلمين وليس الادباء وحدهم. ومسؤولية ذلك تقع على صاحبها الذي حصنها بالمعمّى والمجهول فجاءت عسيرة القراءة لاسيما على القارىء المعاصر.

وفي خطة تهدف لاعادة اللزوميات الى الناس صنعت هذا المختار منها. وقد قصرته على الامور التي تهم المعاصرين ويتشوفون اليها بقطع النظر عن زمانها ومكانها، فأخذت من الديوان ما يحتوي على نقد للدين والدولة والمجتمع مع ما يلحق ذلك من آراء حول الطبيعة والحياة ونظام العالم. وبالجملة: ما تتألف منه فلسفة هذا المثقف الكبير في جانبها الاكثر

اشراقاً. ويقع المختار في حوالي الف بيت. وأنا أعلم ان هذا الاختيار لن يحسم مشكلة التواصل الكامل مع النصوص بسبب وعورة اللغة. وقد خطرت لي خاطرة للتصرف في المفرادت الغريبة بوضع ما يقابلها من مفردات مفهومة للمعاصرين من نفس النص بدلاً من المفردات الاصلية. ولاضرب هذا المثال من اللزوميات:

وما ادب الاقوام في كل بلدة   الى المين إلا معشر ادباء

هذا البيت غير مفهوم. ومضمونه الهام جداً يقتضي ان يتلقاه القارىء الحديث دون واسطة. فيأخذ مثلاً هذه الصيغة:

وما وجه الاقوام في كل بلدة   الى الكذب إلا معشر ادباء

وهذه الصيغة ركيكة ولا تعكس اسلوب اللزوميات لكنها تنقل الفكرة الى القارىء بصورة اسهل وافضل. ولتلافي الاشكال يمكن ان نكتب الصيغة الاصلية وتحتها المحورة. وهذه كما قلت ليست اكثر من خاطرة وتطبيقها ليس سهلاً لاسيما في اللزوميات. وانما مرت على الذهن كأمنية لكثرة ما مررت به من النصوص الشعرية الهامة عند المعري وغيره والتي تستحق ان تنتشر بين جمهرة القراء فيمنع منها وعورة مفرداتها.

مهما يكن فقد مشيت على المتبع في شرح المفردات بعد ايراد النص. وفي محاولة لتقريبه الى القارىء وضعت لكل ما اخترته عنواناً مستمداً من مضمونه. كما اني وزعت المختار على ابواب حاصرة لكل مجموعة متماثلة من النصوص. وختمتها بباب يحتوي على شوارد اللزوميات ونوادرها.

اللزوميات في اغلبها مقطعات أو قصائد غير مطولة. والكثير منها لا

يلتزم بموضوع واحد، فالمعري فيها لا يراعي تسلسل منظوماته بخلافه في سقط الزند. وكثيراً ما يفاجىء القارىء بالفكرة دون ان يمهد لها ومن دون ان تكون لها صلة بما قبلها أو بعدها، وكأنه يسترقها من الرقباء، أو يتذكرها في اللحظة فيدسها في المنظومة ثم يمضي بعيداً عنها. وربما ختم بها منظومة بطريقة تبعث على الاعتقاد انها كتبت لاجل البيت الاخير. وفي اختياري لهذه النصوص لم اتابع المعري في عشوائيته هذه لئلا اربك القارىء بأمور متروكة للباحثين في اسلوب اللزوميات. واكتفيت بالتقاط ما احتوى على فكرة نقدية في القضايا التي ذكرتها اعلاه. أما اللزوميات المتسلسلة وذات الموضوع الواحد فقد اثبتها كلها أو معظمها. والكثير من هذه مقطوعات من بضعة أو عدة ابيات والقليل منها قصائد.

قدمت لهذا المنتقى من شعره الفلسفي بدراسة عنه: مفكراً تنويرياً ومثقفاً من طراز خاص، شغلت القسم الاول من هذا الكتاب. والقسم الثاني مخصص للمختارات مع ما يلزمها من شروح وتعقيبات..

١٤١٠ هـ - ١٩٨٩ م هادي العلوي

تنبيه: جريت في هذا الكتاب على طريقتي في النحو الساكن الهادف الى تيسير اللغة وتقريبها من لغة الكلام دون الاخلال ببنيتها الاساسية.

القسم الاول

ابو العلاء المعري

مع توطـد المجتمـع الاسلامي باقتصاده المديني ـ التجاري ، الذي ربط المدن الاسلامية مع بعضها ومع الخارج، كان الفكر الاسلامي ينشط متساوقاً مع النمو في المجالات الاخرى، ومن خـلال الصراع الذي استعر مبكراً بين الفئات والطبقات الاجتماعية المختلفة.

وللفكر الاسلامي جذور تبتدي من القرآن ـ كتاب العرب الاول، وبمعيار اوسع : كتاب الحضارة الاسلامية الاول. والحضارة الاسلامية من طراز الحضارات المثقفـة، وهـو طراز محدود بين الحضارات القديمة يضم رئيسياً حضارة الصين والاغريق والهند. ويتصل الفكر الاسلامي من جانب بالمنطق السجالي للقرآن، ومن جانب آخر بالصراع الاجتماعي الذي اشرنا اليه. وقد اتسمت فعاليته الاولى، التي ترجع الى عهد الخليفة الراشدي الثالث، بسمة معارضة ذات منحى سيا ـ عسكـري استهـدفت اول الامر الخليفتين الثالث والرابع ثم الخلافة الاموية في لحـظة اعلانها. ويكشف تاريخ نشأة الفرق والمدارس الفكرية في الاسلام عن الاصول السياسية لنشأة أي فرقة أو مدرسة. مما يفسر بدوره تلك الضراوة التي جابه

بهـا الامويين نشاطات الفرق حتى في منحاها الالصق بالفكر؛ حيث كان القتل نصيب النسبة الاكبر من مؤسـسي علم الكلام .

تطور الفكر الاسلامي في شعاب متباينة . فكان هناك الفكر الديني الخالص لاهـل الحـديث والمفسرين والفقهاء. والى جانبه الاستذهان الديني المعقلن. والقائم بهذا اللون من الاستذهان هو علم الكلام . ومن علم الكلام انبثقت الهرطقة بتـلاوينهـا الشتى، التي دفعت حراس العقيدة الى الاعلان ان من طلب الدين بالكلام ألحد . ثم ساعد الاتصال بالفكر اليوناني على ظهور المذاهب والاتجاهات الالحادية في اوساط الفلاسفة كما في اوساط المفكرين من سائر الاصناف .

والفكر الاسلامي ، شأن أي فكر آخر في أي من الحضارات المثقفة، هو فكر خلافي، غير منمّط ويتعذر ادغامه في وحدة تامة الانسجام . ولا يتيسر لهذا السبب تصنيفه في منظومة متمايزة يقال عنها انها هي الفكر الاسلامي دون غيرها، أو يُستنـد اليهـا للحـديث عن خواص نوعية يفترق بها عن سواه في الحضارات الاخرى. فالاسلام يشترك مع اوربا القروسطية في ممارسة الايمان الديني الخالص والفكر الديني المعقلن. والفكر الفلسفي في الاسلام متباين وله مدارس متنوعة كما هو الحال في سائر الحضارات . وتبايناته الشقاقية كثيرة الشعب وذات طبيعة توالدية مكثار. ونجد في الحضارة الاسلامية هرطقات ومذاهب الحادية كتلك التي نجدها بالخصوص لدى اهل الصين والاغريق واوربا القروسطية في طورها الرشدي، مع تميز بكثـافـة الحضـور، مشتـرك مع اوربـا القـروسـطية، ناتج عن وجود الدين السماوي. والاديان السماوية اكثر تسبيباً للصراع الفكري بنتيجة الطبيعة الخاصة لبنيانها اللاهوتي المستند الى الوحي.

وتباين الفكر الاسلامي ناشىء من تباينات شتى :

١ ـ في الوضع الاجتماعي لافراد المفكرين. فالانسان ابن بيئته الاجتماعية بمركباتها المعبرة عن الطبقة أو الفئة، كما عن المعشر community والاسرة. .

٢ ـ وفي تعدد مصادر الفكر الخارجية والمحلية. وهو سبب هام في اختلاف

الافكار لانها توفر المادة الاساسية للتفكير الذي يخلق الافكار من مادته المتباينة هذه وليس من العدم أو الواحد.

٣ ـ وفي مزايا الافراد ومواهبهم وخياراتهم الواعية. والفكر في النهاية هو نتاج صاحبه، الذي تتكرس فيه اوضاعه كذات مفكرة.

٤ ـ وفي المناشىء التعليمية للفرد، فمن هذه يتخرج رجل الدين ان كانت دينية والفيلسوف ان كانت فلسفية. وقد يتفارق الشقيقان بسبب المعلم فيتفلسف احدهما ويتدين الآخر.

هذه العوامل تؤثر منفردة أو مجتمعة، كما تتفاوت في درجة التأثير. ومن حيث الوعاء المحيط للفكر، تطور الفكر الاسلامي، كما اشرنا، مع اتساع المجتمع الاسلامي. ونظراً لقيام هذا المجتمع على اقتصاد مديني في الاساس، فقد ساعد على توجه مفكريه الى المباحث المعقدة التي الجأتهم الى استخدام منطق معقد هو المنطق اليوناني. وهذا المنطق نشأ في بيئة امصارية/ تجارية مماثلة ـ مما لا نجد له سابقة في هذه البقاع لقصور تطورها الاقتصادي في الاطوار التي سبقت طور الحضارة الاسلامية، ولا في الصين والهند حيث البيئة الزراعية هي الغالبة.

ورغم ان الفكر الاسلامي ولد مكبلاً بالدين، فان وجهته السجالية وفرت له وتيرة نمو كافية لاخراجه من دائرة التقليد. وهذه العناصر كما قلنا مدينة لبيئتها الصراعية. وهي مع ذلك ذات جذور تصل الى عمق المنشأ. وقد اشرت في البدء الى المنطق السجالي في القرآن الذي دعا الى التأمل والتفكر وندد بالتقليد (مما جعل الاصوليين فيما بعد يقولون بعدم جواز اخذ الدين بالتقليد رغم اقرارهم انه يؤخذ بالوراثة: الولد عن الوالد) ومن المحفزات القوية في هذا المقام تناقضات بعض النصوص القرآنية واحتواء القرآن على المتشابه، أي الآيات التي يحتاج فهمها الى التأويل. وفي القرآن ايضاً اعتداد بالحكمة والعقل ينم عن الاتجاه الى جعل التعلم من مقومات شخصية المسلم. وهكذا تزامن الفكر مع الدين منذ البدء وتطورا في خطين متوازيين شغلت بهما العصور الاسلامية حتى نهايتها.

انفتاح كوى التفكير للمسلم منذ البدء كان من الامور المساعدة في التجاوز. وباحتساب العوامل الاخرى التي ساهمت في تكييف الفكر الاسلامي يمكن ان نفهم تبلور تيار تنويري يبدأ مبكراً على يد المتكلمين الاوائل ويستمر فاعلاً طيلة العصور الاسلامية. وهو تنويري بمقدار ابتعاده عن الدين. وانما يتطور الفكر البشري عبر النضال ضد اليقينيات التي هي جوهر الدين وأي منظومة اديولوجية اخرى. وقد اخذ الابتعاد عن الدين في الاسلام اشكال مختلفة نرجىء البحث عنها الى كتابنا المكرس لتاريخ التنوير في الاسلام ونود الاشارة الآن الى ان هذا التيار التنويري لم يقتصر على حقبة معينة ولا موقع جغرافي معين، وان كان قد نضج بعد الاطلاع على الفلسفة اليونانية في غضون القرن الثالث الذي اخرج لنا مقامات الحادية في غاية التبلور تمثلت في ابراهيم النظّام وابن الراوندي وابو بكر الرازي وغيرهم. ولم يخلو قرن لاحق من معبرين عن هذا التيار، فلاسفة كانوا أم متكلمين أم ادباء أم متصوفة. والفلسفة نقيض تأريخي للدين. ويصعب لذلك اعتبار أي من فلاسفة الاسلام مؤمن بالمقاس التقليدي. وهو ما يصدق على اقطاب المتصوفة الذين خاضوا غمار التفلسف. اما علم الكلام فهو مزيج من اللاهوت والفلسفة اللذين كانا يتجاذبان المتكلم فتنحو به الفلسفة نحو الالحاد أو الهرطقة على الاقل (مثال النظّام وابن الراوندي) أو ينحو به اللاهوت نحو السلفية (مثال ابو الحسن الاشعري). أما الادباء فهم ابعد عن التفلسف نظراً لطبيعة نشاطهم القائم على الخيال الفني. لكن ادباء العصور الاسلامية كانوا في جملتهم مثقفين، لاسيما الذين نشأوا في المدن الكبرى، واظهر الكثير منهم نزعات الحادية سوف نتناولها في حينها.

والآن الى أي صنف من هؤلاء ينتمي ابو العلاء المعري؟

المعروف عنه انه شاعر وقد خاض الكثير من اغراض الشعر التقليدية كأي شاعر، فوصف ومدح وافتخر ورثى. وافتخاره من نزوات الشباب، (هذا الفخر ينقلب في اللزوميات ـ شعر الكهولة والشيخوخة الى تقريع للذات ليس من السهل

صدوره عن شاعر) ومدحه كان في معظمه من نمط الاخوانيات. وما يتضمنه من مدائح قليلة لبعض الامراء فهو من باب التقية. وسيأتي انه كان يتملق ارباب السلطة ليس ليكسب منهم ولكن ليتقي شرهم.

لا إنكار ان المعري شاعر. هذا ما يتفق عليه الاقدمين. وهو كذلك بمعيار الحداثة الادونيسي. والمعري عند أدونيس شاعر حقيقي. وبهذا الصدد يمكن تصنيف الشعراء العرب الاسلاميين الى صنفين: الاول شاعر شاعر والثاني شاعر مفكر. ومن الصنف الاول معظم الشعراء المعروفين كالفرزدق والاخطل وجرير وبشار وابو نواس والبحتري وابو تمام والمتنبي. ومن بين هذا الصنف شعراء كان لديهم حظ وافر من الثقافة أو الوعي الاجتماعي اعطى لشخصياتهم الاجتماعية أو الشعرية معنى متميز يؤهل احدهم لتبوء موقع ما في الوسط السياسي والفكري. اذكر منهم مثلاً كل من الفرزدق وبشار بوعيهما المعارض/ مع تميز الثاني بثقافة ذات بعد فلسفي وكلامي اوصلته الى الاستخفاف بالدين. ويعرف ابو تمام والمتنبي بنفس القسط من الثقافة، وقد صنفهما بعض النقاد الاقدمين في عداد الحكماء من الشعراء. والحكمة متداخلة مع شخصية المتنبي، دون ابو تمام الهابط في سلّم القيم الانسانية والوعي الاجتماعي.

الصنف الثاني يصح، رئيسياً، على المعري. ويصعب العثور على مثال آخر في تاريخ الشعراء. وهذا لان المعري شاعر ومفكر في آن واحد. وبهذا المعيار لا يمكننا ان نعتبر شاعراً صاحب اختصاص ينظم بعض افكاره شعراً. ابن سينا مثلاً بقصيدته الجميلة عن النفس، أو الرازي بالبيتين المؤثرين اللذين كتبهما في آخر ايامه يتساءل فيهما عن مصيره بعد الموت. فهؤلاء فلاسفة خُلّص، وقدرتهم على النظم ـ وهي الى حد ما مشتركة في العلماء العرب ـ لا تجعل منهم شعراء بمعيار الحساسية الشعرية. والمعري يشاركهم التفلسف ويشارك الشعراء في حساسيتهم الشعرية. كتب شعراً حقيقياً يجعل منه شاعراً حقيقياً. وتوغل في التفكير فأضفى على نتاجه الشعري صبغة فلسفية عميقة. فهو شاعر بقيد الفكر ومفكر بقيد الشعر.

وفي كليهما كانت صفته نابعة من جوهر ممارسته. وانا اعطيه وصف المفكر الى جانب وصف الشاعر دون ان ابلغ به الى وصف الفيلسوف، لان فكره لا يرقى به في أي حال الى مرتبة الفلسفة الخالصة. فالشاعر مهما تفلسف يبقى مشدود لمزاجه الشعري فيتعذر عليه التمنهج وكذلك التمذهب. ولو انه يظل قادر على ان يعطي فكراً فاعلاً ومعقلناً حينما يشتمل على ثقافة محيطة.

والمعري متعمق في معارف زمانه من ادبي وفقهي الى علمي وفلسفي ويتمتع الى ذلك بموهبة كبيرة مكنته من الدمج بين هذه المعارف في موقف ثقافي لا يفتقر الى التكامل.

ومن هذه الثقافة بمركباتها المتفاعلة صنع لنفسه كيان متفرد يستند الى درجة خاصة من الوعي هي وعي الارادة. ان كثير من الناس يمتلكون نفس رصيده الوافر من الثقافة دون ان يستطيعوا الانتقال الى موقعه ليمارسوا من فوقه ارادتهم الخاصة بهم. ومعجزة الفعل الثقافي تكمن هنا؛ أي في ان يتجاوز المثقف ما خلق عليه في البدء لكي يعيد خلق نفسه. والمثقف اذ يصل الى ذلك لا يوافق على قيد المخلوقية. لا اعني انه يكون خالقاً لنصه الابداعي. فهذا متاح للكثير من البشر. انما كونه خالق لنفسه. وهذه القدرة المتعالية تنشأ لدى فريق من المثقفين في اطوار الحضارة الناضجة:

حالات يتجاوز فيها المثقف مجرد خلق النص الى خلق النفس، الى الخروج من صفة المخلوق السلبي المحكوم بقانون الحتمية ليصبح خالقاً بمفهوم الصفة الموجبة الخارجة عن حد السلب والمتمتعة بوعي الاختيار.

ومع بلوغ هذه المرتبة تنشأ لدى المثقف قوة خاصة يستطيع بها اعادة ترتيب الضرورات وفقا لمتطلبات الفكر. وفي طليعة ما يتحقق له بفضل هذه القوة السيطرة على الهموم اليومية التي تشغله عن التفكير أو تضع فواصل بينه وبين نصوصه. والشرط الاولي لذلك هو الخروج من قيد الامتلاك. وكان عليه مدار التصوف القطباني. وهو ليس مجرد شيمة من شيم الزهاد، لان المتصوف القطب مثقف بلغ مرتبة الخالق

التي يتجرد فيها من هواجس المخلوقين. والزاهد فرد متدين يتطلع الى العوض في الاخـرة. ان المثقف من هذه المـرتبـة يبحث عن سلطتـه بازاء سلطة الاغيار. والخروج عن سر الامتلاك رياضة اولية تهدف الى شطب الاحتياج للغير. وهو مؤدى قول المتصوفة ان المتصوف هو من لا تكون له حاجة الى احد: انسان كان أم إله. والمقصود في النهاية الاستغناء عن السلطان بما يكون المثقف قد وطده لنفسه من سلطة الثقـافـة. والسلطان ليس هو الحـاكم فقط، ولو انه مركز الصراع بالنسبة للمثقف، فهنـاك ايضاً مصادر تحدي لاختبار سلطة المثقف في مرحلة الخلق. وتتصل هذه عندهم بمطلبين اساسيين: السيطرة على الحاجة التناسلية، والخلاص من وهم الشهرة. وقد نظر المتصوفة الى الزواج على انه: «انحطاط من اوج العزيمة الى حضيض الرخصة». أي انه وهن في الارادة يدفع صاحبه الى الاستسلام ليقبل بالرخصة. والرخصة فعل من افعال السعادة الحسية يجوز اتيانه دون ان يترتب عليه اثم، وانما يثاب من اشاح عنه. ولا يدخل الزواج في هذا الحد، لانه سنة وليس رخصة. والسنة في الشرع ممارسة يثاب صاحبها على ادائها وتنقص من حسناته اذا تركها. واذ ينتقل الزواج من السنة الى الرخصة يصبح نقيض للارادة.. ومع التأكيد على مقاومة الزواج فلا شك ان مقاومة العلاقة الجنسية خارج مؤسسة الزواج هي مطلب اكثر الحاحاً.

مطلب الخلاص من الشهرة يعني ان يتخلى المثقف عن هاجس التمجيد لذاته. وتحسب الشهرة عندهم في عداد الشهوات، ومقاومتها من جانب المثقف في مرحلة الخلق هي مثل مقاومة حاجات الجسد الزائدة عما يتطلبه البقاء حياً. واعتبر ابو يزيد البسطامي هذا المطلب من اشراط الوصول الى رتبة القطبانية. وهو مرتبط عندي بمسألة استكمال سلطة الثقافة. ذلك ان بعض المثقفين بينما يمكن ان يتخلوا عن حاجـات الجسـد يفشلون في مواجهـة هاجس الشهـرة والمجـد الشخصي. وكثيراً ما تنفذ السلطة السياسية من هذا الباب لاستلحاق المثقف.

استطاع المعري بريادة معارفه العميقة المتنوعة تأصيل وعي الذات، وصولاً

الى وعي الاختيار الارادوي، ان يتكامل في هذا الموقع الذي شغله من تاريخ الثقافة الاسلامية، صانعاً لسلطة الثقافة واحد من اميز غراراتها. واذ قد تحقق له الاستغناء عن السلطة السياسية صار بمقدوره ان ينقدها نقد الند للند. وبتأثير وعيه الفلسفي وقف وقفة مماثلة من السلطة الدينية فانتقد الدين كاديولوجيا وشعائر وندد بسلوك المتدينين ورجال الدين. وبفضل افقه الواسع الذي ابتعد به عن التحزب لفئة، أو دين، أو امة كان بوسعه توجيه النقد لجميع فئات الناس من شتى الامم والملل وان يكون هجومه على الاديان شاملاً، فهو قد وصل الى القناعة بان الفساد ساري في جميع الامم وان الكذب مشترك بين جميع الاديان.

على ان وعي المعري بالاشياء هو وعي كوني. فالمفارقات التي بدت له في نظام المجتمع البشري قد رآها ايضاً في نظام الطبيعة. ان عدوان الانسان على الانسان يتكامل مع عدوانه على الحيوان، كما هو مع عدوان الحيوانات على بعضها. ومصدر هذه المفارقات واحد هو تلك القوة التي جعلت كل شيء في الوجود مسير لا مخيّر وحكمت بقانون القضاء الازلي على الافلاك والحيوانات والبشر ان تتحرك بغاية مجهولة نحو غاية معلومة هي الهلاك المحتوم للجميع.

هكذا يتداخل نقد الدين والدولة والناس والطبيعة في شمولية تسمح بجعل الاشياء في الوجود الطبيعي والاجتماعي موضع للسؤال. ان هذا المثقف الخالق لذاته الفكرية قد امتلك الحق في الاتهام بعد ان خرج هو بريئاً من محكمة النقد باثبات وعي الخلق ضد المخلوقية، بوصوله الى كنه الاشياء في رؤية صافية لا تكدرها الرغبة. فان تكدرت فبعوامل اخرى تأتي من خارجه. وسنسايره لنعرف كيف تعامل مع هذه الجملة الكبيرة من الاهداف التي اشتملت عليها لزومياته.

في نقده للدين دار على محورين:

الايديولوجيا

والسلوك الديني

نقد الدين كأديولوجيا يطال عنده: الالوهية ـ النبوة ـ مفردات اصول الدين والعقائد ـ والعبادات والشعائر.

في الالوهية يميل المعري الى انكار وجود الاله تارة والطعن بعدالته وحكمته تارة اخرى. هناك لزومية من ثلاث ابيات فُهمت على انها تعني انكار وجود الاله وهي:

قلتم لنا خالق حكيم	قلنا صدقتم كذا نقول
زعمتموه بلا مكان	ولا زمان الا فقولوا
هذا كلام له خبيءٌ	معناه ليست لنا عقول

تنفي هذه اللزومية وجود شيء خارج الزمان والمكان، أي خارج العالم. فلو تصورنا وجود اله فلا بد ان يكون داخل العالم وهو محال فلسفياً، لانه يقتضي اثبات الجهة، كما انه يقتضي اشتمال الاله على مادة حتى يصح له وجود داخل عالم مادي مشتمل على الزمان والمكان. وعندئذ يصبح الاله واحد من هذه الكائنات الداخلة في العالم. وهذا ابطال لمعنى الالوهية كمصدر للخلق مباين للعالم.

وفي لزومية اخرى ينظر الى الالوهية كافتراض ناتج عن الجهل بسر الخلق. يقول:

صنعة عزت الانام بلطف	وعزتها الى القدير العوازي

عزت الانام أي اعجزتهم عن معرفتها. ويشير بالصنعة الى العالم. ويشتمل هذا البيت على احد اهم الافكار الاساسية التي تعامل بها الفلاسفة مع منشأ فكرة

الاله. ولعل المعري اول من صرح بها اذ لم اجدها فيما اطلعت عليه من مذاهب فلاسفة الصين واليونان. أما في العصر الحديث فنجدها في الماركسية التي عرفت الدين بانه انعكاس وهمي للعالم، ناشيء من العجز، في الادوار المبكرة للوعي البشري، عن فهمه بطريقة علمية. وقد اعيدت صياغة الفكرة من جانب الشاعر العراقي المتفلسف جميل صدقي الزهاوي بالاستناد، كما ارجح، الى اللزوميات اذ لم يكن له اطلاع على الماركسية. قال الزهاوي يخاطب الانسان في بيتين من اطرف واعمق ما نظمه:

لما جهلت من الطبيعة سرها | واقمت نفسك في مقام معلل
صورت رباً تبتغي حلّاً به | للمشكلات فكان اعظم مشكل

ان انكار ابو العلاء لوجود الاله يتضح من هاتين اللزوميتين. وسنرى انه لا يزيد عليهما شيئاً أو يكرر مضمونهما بخلاف عادته في اللزوميات لاسباب سنبينها في حينها.

من المذاهب الفلسفية المنافية للدين القول بقدم العالم وعدم تناهيه، وبالتالي كونه غير مخلوق. لان القديم واللامتناهي ليس له بداية في الزمان والمكان خلافاً لحال المخلوق. وفي اللزوميات نصوص تصرح بقدم العالم واخرى بعدم تناهيه. من الاولى:

ومولد هذي الشمس أعياك حده | وخبّر لب انه متقادم

تبعاً للمشائية؛ الافلاك خالدة والعالم الازلي هو هذا العالم الذي تتوسطه الشمس، الازلية مثله، وحدوده هي حدود مجموعتنا الشمسية بعد ادخال النجوم الثوابت فيها. وفي الفلسفة الحديثة: الخالد هو المادة فقط دون الاجزاء المركبة منها. أما مجموعتنا الشمسية فهي مركبات غير خالدة من المادة الخالدة. وقد تناولت اللزومية ازلية العالم من خلال ازلية الشمس فأصابت في الكلي واخطأت في الجزئي

وعن عدم تناهي العالم ترد هذه اللزومية الجميلة:

ولــو طار جبــريل بقــية عمــره
عن الدهر ما اسطاع الخروج من الدهر

على ان القـول بأزلية العـالم لا يرتبط عند المشائين بانكار الالوهية وإنما يفضي الى الاصطدام بعقيدة الآخرة. فما هو ازلي لا يزول. أما عدم تناهي العالم فيتعارض مع التصور الديني له. فالعالم حسب الاديان السماوية محدود ومتناهي وهو ينتهي من اعلاه بالسماء السابعة التي يوجد فيها العرش. كما ان القول بعدم تناهي العالم يشوش عقيدة الخلق، اذ المخلوق متناهي: له بداية في الزمان وله مدى مكاني معلوم لا يمكن تجاوزه. وقد وقعت المشائية في تناقض حين قالت بعـدم تنـاهي العالم ونصت في نفس الآن على وجود محرك اول له. اذ وجود المحـرك يقتضي ان يكـون العالم مخلوق أي متنـاهٍ . ويبدو ان المعري تقبل مذهب ازلية العالم ولا تناهيه بدلالته المنافية للدين لا للالوهية. . وقد مر بنا انه اقتصر في تبيان مذهبه في الالوهية على لزوميتين مما يدل على ان مشكلة الالوهية لم تشغل باله كثيراً. وفي المقابل نجده يظهر اهتمام كبير بمسألة العدل الالهي. وهناك ميل واضح عنده الى انكاره باطلاق، مستنداً الى غلبة الشر والفساد على الطبيعة. وعندما نضع في الاعتبار الاقرار بفكرة الخلق سيكون الشر والفساد من مسئولية الخالق نفسه.

ويمشي المعـري على الايديولـوجيا السـائـدة بعـد ان يضع جانباً مذهبه الفلسفي في الالوهية، فيحمل الخالق، المعترف بوجوده في هذه الايديولوجيا، مسئولية هذا الخلل:

جبـلّة بالـفـــاد واشـجـة إن لامهـا المـرء لام جابلهـا

الجبلّة: الخلقة الطبيعية.

والله إذ خلق المعـادن عالم ان الحِداد البيض منها تُجعل
سفك الدماء بها رجال أعصموا بالخيل تُلجم بالحديد وتُنعل

لما كان الخالق عالم بما يخلق، فهو الذي زوّد الناس بالمادة التي يصنعون منها السلاح ليسفكوا به الدماء. ولا ترتفع المسئولية إلا بمذهب الفلاسفة القائل بان الله يعلم الكليات دون الجزئيات. يعني انه خلق المعادن دون ان يعرف لاي شيء تستعمل. وليس في اللزوميات ما يشير الى هذا القول لان الله فيها معروض كما في الاديان السماوية: لا يخفى عليه شيء.. ومنطلقاً من هذه المصادرة تساءل عن هذا العليم: كيف ترك الناس مهملين هكذا على الارض؟ تساؤل من ينكر العناية الالهية، التي يؤدي الى انكارها مذهب عدم العلم بالجزئيات نفسه. أما هو فاستند في انكارها الى المشاهدة الحسية؛ فالعالم لا يجري وفق مطلوب العدل والسلام وليس فيه موقع يستدل منه على اثر العناية. على العكس، هناك ما يدل على الانحراف في الحكمة الالهية. ففي «الفصول والغايات» نقرأ هذا النص: ما اعظم نعمك على المخلوقين! رُب نخيل جعلتها فى ملك بخيل الفقير عنده حقير والمسكين غير مكين. «١/ ٢٠. وفي ١/ ٣٦»:

ان ناقة وجملاً غبرا في الزمن هَمَلاً حتى اذا صار الجمل عوداً (مسن) والناقة ناباً (مسنة) لا تتبع ذوداً (قطيع الابل) سُلط عليهما رب مِدْية لا ينشط لاخذ فدية فنحرا بعلم الله والقدر وصُير لحومهما تقدر (تطبخ) وصُنع من جلودهما خفان مسح عليهما.

السخرية في النص الاول مكشوفة. أما النص الثاني فهو بريء في الظاهر لكنه في قياس من يحرم ذبح الحيوان تنديد خفي بحكمة الله وعدله وبالشعائر الدينية.

وفي لزومية على النون والسين يقول لو انه كان كلباً لادركته الحمية على جروه من ان يلقى ما يلقى الناس على الارض. وهذا التعريض يراد به ان الله لا يحس بآلام البشر.

وتـدخلنـا هذه النصـوص في باب نقـد نظام الطبيعة الذي سنتحدث عنه لاحقاً. ويعنينا الآن تأكيد ما قلناه من انه لا يعطي اهتمام كبير لمشكلة الالوهية وإنما لمشكلة العدل الالهي، وهذه تتعلق بدورها بالموقف من مصادرات الاديان السماوية التي يتجه في نقدها بعيداً عن مسألة وجود الخالق أو عدمه. وهنا نقف على اتجاه ربوبي ـ رازوي يتهم الانبياء بالكذب على الله في ادعائهم الوحي ويعتبر الاديان باطلة كلها. وفي اللزوميات دلائل يسوقها على مذهبه نجملها فيما يلي:

١ ـ **اختلاف الاديان:** ويتكرر الحديث عنه كثيراً في اللزوميات. ويترتب عليه ان مصـدرهـا ليس واحـداً، وإلا لمـا اختلفت، فاختلافها دليل على تعدد واضعيهـا. وهـذا الاختلاف يرده المتكلمون المسلمون الى النسخ الذي يتصل عنـدهم بقـاعـدة تغير الاحكام مع تغير الازمان. لكن المعري ينص على وقوع الاختلاف ليس في الاحكام وحدها بل وفي العقائد. وهذه لا يعمها النسخ.

٢ ـ **التعارض الشديد بين العقل والدين:** يقول في لزومية عن دعوة القرآن الى التفكير في الخلق:

وقـد أُمـرنـا بفكر في بدائعـه وان تفكـر فيه معشـر لحـدوا

ويُستخلص من اللزوميات ان استخدام العقل يؤدي الى الخروج عن الدين لا محالة.

٣ ـ **اكتشافه من قراءة الكتب المقدسة الثلاثة ان المسلمين اخذوا دينهم عن اليهود. وان اليهود كذبوا على الله:**

في لزومية رائية يرد هذا البيت:

كل الـذي تحكون عن مولاكم كذب اتـاكم عن يهـود يحبَّـرُ

مولاكم: ربكم. يهود، اليهود، يرد الاسم في النصوص الاسلامية معرف بال وغير معرف.

وهذه خلاصة مركزة لمقارنة محتويات الكتابين المقدسين نعتبرها مبكرة، اذ لم يتجه البحث العلمي الى استطلاع العلاقة بين الاديان السماوية الثلاثة إلا في

القرن الماضي*

٤ ـ تناقض النص الديني. وفيه يقول:

اخبــرتني بأحــاديث منــاقضــةٍ فرابنــي منــك قول غير متفق

وفي هذا القول رد على الآية ٨٢/ نساء: «افلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً». وقد رأى هو فيه اختلافاً كثيراً لم يكن بوسع معاصريه الجاهليين ادراكه لبساطة وعيهم.

٥ ـ ولاحظ اخيراً ان في الكتب المقدسة اخبار يكذبها الواقع. فقد تساءل في لزومية على الخاء والسين بعد ان ذكر رواية دينية تفيد ان بعض اليهود مسخوا قردة أو خنازير: لماذا لا نرى في هذا العصر وقائع مسخ مماثلة؟

ويرد المعري نشأة الدين الى مصالح فردية محدودة حيث يقوم بعض الاذكياء المحتالين بصياغة عقائد وشعائر تلف الناس حولهم وتمكنهم من استغفالهم ليكونوا سبب لجمع المال. وهذا من نمط التفسير البوليسي التآمري للتاريخ. وهو كما عرفناه حتى الآن لا يرى أي دور ايجابي للدين في التاريخ البشري اذا استثنينا ما ذكرناه من قبوله بالتعاليم الاخلاقية التي تتفق مع ميوله الشخصية ونهجه في العيش.

ويستند هذا التفسير الى اوضاع الوسط الديني كما عايشها بنفسه حيث الدين

---

* تخدم هذه الدراسات الحاجة الى تعرف منشأ الاديان الثلاثة. والعلاقة فيما بينها. إلا ان بعض الكتاب الغربيين أراد منها فقط نفي الاصالة عن القرآن/ في تجاهل لوحدة هذه الاديان التي انشأتها شعوب تنتمي الى اصل واحد وجغرافيا واحدة وعالم حضاري واحد. ويستفاد من آراء الغربيين في هذا الشأن ان العهدين القديم والجديد هما نتاج غربي خارج عن تخوم الحضارة السامية وان القرآن اقتُبس منهما بنفس الطريقة التي يقتبس فيها الشرق من الغرب. . . والحقيقة ان ثمة خط يبدأ باليهودية ويمر بالمسيحية وينتهي بالاسلام وهو خط سامي خالص في جغرافيته سبق لي ان جمعته في منحوتة اصطلاحية تضم الاطوار الثلاثة: اليهمسلامية.

وسيلة للكسب لا تختلف عن وسائل السوق الاخرى الرائجة. ولعله لم يجد ما يدعوه الى الاعتقاد بان السابقين افضل من اللاحقين لاسيما وان حوافز الناس متماثلة عنده مهما اختلفت ازمانهم واماكنهم.

واتهم المعري الاديان بالتسبب في الحروب والعداوات بين الناس. وهذه تهمة مستقاة كما يبدو من الرازي، الذي لا شك ان المعري قد قرأه بامعان. وبالنسبة للاسلام فان ما يعج به تاريخه حتى عصر المعري من صراعات دامية إنما نتج عن حروبه الاولى:

وان القتل في أحد وبدرٍ جنى القتلين في نهر وطف

نهر: يقصد معركة النهروان. والطف: معركة كربلاء.

ومن الثمرات المرة للحروب استرقاق النساء، وقد حدث وفقاً لاحكام النبوات، التي اباحت فروجهن للمقاتلين بمجرد ان يقعن في الاسر:

وهل ابيحت نساء القوم عن عُرُضٍ للعرب إلا باحكام النبوات؟

وهذه سنة غابرة في التاريخ واصلها الاسلام الذي اباح التسري، أي النكاح بدون مهور كما يسميه في لزومية اخرى على الراء.

واتهمها بالقيام على التفاوت الطبقي:

بالخلف قام عمود الدين: طائفة تبني الصروح واخرى تحفر القُلُبا

القلب: جمع قليب وهو البئر.

وادانها بسبب سماحها بالعبث بالحيوانات ناهيك عن اكلها. واختص الاسلام بالنقد في كتاب الصاهل والشاحج (ص ١٣٧) لانه جرى على سنة الجاهلية في هذا الشأن.

وتتبع الخرافات الدينية بالتكذيب فأنكر صلاة الاستسقاء مبيناً ان المطر لا

ينـزل لاجـل النـاس ولا ينقطع بسببهم. ونفى تأثير الادعية في نص طريف من «الصاهل والشاجح» يقول فيه البعير للبغل وقد هدده بالدعاء عليه (ص ٣٧٥):

«أما تخويفك اياي بدعائك فان الوحش الراتعة تبتهل على الاسد منذ كانت الخليقة وما لقي من دعائها الا خيراً. وكذلك خَشاس الطير (صغارها) يدعون على الباز والاجدل (الصقر) وما يزدادان بذلك إلا رغبة في صيدهن. والظباء والسُماسم (ثعالب صغار) يرغبن الى الله في هلاك الذئب والكلب الصائد فما سمع منهن دعاء».

عدم استجابة الدعاء سبق عن ابيقور تأكيداً لمذهبه في عدم تدخل الآلهة في شئون البشر. وسفهه الفيلسوف الصيني وانغ تشونغ (الاول للميلاد) مستنداً الى عدم معرفة السماء باللغة الصينية مع بعدها الشاسع عن الارض!

وكذب خبر الرجوم الذي ورد في القرآن ـ سورة الجن الآيتين ٨ و٩، وسورة الصـافـات الآية ١٠. والخبـر يقـول ان الجن كانوا يسترقون السمع في السـماء وينقلون اخبارها الى اوليائهم من اهل الارض. فلما بعث النبي محمد منعوا من ذلك ومن لم يمتنع منهم قصف بالشهب والنيازك... يقول المعري:

ولست اقــول ان الشهب يومـاً لبعث محمــد جعلت رجـومـا

وخبراً في السيرة يزعم ان العرش اهتز لموت سعد بن معاذ بعد اصابته في معركة الخندق:

لا يكــذب النـاس على ربهم ما حرك الـعــرش ولا زُلــزلا

وكـذب معجزة المشي على الماء المنسوبة الى المسيح واستخف بأخبار طيران بعض الصوفية في الهواء.

وتحدث عن خرافات تأريخية فسفه القائلين بها: خرافة سواد الزنوج بوصفهم ابنـاء حام بن نوح وخـرافـات الاعمـار الـطويلة والقامات المديدة التي استقاها المسلمون من مصادر يهودية ويمنية ـ جاهلية، مثل عمر نوح الذي زاد على الالف

سنة وطول عوج بن عنق الذي كان ينزل في البحر ولا يغرق، وما شاكلها من قصص العماليق والاقزام. واستعرض الخرافات الشعبية ـ الدينية المزدوجة حول النجوم والحيوانات والجن والملائكة ومعتقدات التطير والتيمن فسخفها جميعاً. وركز على التنجيم والعرافة فكتب عدد من اللزوميات عبرت عن انزعاجه الشديد من رواج هذه السلعة، وطالب السلطة بالتدخل لمنعها. . وفي مبادرة عملية ضد الوعي الخرافي دعا لاجراء امتحانات للقصاص الشعبيين، وكانوا مصدر «تثقيف» رئيسي للجمهور، بحيث لا يسمح بالقص إلا لمن يمتلك ثقافة ادبية وتاريخيه كافية تحول دون اسرافه في سرد الخرافات وتسميم الجمهور بالمعتقدات الغيبية. ونستكشف في هذه الدعوة خيارات مصلح اجتماعي يرى السلطة، مهما تكن ماخذه عليها مؤهلة لتبني بعض اصلاحاته. ولعله لم يسرف في ذلك، فالسلطان الظالم لا يكون متخلف بالضرورة. وكان للسلطة الاسلامية في شتى عصورها موقع مركزي في بناء الحضارة، هو نفس الموقع الذي شغلته السلطة في الحضارات الشرقية الكبرى.

وانكر حكاية آدم مشيراً الى ان تسلسل البشر يمتد الى ابعد من هذا الاب واعتبر قولهم «ابن آدم» مجرد اصطلاح لغوي كقولهم «ابن عرس». والاصل الحقيقي للبشر مجهول عنده*

وتبنى مذهب الاسماعيلية في نسخ الشريعة (الغائها). ولتمرير هذا القول صاغ اللزومية على النحو التالي:

وجـدنـا اتبـاع الشـرع حزمـاً لذي النهى

ثم قال في الشطر الثاني:

ومـن جرب الايام لم ينـكـر النـسـخـا

---

* الظاهر انه لم يطلع على أو يستوعب المسلسل الارتقائي لسابقيه اخوان الصفا ومعاصره ابن مسكويه حتى تثير مخيلته تلك المقارنات التي اجروها بين الانسان والنسناس والقرد.

ولا جامع بين الشطرين سوى حرف الواو كاستهلال للجملة الاستئنافية.
وسنبحث في فصل قادم اسلوبه هذا في التعمية.
والاقرار بالنسخ اداه الى التنبؤ بزوال مكة:

سيسأل ناس: ما قريش ومكة   كما قال ناس: ما جديس وما طسم

جديس بفتح الجيم وطسم بفتح الطاء من القبائل العربية البائدة.

واعترض على العقوبات الشرعية التي تتضمن القطع للايدي والارجل بسبب السرقة. ولم يتناول عقوبات الجلد والرجم التي تفرض على الزنا وشرب الخمر. ولعل السبب هو انه لم يكن ضد السرقة اذ الاموال كلها مسروقة على رأيه بما فيها اموال التجار الذين اتهمهم بقطع الطريق في لزوميتين. وهو في المقابل كان يتشدد فيما يخص السلوك الاجتماعي وينفر من العلاقة الجنسية وشرب الخمر. واعترض على مادة في المواريث تعطي الأم حصة اقل من البنت والزوجة. والأم أرأف بالولد من بنته وزوجته. ولم يعترض على نقصان حصة المرأة عن الرجل، ربما بسبب كرهه للنساء. على انه اعترض على تعدد الزوجات ودعا الى الاكتفاء بزوجة واحدة خلافاً للشريعة.

في نقد الشعائر والعبادات؛ انكر الحج. ولم يحج هو نفسه الى مكة وانما حج الى بغداد للاتصال بأوساطها الثقافية. وفي اللزوميات قصيدة طويلة افتتحها بتوجيه نصائح الى النساء بان لا يذهبن الى مكة بسبب سوء اخلاق اهلها. وابدى عدم تحبيذه لطقوس الدفن وفضّل الاحراق على طريقة الهنود مبيناً ان النار اكثر تطهيراً للجسد من الماء والكافور. واستغل الحديث عن حرق الموتى ليطعن بعقيدة عذاب القبر. ولم ينتقد العبادات الاخرى لملاءمتها لمزاجه أو سلوكه الشخصي فالصلاة كانت تتيح له وقتاً يتفرغ فيه للاتصال بالمطلق. إلا انه كان لا يصلي الجمعة، لانها صلاة جماعية ينتفي بها غرضه من الصلاة. والصوم تكريس لحياة التقشف التي عاشها. وكان لا يقتصر على رمضان وإنما يصوم معظم شهور السنة.

وبالطبع فهو مع اداء الزكاة وقد حبذ فيها مذهب ابو حنيفة الذي يفرضها على مواد كثيرة تعفيها منها المذاهب الاخرى:

زكوا على مذهب الكوفي ارضكم   وجانبوا قوله في مسكر طُبخا

يشير في الشطر الثاني الى اباحة ابو حنيفة شرب النبيذ.

من اصول الدين، جحد المعري عقيدة القيامة في عدد كبير من اللزوميات وشكك بها في عدد آخر. واستند في انكارها الى برهان حسي من شاكلة برهان ابن سينا في «رسالة المعاد» اذ بين ان الموتى لو بعثوا كلهم لما وجدوا مكان يكفيهم على الارض. كرر هذا البرهان في لزوميتين. وفي لزوميات اخرى عبر عنه بالنظم العادي كقناعة دون ان يتوسع بالبراهين التي لا تسمح بها طبيعة التعبير الشعري، لاسيما المقفى الموزون. واشهر لزومياته في هذا المعنى:

ضحكنا وكان الضحك منا سفاهة   وحق لسكان البسيطة ان يبكوا
يحطمنا ريب الزمّان كأننا   زجاج ولكن لا يعاد له سبك

وقد سعى بعض محاميه لتأويل هذه اللزومية لصالح الاقرار بالقيامة فقالوا انه ميز البشر عن الزجاج بكون الاخير لا يعاد سبكه اذا انكسر. قال الشيخ العراقي طه الراوي في كتيب لطيف عنوانه «ابو العلاء في بغداد - بغداد ١٩٤٤»: «نقل عن بعض الفضلاء انه يريد ان الانسان يتحطم بيد الزمان كما يتحطم الزجاج ولكن الزجاج لا يمكن اعادة سبكه واما الانسان فمعروض لاعادة السبك. وقد شك بعض الناس بهذا التأويل وقالوا ما يدرينا ان الاوائل كانوا لا يعيدون سبك الزجاج بعد تحطمه؟ فأجيبوا: ان على الشاك ان يثبت ذلك. ص ٥٠» وسأثبته انا. ويؤسفني ان افعله في غياب المرحوم طه الراوي. ولو اني اجد بعض العذر في اني استجيب لتحديه، كما ان ادلتي تقتصر على اللزوميات، التي لا بد انه قرأها بحكم عنايته بصاحبها. ولعلها فاتته عند القراءة. وهذه هي:

١ ـ يسبك الصانع الزجاج ولا يستطيع سبكا للدر ان يتشظى
٢ ـ وللسبك رُد كسير الزجاج ولا يسبك الدر إن ينكسر
٣ ـ ان الزجاجة لما حُطمت سبكت وكم تكسر من در فما سبكا

يجدر بالتنويه ايضاً ان اللزومية بتفسير المحامين تصبح ركيكة لان الاستدراك في الشطر الاخير للبيت الثاني يكون عندئذ جارياً على طريقة السجال المبتسر الذي يتم بين الصبيان في لعبهم. والمعري بادائه المتماسك الرصين لا يرتكب مثل هذا الاسفاف.

غطى نقد الدين عند المعري الاديان السماوية الثلاثة وكلًا من الزرادشتية والصابئة، مع تسامح تجاه الاخيرة التي حظيت بتنديد أقل. وهناك لزومية تتضمن تبريراً لعقائدها كما كانت معروفة في زمانه. قال:

الشهب عظمها المليك ونصَّها للعالمين فواجب اعظامها

وفيها تلميح لعبادة الصابئة للنجوم. ولعل تساهله مع هذه الملة يرجع الى قلة اتباعها وعدم ارتباطها بدولة تتبنى عقائدها. وهي ملة صغيرة مسالمة كانت لها مشاركة ملحوظة في العلوم الاسلامية. وابدى تحبيذاً لاديان الهنود. ومن المحتمل انه لم يطلع عليها اطلاعاً كافياً، وإلا لكانت موضوعاً لنقد مماثل. وكانت للهند حرمة روحية عند بعض المثقفين المسلمين نتجت عن بعض المعلومات التي تلقوها عن حكمة الهند وما في البوذية من تسامح نظري.

وهاجم الفرق الاسلامية الارأس. وله في الشيعة لزومية مطولة سخر فيها من عقائدهم واتهمهم بارتكاب المحرمات اتكالاً على شفاعة علي يوم القيامة. وانتقد غلاة الشيعة من الاسماعيلية والباطنية مكذباً قولهم بالتفسير الباطني للنصوص. ووجه للاثني عشرية ضربة موجعة بانكار ان يكون الامام علي مدفون في النجف، مما يعني نسف الاساس الذي قامت عليه حاضرتهم الكبرى. قال في لزومية على الراء:

ومـا صح للمـرء المحصـل انه بكـوفـان قبـر للامـام يزار

كوفان: الكوفة.

وذم المعتزلة دون ان يتعرض لشيء من آرائهم. ويفترض انه كان موافق عليها في جملتها فتجنب المساس بها. ويمكن حمل ذمه لهم على السلوك العملي. وكان المعتزلي الاكبر في زمانه وهو القاضي عبد الجبار ثرياً كبيراً ومخالطاً للحكام. ولا شك انه لم يكن يحترمه. وهاجم الاشاعرة واهل السنة وتحدث عن صراعهم مع الشيعة بشأن الصحابة والخلفاء فسفه الفريقين. على انه اظهر احتراماً لكل من عمر وعلي. وللاخير في المقام الاول. وفي اللزوميات ورسالة الغفران ما يدل على ميله الشديد اليه. وقد وظف بعض الكتاب الشيعة والاسماعيلية ما ورد عنه بهذا الخصوص لترسيمه شيعياً. والميل الى علي لا يعني التشيع بالضرورة فهو من امثاله تقييم شخصي لمزايا شخصية تاريخية. ولم يتبنَّ المعري أي عقيدة للشيعة إلا في مسألتين وردت احداهما في لزومية رائية تقول:

لمـا تولى يزيد الامر هان على معـاشـرٍ كونُه من قبل في عمر

وفيه اشارة الى ان حكم الامويين قد مُهد له في السقيفة. وهو قول الشيعة. ولو انه لا يقتصر عليهم فقد ذهب ابو حيان التوحيدي في «الامتاع والمؤانسة» الى انـه من نتائج فتح مكة وان التمهيد للامويين تم على يد النبي نفسه (٢/ ٥٧٤) والتوحيدي من خصوم الشيعة، وانما عبر عن رأي شخصي في قضية من قضايا التاريخ. وهذا هو شأن المعري. الثانية هي مسألة الجفر وهو جلد جـذْي يزعم الشيعة انه يحتوي على علم اهل البيت وما اطلعوا عليه من اسرار العالم بالالهام الالهي. تقول اللزومية عن ذلك:

لقـد عجبـوا لاهـل البيت لمـا اتـاهم علمهم في مسـك جفر
ومـرآة المنجم وهي صغـرى ارتـه كل عامـرة وقـفـر

مسك بفتح الميم: الجلد المدموغ.

ومن الملحوظ استدلاله في اللزومية بمرآة المنجم. وهو كما عرفناه لا يقر بالتنجيم فكيف يستمد منه برهان على صحة حكاية الجفر؟ من المحتمل انه لم يكن جاداً في الاستدلال. وفي تقديري انه اراد ان يتقرب بها للفاطميين الذين عاش في مجال نفوذهم، اذ ليس لدينا ما يدل على انه كان معجباً بأحد من شخصيات اهل البيت بعد علي بن ابي طالب.

في نقده للسلوك الديني يعتمد المعري فرضية اولية هي ان الحافز المادي يحكم مجمل خيارات الفرد الايديولوجية. ويعبر عن هذا الحافز في ادبيات الاسلام بمصطلح «دنيا». وقد استعمل هو علاوة عليه مفرادت: كسب، جمع الحطام، اكل الاتاوة، وغيرها مما يقتضيه سياق النظم الذي يتطلب الانسجام الوزني والموسيقي للكلمة وليس مدلولها الدقيق.

والدنيا مراد الانبياء ومؤسسي الاديان كما هي مراد عامة الناس. وفي ثلاث لزوميات اتهمهم في شخص النبي داود بقوة الحافز الدنيوي، فهذا النبي يحب الدنيا كغيره وبسبب حبه لها كان يتلو الزبور، كتابه المقدس عند المسلمين. وفي لزومية على الهمزة اعلن ان الاديان هي مصيدة من قدماء كانوا مدفوعين بمصالح فردية جعلتهم يبحثون عن وسيلة لخدع الناس فوجدوها في الدين.

كما ينطبق ذلك على الرهبان المسيحيين والاتقياء المسلمين. ومع انه اظهر اعجابه بالرهبنة، ربما بسبب مبدأ العزلة، فهو يتهم الرهبان بحب الدنيا ايضاً ويندد بهم لاعتمادهم في العيش على الغير. وقد ذكرهم بان المسيح لم يترهب وإنما ساح في الارض.. وهاجم اتقياء المسلمين في شخص أويس القرني (بفتح القاف والراء) وهو رجل، يفترض - اذ وجدوه مشكوك فيه - انه من التابعين عرف بمسلك وعر في الزهد فرفعه المسلمين الى مصاف الاولياء. وصنعوا له تاريخ مشحون بالمعجزات والغرائب. وقد وظف المعري اسمه وهو مصغر أوس الذي يعني الذئب فكتب لزومية على الباء اعتبر فيها هذا الولي مجرد ذئب بشري كغيره من المتدينين.

وحـذر اليهـود من احبـارهم (حاخاماتهم) مبيناً لهم ان رجال دينهم هؤلاء يتعمدون خداعهم والكذب عليهم لاخذ الاموال من فقرائهم حتى لو كانوا عرجان وعميان. . وفي نفس المساق، حذر النسـاء المسلمات من الوعاظ والمسيحيات من القسس، ودعاهن الى عدم الاصغاء اليهم. ونصح المسيحية بعدم الذهاب الى الكنيسـة. ولم اعثـر على نص في اللزوميات بخصـوص ذهـاب المسلمـة الى المسجد. وانما نهى النساء في لزومية سبقت الاشارة اليها، عن الحج وحذرهن من فسـاد اهـل مكـة وسدنة الكعبة. وفي احدى اللزوميات فضّل الكلاب على المصلين وفي اخرى بائية اعتبر الدين قد اصبح «كلب صيد» هكذا بالنص. وفي ثالثة رائية قال انهم قد وضعوه في المزاد العلني. واشار الى ما يجري في المساجد فقـال انهـا لم تعـد تختلف عن المواخير. اما القرآن فمجرد مزامير للغواة الذين يصلون والسيوف مشهورة في ايديهم، ليس ضد العدو الخارجي بل ضد الرعية. واتهم المسلمين عموماً بالتسوق بالقرآن. وحذر اهل الاديان جميعهم من الانخداع بالمظهر المتواضع لرجال الدين. قال:

ومـا انخفضـوا كي يرفعوكم وإنما رأوا خفضكم طول الحياة لهم رفعا

والمتدينين عنده صنفين: تجار أو بهائم. الصنف الاول اذكياء عرفوا طريق الكسب ورأوا ان الدين يوصلهم الى الدنيا فتمسكوا به. والصنف الثاني جهال لم يرزقوا حظاً من العلم. والدين يقوى مع الجهل. وهذه الاقوال مرجعها الى ابن الـراونـدي والرازي. ويتفق المعري مع الرازي في تحميل رجال الدين مسئولية التجهيل لان النـاس اذا تعلمـوا سألـوا ولا يعـودون يقبلون ما يلقى عليهم دون تمحيص. وللمؤسسـة الدينية في الاسلام شعار معروف هو قولهم: «من تمنطق تزندق»، استدل به الرازي على مسلكهم في التجهيل.

وفي لزومية عينية شدد هجومه على رجال الدين المسلمين الى حد تفضيل النصارى واليهود عليهم. قال:

ما جار شمـاسـك في حكمـه ... ولا يهـوديك بالـطامـع
فالـقس خير لك فيمـا ارى ... من مسلم يخطب في الجامع

وقـد لا يكون هذا مجرد رد فعل تمليه حالة انفعال. ان الصفات السلبية لرجال الدين تظهر اكثر عند تمتع رجل الدين بسلطة تنفيذية. ومع ان المؤسسة الدينية في الاسلام لم تحكم مباشرة فان نفوذها لدى السلطة وفي المجتمع كان يوفـر لهـا اداة للتـأثير تمارس بها القمع ضد المخالفين، كما تمكنها من حماية مصـالحها وتوسيعها. أما المسيحية واليهودية فلم تتمتعا بهذه الفرصة في العالم الاسلامي، مما ساعد رجال الدين فيهما على الاحتفاظ بسمة سلام مع الرعية. ويبدو لي ان المعري لاحظ هذا الفارق في سلوك رجال الدين من الاديان الثلاثة. ولا شك انه لم يكن يعرف ما كان يجري في اوربا من جانب الكنيسة التي كانت تتمتع بسلطة زمنية واسعة هناك.

وهاجم المسلمين في عمومهم، وعيّرهم بقتلهم عمر بن الخطاب وعلي بن ابي طالب:

همُ قتـلوا حيدراً ساجـداً ... وحسـبك من عمـر اذ طُعـن

وذكّرهم بقتل الحسين على يد قريش، حاملة راية النبوة والخلافة، وكيف تولى خلافتهم شخص مثل يزيد بن معاوية:

أرى الايام تفـعـل كل نكـر ... فمـا انـا في العجـائب مستزيد
ألـيس قريشكم قتلت حسينـاً ... وصـار على خلافـتكم يزيد؟

على ان تشـدده في نقـد الـدين لم يمنعـه من الـدعوة الى حربه الاديان والمساواة بين اتباعها في المجتمع الاسلامي. وقد استنكر اضطهاد دين لآخر لان النـاس متساوين في الاصل. وهذه عنده حقيقة جوهرية لا تغيرها الحروب التي تثيرهـا الاديان. ودعـا في لزومية على الفـاء الى تقبـل الاختـلاف ما لم يقترن

بالاعتداء، لان الناس مختلفون بالطبع. وعبر عن مسلكه الشخصي في هذا الشأن في نص منثور من «الصاهل والشاجح» بين فيه انه لا يبغض الناس بسبب عقائدهم لانها بين الانسان وربه (ص ٦٨٢) ومرتبطاً بهذا المسلك، أبعد نفسه عن الصراعات بين الاديان والطوائف. وقد ندد كثيراً باختلاف الفرق الاسلامية لاسيما الشيعة واهل السنة. وكانت الاخيرة قد تمايزت في زمانه كفرقة واخذ اتباعها بالازدياد. وكان قد ظهر واضحاً من اول القرن الرابع ان الصراع العتيد بين الشيعة والسلطة قد آل الى صراع بين الشيعة ـ في فرعها الامامي الاثني عشري ـ وبين اهل السنة. وفي عدد من اللزوميات قارب موضوعات الخلاف فاستخف بها واتهم الفريقين بالغباء لاصطراعهم على امور صغيرة لا تدخل في صميم حياتهم الفعلية.

وكما ابتعد عن صراعات الطوائف تجنب خلافات المذاهب الفقهية ودعا الناس الى عدم اتباع الفقهاء والاكتفاء بعقولهم. على انه اساء فهم الاختلاف في الفقه حين وضعه على نفس ملاك الصراع بين الاديان والطوائف. وميدانه مغاير تماماً، لان الفقه يعني التشريع، والاختلاف فيه هو اختلاف في الاحكام وليس في العقائد. وقد ساعد الاختلاف بين الفقهاء على تطور التشريع الاسلامي وظهور مواد فقهية تشكل مروقاً على السنة وتعكس تعقدات البنية الاجتماعية في عصور نضج الفقه.

في نقده للدولة والسياسة. طرح المعري امور شتى وردت في تضاعيف اللزوميات ومنثورات كتبه. وقد ردد في الكثير منها نفس الافكار المتداولة في اوساط المعارضة والحركات الاجتماعية، كما انفرد عنها بطروحات يتكرس فيها وعيه السياسي والاجتماعي الخاص به.

رأيه المبدئي في الحكام المسلمين يستند الى نظريته في كون الانسان شرير بالطبع. فالحاكم المسلم ظالم بالطبع، فاسد بالطبع ولا يختلف عن حكام الملل الاخرى في ظلمه وفساده واهماله مصالح الرعية. وتناول بسخرية القاب الملوك

والخلفاء المسلمين التي شاعت مع بداية العباسيين واستنكر مدائح الشعراء فيهم ودعاء الخطباء في صلاة الجمعة لهم بطول العمر والنصر. ولاحظ ان علاقة الحاكم بالمحكوم هي من نفس علاقة رجل الدين برعيته المؤمنة ؛ علاقة خادع بمخدوع .

وفي بعض اللزوميات نقرأ وصفاً لاوضاع البلدان الاسلامية يكشف عما كانت تعانيه من صراعات دموية ومظالم واضطهاد للناس ونهب لاموالهم. ويلقي المعري نظرة شاملة على هذه الاوضاع ثم يكثفها في هذه المفردات التي تنطلق مدوية من داخل تلك البلدة الصغيرة:

ظلم مستضعف واخذ مكوس ... وحياة في عالم منكوس
ان العراق وان الشام مذ زمن ... صفران ما بهما للملك سلطان
ساس الانام شياطين مُسلَّطة ... في كل مصر من الوالين شيطان

وفي لزومية مشهورة يتحدث عن علاقة الاجارة التي تربط الحاكم بحكمه فيهاجم الحكام لظلمهم الرعية واهمال مصالحها رغم انهم اجراء لها. ولهذه الالتفاتة المثيرة سابقة في رواية ترجع الى صدر الاسلام عن تابعي يدعى ابو مسلم الخولاني من اهل اليمن قيل انه دخل على خليفة اموي فخاطبه بعبارة: ايها الاجير. ولما استنكرها الخليفة بين له: «نعم انت اجير. استأجرك رب هذه الغنم لرعايتها». . والفكرة في اللزوميات تخرج من لغة الدين الى لغة السياسة وتجعل الحاكم اجير للرعية وليس لله. والمعروف ان هذه الفكرة ظهرت في شكل نظرية عند جان جاك روسو هي نظرية العقد الاجتماعي. . ولعل منشأها العملي يتصل بالرواتب التي كانت تعطى للخلفاء الراشدين لقاء تفرغهم لشئون الخلافة وتركهم اشغالهم التي كانوا يعتمدون عليها في معيشتهم.

ويذكرنا مفهوم عقد الاجارة هذا بمفهوم حقوق دافعي الضرائب. وهو مفهوم حديث بلوره الفكر السياسي الرأسمالي. وقد ألمّ به في لزومية جاء فيها:

وأرى ملوكاً لا تحوط رعية　　　فعلى م تُجبى جزية ومكوس؟

تحوط: ترعى.

والملوك ليسوا من الكرام، فهؤلاء في المعارضة لا في السلطة، وهم، أي الملوك في حاجة الى التأديب وليس الناس. ومن اهداف التأديب اعطاؤهم عقول حتى يحكموا على اساس السياسة العقلية. ومن يحتاج الى التأديب لا يصح تكريمه ناهيك عن السجود له كما يفعل اهل الحاشية. واطلق دعوة لمقاطعتهم:

توحد فان الله ربك واحد　　　ولا ترغبن في عشرة الرؤساء

والراجح انه يخاطب المثقفين اذ هم المعنيين اساساً بصحبة الرؤساء.

وحاسب حكام زمانه الفاسدين حساباً واقعياً. فقال لهم ان انشغالكم بالنساء لا يمنع من اداء ما عليكم من التزامات للمجتمع وامنه، وكان يتحسس هذه الحاجة لوجوده قريباً من الحدود البيزنطية، وذكرهم بالمهلهل بن ربيعة ومن على شاكلته من فرسان الجاهلية الذين امتلكوا قلوب رقيقة تعشق الجمال دون ان يتخلوا عن سيوفهم، فكانوا يزورون الحرب كما يزورون معشوقاتهم.

وفكّر كما يبدو طويلاً في سبب تمادي الحكام في استهتارهم فرآه في غياب القيادة الكفوءة التي تقود الضعفاء في ثورة على الذئاب الحاكمة. وهو مؤيد للثورة المسلحة. ولو انه من جهة اخرى يكره الحرب. ويحتوي عدد من اللزوميات على وصف لمآسي الحرب يشمل الاسر والاسترقاق والترمل والتيتم والافقار.

واستغرب كيف يجمع الناس بين حرصهم الشديد على الحياة واصرارهم على اشعال الحروب؟ واطلق دعوة لنزع السلاح. ودعا الناس الى الاشتغال في اعمال منتجة بدلاً من التعيش بالحروب. وفرق بين الحرب الدفاعية والهجومية فأقر الاولى وانكر الثانية. واستهجن ان تكون الحرب وسيلة الى السلطة والتوسع. كما ندد بالفتوحات من جهة ما يترتب عليها في حكم الشرع من استرقاق النساء واباحتهن لآسريهن. وتكلم في بعض منثوراته بلغة مسيحية (نسبة الى المسيح)

فقال في الفصول والغايات (ص ١٢٩) «اذا غمس القوم ايديهم في الدم. فاغمس يدك في ماء الغدير» على ان شدة تحسسه لكرامة الفرد حملته احياناً على مناقضة نفسه فدعا الانسان الى تفضيل الموت في ساحة حرب على الموت مريضاً في الفراش يتوجع ويتشكى لعواده. وهذه دعوة جاهلية تعبر عن قيم الفرسان. وان يكن من الممكن الاستنتاج انه تبناها لتشجيع امراء الشام على خوض الحروب مع البيزنطيين لدفعهم عن البلد. ومما يقوي ذلك استعمال صفة «المسوّد» أي المؤمّر لتأكيد المقصود بدعوته وقال: إن الموت على الفراش لا يليق بمثل هؤلاء الناس.

وتحدث في احدى اللزوميات عن تآزر المؤسستين السياسية والدينية ضد الرعية مشيراً الى ان الملوك يحكمون ويضطهدون الناس وهم محاطون برجال دين قساة يزينون لهم افعالهم.

وكرس بعض اللزوميات لتبيين التفاوت الشديد في مستوى العيش بين الحكام والرعية. وكذلك داخل الرعية بين الاغنياء والمحرومين. واختص الشحاذين بلزومية وصف فيها معاناتهم بنبرة انسانية موجعة. واطلق دعوة لتسبيل المال. والتسبيل مصطلح اسلامي يفيد اشاعة المال، مأخوذ من السبيل باحدى قرينتين: اعطاؤه لابن السبيل وهو المتشرد أو بقرينة تركه في الطريق حتى ينال كل واحد نصيباً منه. واقر استعمال السيف لارغام من عندهم المال من حكام أو رعايا على توزيعه لذوي الحاجات. واعلن عن موقعه في معمعان الصراع الطبقي فقال انه يقف مع المقترين الصعاليك. وبالتكامل مع هذا الانتماء ابدى ميلاً الى الجاهلية في لزومية لمح فيها الى افضلية الدين الوثني على الدين السماوي من هذه الجهة:

وان رجالاً كان نسر لديهم الهاً، عليهم قبلنا طلع النسر

نسر الاولى من آلهة الجاهلية ذكر في القرآن (٢٣/ نوح) والنسر الثانية نجم.

وقال ان هؤلاء الذين كانوا يعبدون الاله نسر:

عاشوا يرون اليسر إفضال مكثر على مقتر . .

ثم جاء الدين السماوي : فانقضى الناس واليسر.

واستطرد يصف طريقتهم في الحياة :

لهم سُنّــة ان لا يُضَيع معـــدم اذا سنــة ازرى بانجمهـا الاسر

وكانت الجاهلية من الاوضاع القليلة التي استثناها من ذمه في اللزوميات وغيرها .

وصدرت منه دعوة للاستغناء عن الدولة . ففي لزومية ميمية من بيتين نصح الناس بالتحوط لمنع تدخل الولاة في شئونهم ودعاهم اذا تمكنوا من تدبير امورهم بانفسهم ان لا يسلموها لغيرهم .

ان نقد المعري للدولة لم يمنعه من نقد المعارضة . وقد مر بنا انه لم يوفر أي فرقة اسلامية من ذمه حتى لو كانت فرقة يشاركها في مجمل طروحاتها القائمة على العقل كالمعتزلة . ومن هنا يأتي نقده للقرامطة والزنج . وقد اختص القرامطة بعدة لزوميات وهاجمهم مع الزنج في لزومية اتهمهم فيها بالخضوع لمطامع رؤسائهم ، ودعا بدلاً من اتباع الرؤساء الى امامة العقل . ويستند نقده للقرامطة الى اعتبارين : الاول عقيدتهم التي تشتمل على غيبيات تحدث عنها في رسالة الغفران والثاني شدة سفكهم للدماء . والاخير هو ما ركز عليه في نقده لهم في اللزوميات . وهو ايضاً مأخذه على الزنج . ولم يكن في نقده للقرامطة من هذه الوجهة ما يخالف وجه الحق بقدر ما يتعلق بقرامطة شرقي العربيا فقد ارتكبوا مذابح مجانية ضد المدنيين ليس لها من المبرر سوى تعبيرها عن همجية البدو، الذين كانوا يشكلون نسبة كبيرة في هذا الفريق من القرامطة . وافعال القرامطة هذه ثابتة لا مجال للتشكيك فيها .

غير انه تجنى على الزنج من وجهتين : الاول انه تبنى انطباعات عامة نتجت عن دعاية رسمية نسبت اليهم الاسراف في سفك الدماء ولم يبحث عن روايات اخرى تضمنت مدلولات معاكسة عن افعال الزنج . فعندما نرجع الى الطبري الذي

عاصرهم وسجل اخبارهم بتحيز شديد ضدهم نقف على اتزان ملحوظ في سياسة صاحب الزنج العنفية. فقد روى الطبري في سرده لبداية حركته انه اكتفى بتشليح السادة مالكي الزنوج من اموالهم واملاكهم والقى فيهم كلمة ذكّرهم فيها بجرائمهم ضد هؤلاء المساكين ثم ابلغهم انه قرر الافراج عنهم وعدم معاقبتهم. فردوا عليه: «ان هؤلاء الغلمان أُبّاق (جمع آبق للعبد الهارب من سيده) وهم يهربون منك فلا يُبقون عليك ولا علينا فخذ منا مالاً واطلقهم لنا». فغضب وسلم كل مالك الى عبيده المحررين ليضربوه خمسمئة شطبة. ثم عاد فأفرج عنهم. ويذكر من افعال الزنج هجومهم على البصرة وتدميرها. وهنا ايضاً يستفاد من الطبري ان خطة الهجوم لم تنفذ إلّا بعد ان صارت البصرة مركز التحريض والتعبئة ضدهم. وكانت البصرة مدينة اثرياء فكان من الطبيعي ان تواجه حركة الزنج بالعداء الدموي وان يبادلوها هم نفس العداء. (يراجع تاريخ الطبري حوادث ٢٥٥).

من جهة ثانية لم يلتفت المعري الى الاضطهاد الشنيع الذي كان يلقاه الزنج في جنوب العراق. ويصعب القول انه لم يكن يعرف شيئاً عن ذلك. وان المرء ليتساءل باستغراب مُمضّ كيف ان رحمته التي اتسعت للبرغوث لم تتسع لهؤلاء المعذبين من البشر؟

في هذا الصدد لدينا بعض النقاط:

فهو اولاً لم يستنكر الرق. بدا وكأنه يساير ارسطو في اعتبار الرق من عمل الطبع، أي ان العبد عبد بالطبيعة. افترض هذا مع الاخذ في الحساب ان ارسطو كان راضياً بنظام الطبيعة والمعري معترض عليه. وليس في اللزوميات ما يدل على انه اعتبر الرق حالة غير انسانية. سوى انه استنكر استباحة النساء في الحروب، ولو دون ان يبين ان كان يقصد استرقاقهن. كما احتوت بعض اللزوميات على قواعد بشأن معاملة العبيد مأخوذة من تعاليم الاسلام. وفي «الصاهل والشاحج» عبارة يستفاد منها ان علاقة الرق لا تشترط تفوق المالك على المملوك: «رب عبد هو أزكى من سيده وامة (عبدة) افضل من الحرة» (ص ١٦٧). وكان يمكن لمن



يتوصل الى هذه النتيجة ان يتساءل عن عدالة هذا النظام. . .

مهما يكن فهذا الموقف من الرق مشترك عند القدماء. ولم يطرح مطلب الغائه من جانب أي حركة اجتماعية مهما بلغت جذريتها بما فيها الاسماعيلية والقرامطة. غير ان الفقه اعطى تعليل للرق يخرجه من تحديد ارسطو، اذ اعتبره الفقهاء في الاصل جزاء على الكفر أي انه ليس صفة لاصقة بالعبد. وقدم الفخر الرازي تفسير للرق يجعله منافي للطبيعة اذ افاد في تفسيره للآية ٩٢/ نساء التي عالجت جريمة القتل الخطأ ففرضت على القاتل الدية مع تحرير رقبة أي اعتاق عبد «ان التحرير يعني جعله حراً، والحر هو الخالص. ولما كان الانسان في اصل الخلقة خلق ليكون مالكاً للاشياء فكونه مملوكاً يكون صفة تكدر مقتضى الانسانية وتشوشها فلا جرم سميت ازالة الملك تحريراً أي تخليصاً لذلك الانسان عما يكدر انسانيته (التفسير الكبير ١٠/ ٢٣٣).

هذا الفكر متقدم كثيراً على فكر المعري/ وارسطو/ بشأن الرق. ولعله لم يستوعبه بسبب استخفافه بالدراسات الفقهية والكلامية. .

ثمة كذلك التباس بخصوص دعوته الى امامة العقل. وهي مبدأ لازم في قضايا الفكر يضع الانسان المفكر في مواجهة الدين والايديولوجيا والمأثورات ويوفر له شروط التحرر من التبعية الفكرية وما يرتبط بها من الدوغما المعطلة للنشاط الذهني. وهذا في الفكر. اما في العمل السياسي فامتثال هذا المبدأ مختلف تماماً. فالعقل لا يقود حركة سياسية وإنما يقودها زعماء يتمتعون بكفاءات مناسبة لاداء مثل هذا الدور، المختلف جذرياً عن دور المثقف. ومادة الحركة، اعني جمهورها لا تتشكل في الغالب من العقلاء لان اعتمادها في التعبئة يكون على الايديولوجيا وليس على العقل. وبقدر ما تكون الحركة الفكرية محتاجة الى العقل، تكون حاجة الحركة السياسية الى الايديولوجيا. ان ظواهر التاريخ معقدة وشديدة التنوع ولا يمكن تنميطها في غرار. ولكل فصل منها شروطه التي تتم مراعاتها وفق مبدأ وضع الشيء في مواضعه، تبعاً لتعبير عربي قديم. وكثيراً ما يقع

خلط بين مستلزمات الاشياء نتيجة تفكير احادي يدفع المشتغل في مجال ما الى التعميم بالاعتماد على المعايير المتبعة في مجاله. ولم يفلت المعري من هذه الاحادية حين اعتبر العقل، اللازم للفيلسوف، لازم بنفس الدرجة لفلاح يقاتل المالك بوعي طبقي بسيط ضمن حركة سياسية تسيرها قيادة تعرف من شئون الدنيا ما لا يعرفه الفلاح. . العقل لا يصلح اماماً إلا في النشاط الفكري، وهو الامام الاوحد هنا، لان الفكر لا يؤخذ بالاتباع وإنما بالتعقل وهو كذلك حتى في حالة الارتباط بفلسفة أو فكر فيلسوف أو مفكر معين، اذ ان متابعة الفيلسوف أو المفكر تتم بناء على تفكير عقلي، والمتبع قد يكون هو نفسه فيلسوف أو مفكر. ومعروف ان اتباع الفلاسفة لا يكونون إلا من المثقفين العقلانيين، بخلاف اتباع الانبياء أو المصلحين أو القادة السياسيين. وقد انكر الرازي مبدأ الامامة في الفلسفة وبنفس الاعتبار انكر الدين لكونه مرتبط بالامامة: لا يفكر ولا يمارس إلا بها. لكن هؤلاء الفلاسفة يفهمون حركة العقل ولا يفهمون حركة المجتمع. فهذه الاخيرة لا تستغني عن قيادة. ان أي نشاط سياسي أو اجتماعي يتطلب لكي ينتج اهدافه اطار منظم. ويعني التنظيم وجود قيادة، فردية أم جماعية، ذات مركز آمر، مع جمهور من الاتباع ينفذون الاوامر طوعاً أو كرهاً. وبهذه الطريقة وحدها يتوصل البشر الى تحقيق إرادتهم في أي مفصل من التاريخ.

* * *

يتلمس الفيلسوف الشاعر تراجيديا الطبيعة النافية لعقلانيتها في مظاهر شتى من حياة الانسان والحيوان والنبات. وتتخذ مفارقة الموت والحياة موقع ناشز في تفكيره فيتساءل عن الارض التي تُغذينا ثم تتغذى بنا وهي المسماة أمَّنا. وينظر الى الموت باعتباره الغاية الوحيدة للحياة، فالانسان من لحظة ميلاده محكوم بالاعدام يعيش وهو ينتظر التنفيذ/ المؤجل الى امد قد يطول وقد يقصر دون ان يكون قابل للالغاء. وكان قد اطال الوقوف عند هذه المفارقة منذ وقت مبكر يسبق نضجه

الفلسفي. ونجد امثلة على ذلك في مراثيه التي يضمها «سقط الزند» حين يتابع بخياله الممض صورة الخد الذي تصونه صاحبته عن التقبيل لانها لشدة حسنه ولطافته لا ترى مخلوقاً جديراً بالاقتراب منه ولمسه ولو باللثم. ثم ينتهي هذا السر المصون الى التراب ليكون غذاء لامه الارض. ويجنح به الخيال في اللزوميات فيتصور مفاصل البناءين وقد صارت طلاء للجدران. والعالم عنده متداخل ينشأ بعضه من بعض.. ولا يكفي الكلام المقدس لاعطاء هذه المفارقة حكمة غائبة عن عقل الانسان المحدود، فالعقل القلق لا يمنعه شيء عن السؤال. وهو لا يستريح لتعليل الفلاسفة ان الموت مكمل لطباعنا؛ فطبيعة الدماغ الذي ينتج الفلسفة هي ليست طبيعة الدماغ المستحيل تراباً.

وما بين الحياة والموت مسلسل محن مصدرها الطبيعة والمجتمع على السواء. ففي كليهما لا مكان للعدل، والعدوان هو السمة المشتركة للعالم بكل اجزائه وبجميع كائناته. حتى النبات المسالم يصبح مصدر عدوان.ويلتفت الى تلك الثمرة الانيقة اللذيذة، العنب، فيتذكر انها تتحول الى خمر يفسد العقل. وهو عدو للخمر لانه ضد كل ما يعطل عمل العقل أو يعطيه ساعة راحة. (الطبيعة التي يكمن عدوانها حتى في العنب كيف يرجى صلاحها؟).

السلم مستحيل في الطبيعة مادامت بعض الحيوانات لا تستطيع العيش إلا على البعض الآخر. والخلل كامن في نظامها وليس في الحيوان نفسه. فهي التي خلقت لبعض الطيور مناسر تفترس بها الطيور الصغيرة وجعلت للذيب انياب يأكل بها الغزلان والنعاج. وعندما يُفترض خالق للطبيعة فهو يتحمل هذه التبعات. وليست قدرته المطلقة مانعة من الطعن في حكمته:

ولو لم يرد جور البزاة على القطا   مكونها ما صاغها بمناسر

والحكم في الطبيعة هو نظير الحكم في المجتمع. ان النظام الذي سلط الاسود على الظباء هو نفسه الذي يحرم الفقير المريض من حاجة يشتهيها ويعطي

للظالم كنوز تفيض عن حاجته:

أتعلم الارض وهي أم	خف زمان فما ازدهاها
بأي جرم وأي حكم	سُلط ليث على مهاها
وعُذِّرت حاجة بعسر	على عليل قد اشتهاها
وظالم عنده كنوز	من أم دفر ومن لُهاها

أم دفر: الدنيا.

وهو نفسه الذي حكم بانتصار معاوية بن ابي سفيان ومقتل عمار بن ياسر، حكماً يبعث على الاقتناع بان تاريخ الاسلام جرى على الضد من العقيدة التي تقول ان الله ينصر اولياءه ويخذل اعداءه ـ هذا وهو بعد لم يشهد هزائم المسلمين في الاندلس واندحاراتهم امام جحافل المغول الوثنيين. . .

في هذا النظام يجب ان لا يلام احد على شيء مادام الجميع محكومين بالطبع. وان كانت المسئوليات تتفاوت؛ فالاسود والذئاب معذورة لانها جبلت هكذا وليس لها عقول. اما الانسان فان وجود العقل عنده يجعله مسئول عما يفعل، حتى يفقد عقله فيستريح الى عذر. ولذلك يجب ان لا نلوم القاصر العقل:

وهل ألوم غبياً في غباوته	وبالقضاء اتته قلة الفطن

وحتى مسئولية الانسان العاقل تبقى محدودة بحكم خضوعه لتلك القوة الجابلة. وقد قال ان اخلاقنا لم تفسد باختيارنا. على انه ما ان يصطدم بظلم الحكام حتى يتخلى عن اتهاماته للطبيعة ليتهم الانسان بتعمد الشر والاساءة. ولذلك لا يصح اعتبار تشخيصه للخلل في نظام الطبيعة كموقف جبري، فمذهبه هذا لا يأتلف مع العقيدة الدينية التي تقول ان ظلم الحكام قضاء من الله يجب الصبر عليه. وان كان لا بد من تسميتها جبرية فهي جبرية احتجاج لا اقرار، اعني جبرية متمردة قد تصبر على حكم الطبيعة ولا تصبر على حكم الانسان، وتعتبر ظلم الحكام من صنع انفسهم وتجعل الثورة عليهم تبعاً لذلك ممكنة ومشروعة.

ان حكم الجبر في الطبيعة يجعل المخلوقات سجينة الفلك. ولعله كان ينظر الى تحدي القرآن للبشر والجن: «يا معشر الجن والانس ان استطعتم ان تنفذوا من اقطار السماوات والارض فانفذوا..». وسجن المخلوقات في الفلك ليس مجرد انصياع جغرافي فهي محكومة بدكتاتورية النظام الكوني الذي يتولى تحديد موقعها في الوجود وتبعاً لذلك مصيرها:

ما باختياري ميلادي ولا هرمي — ولا حياتي فهل لي بعدُ تخيير؟

والفلك نفسه: هل يجري على الصواب؟ ان تماثل اجزاء العالم وخضوعه لقانون مشترك لا تسمح بالاستثناء. ولعله قد ساح في محيط الفلك باحثاً بغريزته الناقدة عن خلل ينظمه في لزومية فلم يوفق. اذ ان حكم الافلاك ليس كحكم الاحياء. ثم لما عاد خائباً ألقى نظرة على المجموعة الشمسية فاستنتج وجود ظلم في ترتيب السيارات وهو علو زحل على المشتري. وتساءل عندئذ أي ذنب جناه المشتري حتى يكون ادنى من زحل؟ والمشتري كوكب ابيض جميل يحبه الشعراء فجدير به ان يكون في المحل الاعلى.. واللزوميات على أي حال لا تنسى ان النجوم ستزول يوماً ما، فهي كالمخلوقات الاخرى محكومة بقانون الموت. ولا يخضع زوال النجوم عنده لدوغما القيامة وإنما لفكرته عن موقوتية الاشياء.

والغاية من العالم مجهولة:

نفارق العيش لم نظفر بمعرفة — أي المعاني بأهل الارض مقصود؟

أرى جوهراً حل فيه عرض — تبارك خالقنا: ما الغرض؟

فالمعري خارج عن منطق الغائيين. ومع افتراض وجود خالق فان غرضه من خلق العالم غير معروف. وهو لا يمكن ان يكون لغاية خيرة لان العالم غير متوجه نحو الخير. فهل كانت للاله نوايا شريرة؟ ان الرازي ـ وهو كما رأينا من شيوخ المعري في الزندقة ـ كان يرى غلبة الشر في العالم ويعتقد في نفس الوقت بوجود اله، بقناعة فلسفية لا يشوبها شيء من قلق تلميذه. وكان يرى ان الله مريد

للخير. أما الشر الذي في العالم فقد حدث خلافاً لرغبته. ويفهم من منظومته الفلسفية ان الله لم يكن يرغب في خلق العالم، ثم نزل على رغبة النفس المطلقة التي اشتهت ان تتجبل في مادة فخلق لها العالم وهو كاره. وبهذا المعنى يكون اله الرازي غير مطلق القدرة ولا الارادة رغم انه يحب الخير أما اله المعري فانه، مع افتراض وجوده عنده، فاعل للشر ومسئول مباشر عن عدوانية الطبيعة.

يبدو نقد المعري لنظام الطبيعة كظاهرة متميزة في حياة الفكر الفلسفي. ان معظم الفلاسفة وكافة اهل اللاهوت والدين اجلّوا نظام الطبيعة واعتبروه صنعة متقنة ابدعت على احسن ما يمكن. واستخلص اللاهوتيون من هذا دليل على ان للعالم صانع، اذ لا يمكن ان يكون مثل هذا النظام العقلاني الدقيق المتقن قد وجد بالصدفة. وتنقل مصادر الفلسفة الاسلامية عن جالينوس انه قال ان من درس التشريع ازداد ايمانه بالله. يشير بذلك الى التركيب المعقد للجسد، الذي جعله الفلاسفة المسلمين صورة للعالم فقال احدهم يخاطب الانسان:

وتحسب انك جرم صغير   وفيك انطوى العالم الاكبر

وتبعاً للاديان السماوية فالعالم قائم على العدل، ويفسره المسلمون بالتوازن والتكافؤ في ظواهره بحيث لا تجور ظاهرة على اخرى. ومنه قولهم: بالعدل قامت السماوات والارض. ويستخلص مؤدلجو التفاوت الطبقي من ذلك دليل على عدالة المجتمع القائم على التفاوت مادام المجتمع جزءاً من ملكوت الطبيعة، أي السماوات والارض.

يلاحظ ان التمسك بعقلانية الطبيعة وانسجامها يشيع فضلاً عن الاوساط الفلسفية، لدى الحركات الاجتماعية والمصلحين الاجتماعيين بوجه عام. أما المذهب المعاكس فيصدر عن افراد الفلاسفة والمفكرين. وهو أقل شيوعاً من المذهب الاول. وقد استخدم من بعض فلاسفة التنوير في القرن الثامن عشر في مجرى حملتهم على الكنيسة ومعتقداتها، حيث تمسك الفكر الدينى بعقلانية نظام

الطبيعة للاستدلال على القوة العاقلة التي اوجدته ورد عليهم التنويريون بالبحث في مفاسد الطبيعة وما فيها من ظلم وعدوان ولا معقولية. وتترتب على المذهب الاول نتائج ايديولوجية توظف للتحكم في حركة المجتمع الذي يصبح عندئذ جزء من كل منسجم ومتوازن ومعقول بما يضمن توجيه نشاط الافراد وجهة منتجة محكومة بالانضباط الكوني. لكن وجود هذا النظام العادل المتقن الصنعة يقلص من دائرة الحرية لحساب دائرة الضرورة، وتبعاً لذلك من الفكر الطليق لحساب الايديولوجيا.

ان انكار عدالة الطبيعة وعقلانيتها يقود كما رأينا الى انكار الدين ويساعد بالتالي على التحرر منه. والدين من اشد القيود على حرية الانسان وعقله. على ان التحرر من الدين قد يقترن بالمذهب الاول القائل بعقلانية الطبيعة. ويحصل هذا غالباً في الايديولوجيات الثورية التي تكافح لاصلاح المجتمع بمنظور فلسفة إلحادية وتتمسك في نفس الوقت بهذا المذهب لانه يخدمها كما لاحظنا في السيطرة على / وتوظيف نشاط جمهورها. وهنا تصطدم الايديولوجيا باشكال يتعلق بالتوفيق بين الحاجة الى امتلاك ادوات الفعل المنتج للجماهير وبين السعي في الاصل للتحرر من الدين. وهذا الاشكال واجهته الايديولوجيا البروليتارية المعاصرة واشتد بالخصوص في حالات صيرورتها ايديولوجية سلطة حيث برز اتجاه الى الكليانية الفكرية من خلال سيادة منطق منمط يوحد بين نظام الطبيعة ونظام المجتمع الجديد من جهة ان كلًا منهما كلي الكمال، مصمّت لا ينخرق، وعقلاني لا يقبل الغلط*.

قد يكون نقد نظام الطبيعة قابل للتكامل مع نقد المجتمع بقدر ما يكون

---

* ان تسجيل هذه النقطة من جانبي لا يعني الموافقة على النقد الجاري للستالينية، لاني مع نقد الستالينية لحساب اللينينية، وفي ضوئها، وليس لحساب السيد زخاروف وتلامذته.

اعتبار عدالته في الفكر الديني، والى حد ما اعتبار عقلانيته في الفكر الحديث، مانع منه. ومرجع هذا الامر الى ان التعامل الحر مع الوجود يضع الفكر في سياحة خارج الثوابت المنطقية ويجعله من ثم ابعد عن التنميط الملازم، أو الموصل، لليقينيات. والفكر الناقد للطبيعة يؤدي وظيفته في منأى عن الدين بوصفه محصلة مسلمات ايمانية وعن الايديولوجيا بوصفها منظومة افكار مستقرة، ومتفاهمة بفضل استقرارها مع قوانين العالم الازلية. ويغلب هذا المنحى النقدي المضاد لليقين على فكر المعري الذي امضى حياته محروماً من راحة العقل، ومستعداً من ثم لاخضاع كل شيء في الطبيعة أم في المجتمع لادواته النقدية.

كما يتضح حتى الان، فان نقد نظام الطبيعة لم يؤدي به الى رأي قاطع بشأن وجود الاله، وانما الى انكار قاطع للدين. وتصوراته في هذه المسألة ملتبسة. اذ كيف يصح ان نتصور قوة كونية مطلقة القدرة وتحمل كل هذه الافكار الشريرة والخطط العدوانية التي تجعل الطبيعة في حالة حرب ابدية وكائناتها في شقاء دائم؟ ان انكار وجود هذه القوة اسهل منطقياً، بل هو في الحقيقة استنتاج يترتب حتمياً على الاقرار بوجود الشر في العالم. وقد تمسك به كما مر من قبل بعض ملاحدة القرن الثامن عشر. ومن لوازم هذا الاستنتاج انكار الغائية والقول بالصدفة واعتبار حركة الطبيعة خاضعة لقوانين عمياء. والمعري ينكر الغائية بهذا المفهوم. إلا انه يقودنا الى غائية معاكسة حين يجعلنا نعتقد بوجود تصميمات عدوانية تقف وراء خلق العالم على هذه الصورة. وهذا الاعتقاد لا يأتلف مع النقد الفلسفي الذي ينتهي في المعتاد إما الى ابطال الغائية وما يلزم عنها من عقلانية الطبيعة أو الى القول بعقلانية الطبيعة مع انكار الغائية. وفي كلتا الحالتين انكار لوجود اله مريد للخير أو للشر. وليس في تاريخ الفكر الفلسفي تصور اله يخلق العالم بنوايا شريرة. ثمة فقط اله الظلمة في الزرادشتية وهو اقرب الى ان يكون شيطان من طراز شياطين الاديان السماوية التي تمتلك قدرات خارقة دون ان ترتقي الى مرتبة

الآلهة. واله المعري هو الاله الذي ارسل الانبياء واوجد الاديان الثلاثة. أي انه الاله المشترك في الفلسفتين الاسلامية والغربية وهو اله واحد وقدراته مطلقة وكلية.

هذا التصور في تقديري قد يرجع الى اسقاط سياسي واجتماعي: فكما ان الشر في المجتمع البشري ناشيء عن وجود الحكام الفاسدين الطغاة فينبغي ان يكون الشر في الطبيعة من فعل قوة حاكمة عليا.. ويأخذ التصور هنا صيغة اتهام تندرج في لائحة المعارضة للنظام السياسي والاجتماعي دون ان يفقد طبيعته الاصلية كنتاج لوعي فلسفي. ونصوص اللزوميات في هذا الجانب تختلط فيها عناصر شتى من الحس الاجتماعي والسياسي وروح المعارضة والمزاج الشعري، علاوة على الفلسفة. ونجد لهذه الاسقاطات امثلة لدى بعض المعاصرين من ذوي النزعة المعارضة للنظام السياسي والاجتماعي. كقول الرصافي:

اذا كنت عن رب البرية سائلاً فلا هو موجود ولا هو عادل

فنفى وجوده وعدله. وقول عبد المعين الملوحي.

سميت عبداً للمعين وانني لم احظ يوماً للمعين على اثر

وغرضه ان ينكر وجوده وعونه للناس. وهذا موقف سياسي واجتماعي في المقام الاول.

مهما يكن، فالمرء يشعر اذ يعيش مفاسد هذا العالم بطرفيه الطبيعي والاجتماعي ان شيخ المعرة اقرب الى الحقيقة في فهمه للوجود مع انه قد يكون في هذه النقطة بالذات ابعد عن اداء المهام المنشودة للتغيير الاجتماعي.. لقد تعامل هذا الاعمى مع طبيعة عمياء رآها تختلف عنه في سمة العدوان واللامعقولية ووضع يده على نقاط مشخصة من عدوانيتها ولامعقوليتها، فقدم الادلة الملموسة، وليس النظرية، التي تدحض فكرة الالوهية بنفيها العقلانية عن الوجود. وما لم يتحصن المرء بالمسلمات واليقينيات فلا بد ان يقتنع من ملموسيات المعري ان

هذا العالم لا يدبره عقل منظم. وستكون قناعة مزدوجة الفعل في باطن المنطق: لا تخرج الانسان من دينه فقط وإنما تثير الشك ايضاً في اسلوب معالجة الطبيعة بفلسفة الامر الواقع اللادينية حيث يكون الدفاع عن عقلانية الطبيعة طريقاً للوصول الى راحة العقل التي يسعى الدين لتوفيرها لاتباعه.

نتفحص الآن رأيه في الناس وهم ابناء الطبيعة والمجتمع في وقت واحد وعيوبهم ليست منفصلة عن هذين الابوين.. تظهر اللزوميات كراهية شديدة لآدم، بصرف النظر عن الاقرار بوجوده أو عدمه، مع استخفاف به وبحواء. والمعروف ان آدم معدود في الانبياء في حين يصر المعري انه لم يكن عاقلاً، وإلا لكانت ذريته عقلاء. وذهب بعيداً فاتهمه بالفجور مستنداً الى حكاية تزويجه ابنه من بنته معتبراً هذا الزواج من باب الزنا ومنتهياً الى القول بان البشر اولاد زنا.

وطبيعة الانسان شريرة والخير تطبّع يأتي على جهة الاستثناء. ولذلك يعيش الناس في صراع بين العقل والطبع يستغرق حياتهم كلها. والعدوان اصل في الانسان، وكذلك الجهل. ولا يتفاضل الناس في اخلاقهم لان اشرفهم قدراً يعيش طول عمره عبداً لبطنه وعضوه التناسلي. والفساد يرجع الى المنشأ فالماضي كالحاضر ولا وجود عند المعري للماضي الذهبي. ونظراً لتساوي الناس في الشر فلا وجه لتمييز التقي عن الفاجر لان عالم البشر خالي من الاتقياء. ولذلك اوصى في احدى اللزوميات ان يدفن بعد موته دون صلاة اذ لا يوجد في الناس رجل تقي يمكن ان تساعده صلاته عليه في عبور الصراط.. وقد يكون شرار الناس هم كبراؤهم وخاصتهم سواء منهم الحكام أم رجال الدين أم المثقفين. وقد اعتبر الادباء مسئولين عن تعميم الكذب، والشعراء مرتزقة وكذلك اللغويين، والمتكلمين. واستثنى الفلاسفة فلم يذكر احداً منهم بشر. ومن مجموع المسلمين لم يكن يبدو

راضياً إلا عـن اربعة هم عمر بن الخطاب وعلي بن ابي طالب وابو ذر الغفاري وعمار بن ياسر. وتعاطف مع الحسين بتأثير مأساته. ورأيه في محمد غير واضح. ومن الانبياء السابقين كان ايجابياً مع المسيح، بينما سخر من موسى وفضل نفسه عليه.. والمسيح اذا تجرد من الدين اقرب الى المعري من سائر الانبياء.

والنـاس عميان وبسبب ذلك دعاهم الى مساعدة الاعمى اذا مر بهم لانه مثلهم في الحقيقة. ويضيق ذرعاً بحالة الاقتتال السائدة بين الناس. واذ يعجز عن ايجـاد تفسير لهـذا الاصرار على التذابح يسلي نفسه بالقول انه جزاء لهم على ذبحهم للاغنام.. ويجري مقارنات بين البشر والحيوان فيفضل الاخير؛ ليس فقط في الاخلاق بل ومن حيث مفهوم السعادة.. ان الناس يعيرون بعضهم بعاهاتهم ولم يحدث ان عيرت الطيور الغراب بالعرج فقالت له: يا اقزل كما يقول الناس لبعضهم يا اعمى ويا اعور ويا احدب. والانسان يثير الحروب والحيوان لا يفعل ذلك. وتكاليف حياة الحيوان اقل من جهة الملبس والمأكل والمأوى. والحيوان متفوق على الانسان في دقة الصنعة، وضرب مثلاً في النحل والسرفة (بالضم حشرة تصنع لها بيت من العيدان الدقيقة). والحيوان الى ذلك متحرر من الدين واعباء التدين. واغفل الفرق في الحياة الجنسية التي تقتصر عند الحيوان على ضرورة حفظ النوع فلا تحتاج معظم انواعه الى الجنس إلا مرة أو مرتين في العام.

على ان نقـد المعري للناس ليس كنقده للطبيعة. فرغم انه يحيل عيوب اساسية فيهم الى منشأ طبيعي، لا ييأس من قدرتهم على التخلص من اوضاعهم. وعرض هو نفسه مشروع للهداية عليهم:

لو اتبعـوني ويحهم لهـديتهم   الى الحق أو نهج لذاك مقارب

وهذا اقرار منه بان التغيير ممكن، ولو انه جازف بادعائه القدرة على قيادتهم.

الثمن:

على الـذم بتنـا مجمعين، وحـالنـا
من الرعب حال المجمعين على الشكر

يلخص هذا البيت من اللزوميات محنة الناس مع الدولة. ان مساحة القمع في السياسة واسعة الى حدود تتسع لقلب الواقع الى نقيضه التام: الاجماع على الرفض يتحول الى اجماع على القبول. وهذا في العلاقة مع الدولة. ويمكننا ان نحمل البيت معنى غير بعيد عن هواجس صاحبه فنضعه ايضاً في مجال العلاقة مع السلطة الدينية، مع الاحتفاظ بالفرق ما بين الحالتين: ففي الاولى يكون الرعب عاماً يحاصر الجمهور والمثقفين ع السواء. وفي الثانية يكون المرعوب هو المثقف في المقام الاول، وربما الاخير.

واذ لم يجد ابو العلاء مفر من الكلام في السياسة مغالبا دعوته الى الصمت فقد كان عليه ان يغالب الرعب ايضاً. ولنتأمل: الرعب وليس مجرد الخوف. على انه لم يعدم الحيلة. وقد اظهر من الدهاء ما يكفي لتحاشي الوقوع في شرك السلطان. ان النقد السياسي في اللزوميات موجه الى الجميع وغير موجه الى احد: لا ذكر فيه للاسماء، وانما ذكرت البلدان في اقصى حالات المجاهرة.

ولعله كان يراه من جهد المقل، الحد الادنى الذي لا بد منه لاداء وظيفة الوعي.

ان ترك التسمية في نقد السلطة عامل صيانة هام. فقد قتل بشار بن برد على بيتين هجا فيهما المهدي العباسي بالاسم. والمعري اذكى من بشار. أو لنقل اكثر تماسكاً منه. على ان الاهم في عنصر الصيانة هو ان هذا النقد لم يخرج عن انفعالات مثقف ساخط على سلوك الحكام. اعني انه لم يكن شعار حركة منظمة تريد الاطاحة بالحاكم. عندئذ كان المعري سيلقى مصير الحلاج. وهو من طينة اخرى غير طينة ذلك القطب الذي كان يروم انقلاب الدول بالتعبئة المنظمة.

الاحساس بالقمع، الرعب من السلطة، يبقى ملازماً لاعمى المعرة الى

درجة نغصت عليه حياته:

ألـفنـــا بلاد الشـــام إلف ولادةٍ   لقينا بها سود الخطوب وحمرها
فطوراً نداري من سُبيعـة ليثهـا   وطوراً نصادي من ربيعة نمرها

سبيعة وربيعة (بالتصغير) رموز للحكام في بلاد الشام. نصاري: نداري.

ولم يخفف من هذا الاحساس لزومية دعا فيها الى طاعة الملوك وتحدث عن ضرورتهم للنـاس، فالاحسـاس بالـرعب يشتـد حين يعيش المـرء تحت سلطة يكرهها. وعندما يكره الانسان انساناً اقوى منه تختلط الكراهية مع الخوف. وهكذا خوف المعري من الدولة، ينشأ عن معارضتها ومقتها، ومن ثم نقدها، حيث تكون في هذه الحالة هي المصدر الوحيد للقمع. وفي نقد الدين يختلف الامر، اذ يتعين على المـرء ان يحسب حساب المؤسسة الدينية* وجمهورها، فضلاً عن الدولة. وقصة ابو العلاء هنا طويلة. وقبل الدخول في تفاصيلها اقدم الموجز التالي عن علاقة كل من الدولة والمؤسسة الدينية بقمع الفكر في الاسلام.

الدولة الاسلامية بعد الراشدبن تخلت عن الشريعة كمرجع وحيد للحكم. لم يعد مبدأ سيادة الشريعة هو الفيصل بين الخليفة ورعاياه، فقد الت السيادة الى الخليفة، الذي بدأ يتصرف، منذ معاوية بن ابي سفيان، كحاكم مطلق الصلاحية، وصار امره هو القانون. وكان من عواقبها ان فقدت الدولة جزء من وظيفتها الدينية كحامية للعقيدة التي استلمتها المؤسسة الدينية من عهدة الامويين.

وقـد سعى الخلفاء الى الاحتفاظ بالصفة الدينية فتمسكوا بألقاب خليفة

---

* المؤسسة الدينية تعبير (مجازي) اردت به الاشارة الى اربعة اصناف وجدت في العصور الاسلامية وهي: الفقهاء، أهل الحديث، اللاهوتيين والمفسرين. وهؤلاء لم تكن تجمعهم هيئة كالكنيسة وإنما اشتغلوا كأفراد. والتنظيم الوحيد الذي عرفوه هو العلاقة بين الشيخ وتلاميذه ومريديه، وفي عصر لاحق: مقلديه (بالنسبة الى الفقهاء). وكان هناك مكان لنشاطهم هو المسجد، الذي كان في نفس الوقت مرفق اجتماعي يتساوى في الاستفادة منه رجل الدين والناس العاديين.

وامير المؤمنين وامـام. واستحـدثوا لقب خليفة الله، ووجهوا الاعلام لتوكيد هذه الصفة التي نهض بها الشعر والخطابة في ايام الامويين وما بعدها، ودخلت في صياغة الادبيات الرسمية. بينما اختلفت المؤسسة الدينية حولها فأقرها وساهم فيها افـراد منهـا وافقوا على الاشتغال في الدولة أو استلموا المساعدة منها. ورفضها آخرون: كانوا اكثرية في القرن الاول ثم تقلص عددهم في القرون التالية. ولم يتهيأ للخلفاء احتكار هذه الصفة؛ فمن جهة بقيت المؤسسة الدينية مستقلة عنهم فلم تنـدمـج في الدولة ليكون لها نصيب في السلطة الزمنية، واستمر افراد منها يقاطعون الحكام لاسباب مختلفة، لا يخدمونهم ولا يأخذون منهم. ومن جهة ثانية كانت مهـام الحـاكم المسلم متعـددة يتعذر حصرها في ملاك خدمة الدين كما يصعب اداؤها على الحكم الديني الصرف. وقد تولى الحكم الاسلامي، بمركزيته الشرقية المفرطة، مسئولية بناء الدولة والمجتمع وتصرف كمحور لسيرورة الحضارة بشتى مناحيها المعقدة بينما ادت المؤسسة الدينية وظائفها المقتصرة على الدين في منأى عن/ أو بالتواصل مع الدولة دون ان تتوصل الى ان تصبح بديلاً عنها في قيادة المجتمع. وبهذا كانت الصفة الدنيوية غالبة على الحكام المسلمين الذين استقلوا بالسيادة واتبعوا في ادارة الحكم سياسات تغلب عليها المهام غير الدينية. ولم يكن معظمهم يرى غضاضة في ذلك، بل ربما رأينا العكس. فقد روى مثلاً ان شاعراً يدعى مروان بن ابي حفصة قال لصاحبه شاكياً انه مدح المأمون بشعر بليغ المعنى فلم يهتز له. فسأله عما قال فأنشده قوله:

أضحى امـام الهـدى المـأمـون منشغلاً

بالـــدين، والـنـــاس بالـــدنيا مشـــاغيل

فرد عليه صاحبه: ما زدت على ان جعلته عجوزاً في يدها مسبحة. فمن يقوم بأمر الدنيا اذا انشغل عنها؟

وأظهر الحاكم المسلم، بحكم موقعه هذا، المزايا المعتادة لرجل الدولة في

وسط يزاول نمو حضاري. وكانت الثقافة من الامور المألوفة في بيوت الحكام. ونادراً ما قفز الى السلطة حاكم امي حتى مجيء السلاجقة في المشرق بقدراتهم العسكرية وفقرهم الثقافي. بينما كان ملوك وامراء الاندلس متعلمين في جملتهم. وكذلك ملوك وامراء شمال افريقيا ومصر. وكانت الثقافة الادبية اغلب على الحكام المسلمين من الدينية. وتمتع العديد منهم برصيد من الكلام والفلسفة. وقد ترجمت علوم اليونان والهنود باشراف الخلفاء العباسيين وتخطيطهم وترعرعت الفلسفة وعلم الكلام برعاية مباشرة منهم. وكانت المؤسسة الدينية مناوئة لهذه العلوم فشنت الحملات على طلابها وسعت لاغراء السلطة بهم فوفقت في القليل وفشلت في الكثير.

خضع قمع الفكر من طرف السلطة السياسة وفقاً لمبدأ يرجع الى معاوية الذي كان يقول: «اننا لا نحول بين الناس وبين ألسنتهم ما لم يحولوا بيننا وبين السلطان. .» وتدل القراءة الغير- استشرافية لتاريخنا الثقافي على ان الاضطهاد كان يشتد مع المثقفين المتورطين في نشاط معارض. هكذا كانت ملاحقة الزنادقة ايام المهدي وابنه الرشيد وهكذا كان مقتل الحلاج وبشار بن برد. بينما سلم من القمع مثقفون اكثر عناية بالفلسفة من هؤلاء واكثر مجاهرة بالمروق لان اشتغالهم في الثقافة بقي خالصاً من السياسة.

وكانت الثقافة مسئولية شخصية للحاكم المسلم الذي يرجع اليه الفضل في حماية المثقفين اللائذين به ضد التكفير وما يتبعه من هدر الدم. وكان للمؤسسة الدينية جمهور وغوغاء قادرة على تحريكهم لتطبيق فتاويها. وقد شكل هؤلاء مصدر قلق للفلاسفة والمتصوفة والمتكلمين وكان ممكناً لهم ان يفعلوا بهم ما كانت تفعله الكنيسة الاوربية بمثقفي اوربا لولا ان السلطة الفعلية لم تكن في ايديهم. وترجع وقائع التنكيل خارج الغرض السياسي الى حالتين: استخدام الجمهور لارهاب المثقفين غير المرضي عنهم. ومن أمثلته تصرفات الحنابلة ببغداد في بعض الاوقات. ولم يصل ارهاب الجمهور الى ارتكاب جرائم قتل وإنما مضايقات

وحصار وشتائم. الحالة الثانية توصل المؤسسة الدينية الى التأثير على حاكم معين للتنكيل بمثقف معين. ومن امثلته قتل السهروردي بأمر صلاح الدين وابنه الظاهر بتحريض من فقهاء حلب*. وابعاد ابن رشد عن قرطبة بتدخل من فقهائها. وليس هناك معايير متبعة للتنكيل، فقد يقمع فيلسوف ذو مذاق ديني كالسهروردي بينما يسلم فيلسوف أو مفكر مجاهر بالكفر مثل ابو بكر الرازي. كما ان القمع لم يكن بالضرورة قتلاً، كانت هناك عقوبات اخف هي الغالبة كالسجن والابعاد أو المنع من التدريس ودخول المسجد. وكان المبعدون يجدون على الدوام ملاذات في مكان آخر من بلاد الاسلام. وفيما عدا بعض الزنادقة في زمن المهدي وابنه الرشيد لم يكن السجن يستمر مدى الحياة.

في داخل هذه المعادلات المتشابكة مارس ابو العلاء المعري نقد الدين: هاجم الانبياء بلغة قريبة من لغة الرازي وتجاوزه الى الطعن بحكمة الاله وعدالته مرة والى التشكيك بوجوده مرة. وندد بالمؤسسة الدينية باصنافها الاربعة من الفقهاء واهل الحديث والمفسرين ورجال اللاهوت وسمى الكثير منهم بأسمائهم. فكيف نجا وأي ثمن كان عليه ان يدفعه لقاء ذلك؟

يعرف ابو العلاء ان ثمن ما هو فيه قد يصل الى قطع الرأس. قال في رسالة الغفران بعد ان روى ميمية منسوبة الى شداد الليثي من عهد النبوة ينكر فيها القيامة: «ولا يدعي مثل هذه الدعاوى إلا من يستبسل وراءها للحمام ولا يأسف له عند الالمام. ص ٤١٤» - الحمام بكسر الحاء الموت - وتحدث في اللزوميات عن محنة الناس والمثقفين أمام القمع. وألقى بنظره بعيداً فتصور الامم وقد تحكم بها الجهال وتنطسوا في التنكيل بها لكي تستقيم على خطهم وهي مجبورة لا تملك امرها يحملها الخوف على التصديق والعقل على التكذيب. والشاعر قد يعمم وهو

---

* يقول ابن ابي اصيبعة في طبقات الاطباء (ص ٦٤٤ - ترجمة السهروردي) ان الملك الظاهر نقم بعد مدة على الذين افتوا بقتله واعتقل جماعة منهم واهانهم وأخذ منهم أموالاً عظيمة..

يريد التخصيص؛ فالامم لا تؤمن خوفا وإنما ينتشر فيها الدين وما في حكمه من النحل والعقائد ضمن سيرورة تأريخية. فالمقصود في اللزوميات ينبغي ان يكون افراد المثقفين الذين يعقلون امراً ثم يحملهم الخوف على القول بخلافه. أما الامم فتكـون ضحية الجهـال أو المغرضين من الحكام ورجال الدين حين يحدث ان تُستغل عقيدة الامة لمصالح فئات أو افراد ينخدع بهم الجمهور أو يتحكمون فيه بالقوة.

والقتل على العقيدة شائع. وقد يكون على تهمة لا تثبت:

قد يقتـــل الحـــر ومـــا دينـــه   في طاعة الله بمكلوم (مجروح)

والحر هذا قد يكون مفكر نظر فلم يوافق على تفسير سائد للعقائد وليس بالضرورة نظر فألحد. وحين يتفشى القمع تختلط الجهات ببعضها ويموت الناس بزلة لسان. والسبيل المسلوك الى ذلك هو التكفير، وقد هاجمه في لزومية رائية بيّن فيها ان الغواة من رجال الدين يكفرون المخالف لهم، على المخالفة لا على ما يوجب الكفر. ثم تساءل: وأي الناس يخلو من الكفر؟ وهذا سؤال كبير، فالتصرف مع المعتقدات يصعب ضبطه بحسابات رياضياتية، والنصوص المقدسة تستحمل التأويل لما فيها من المتشابه الذي يتقبل وجوه عديدة، كما ان الاجتهاد في الاحكام من اصول الشريعة، وقد يصل الى الكلام في العقائد على رأي بعض المعتزلة الذين اعتبروا الاجتهاد في الفقه شامل للاجتهاد في اصول الدين تبعاً لما يسمونه الاجتهـاد في العقليات. والكفـريقع ايضاً في السلوك الشخصي ما دام يتعذر وضع معايير تنظم وتقنن تطبيق الاحكام الشرعية بحرفيتها.

وفي لزومية على الباء اورد من امثلة ما يؤدي اليه الخوف من مصاعب لاهل الفكر تغريق سفيان الثوري لكتبه. وسفيان فقيه ومحدث وصاحب موقف سياسي واجتماعي من القرن الثاني. وكان من قادة حركة المقاطعة للعمل في الدولة. وقد مات مختبئاً واوصى ان تغسل كتبه بعد موته لمحوها. وكانت له آراء في رجال الدين

لا بد انها استهوت المعري. ولا يعرف ماذا كانت كتبه تحتوي فأوصى بمحوها.
وفي هذه اللزومية يكشف ان القمع لا يوفر اعضاء في المؤسسة الدينية، كما اننا قد نلمس فيها تلميحة عذر لمن يتراجع أمام الخوف.

يكتشف دارس المعري حصافة تتوازى مع التهور. اللزوميات ليست كلها نقد للدين ففيها من دلائل الايمان اكثر مما فيها من دلائل الكفر. امام كل لزومية يشتم فيها الدين اكثر من لزومية تدافع عنه أو تندد بالملحدين. كان الثمن لقاء نقد الدولة لزومية واحدة دعت الى طاعة الملوك. أما ثمن التحرش بالدين فكان باهضاً.

والفرق لا يرجع الى سهولة نقد الدولة وصعوبة نقد الدين، فالامر كما بينا كان بالعكس، وإنما سهلها على نفسه بمهاجمة ارباب الدولة دون ان يسميهم. ولم يكن هذا ممكن في نقد الدين الذي يضع صاحبه وجهاً لوجه امام الانبياء والكتب المقدسة، فكان على المعري ان يحتاط بمتاريس وخطوط دفاع يخفي وراءها مواقعه.

قلت لشيخي الجليل عبد المعين الملوحي: انا منزعج من جبن المعري. فأجابني كان الاولى ان تنزعج من جبننا نحن أهل هذا العصر. وأوصاني ان لا اجور عليه.

ومن دون ان اخالف وصية الشيخ اطال الله بقاءه، اقول ان صاحب اللزوميات كان مخطط دفاع من طراز فذ. وقد ظهرت مواهبه الدفاعية في منثوراته، كما في منظوماته. ففي المنثورات اظهر قدرة فذة على المناورة. ولعله قد استقى من تجربة ابو حيان التوحيدي، الزنديق الخطر. الذي لم يفصح عن زندقته كما يقول ابن الجوزي، فكان يبث آراءه الالحادية على لسان آخرين يروي ما يقولون أو ما يريد ان يقوّلهم بعد ان يشتمهم ويتبرأ منهم. وهناك تماثل بين رسالة الغفران وبين الفصول التي احتوت هذه الآراء من كتاب «الامتاع والمؤانسة» الذي قد يكون افضل كتب ابو حيان. واتبع في رسالة الغفران طريقة في التستر تقوم على

استخفاف ذكي، خفي على بعض الناس وادركه الحاذقين منهم*.. ولنذكر هذا المثال عن حصان وحمار وحش وجدا في الجنة، فلما سأل عن السبب الذي استحقا به هذه المنزلة العظيمة قيل له عن الحصان ان نفراً من المؤمنين نفد زادهم في الطريق فاصطادوه وذبحوه لطعامهم. وعن حمار الوحش ان احدهم اصطاده وجعل إهابه (جلده) اناء يشرب منه الصالحون (ص ١٩٠ من ط بنت الشاطىء). والاستخفاف هنا خفي لا ينكشف للقارىء إلا بعد توصيله بمسألة تحريم ذبح الحيوان وأكل اللحم واستعمال الجلد (في لزومية على الشين اخبرنا ان حذاءه لم يكن من الجلد بل من الخشب).. ويكاد هذا الضرب من الاستخفاف يتوارى خلف ايمان صادق يحمل صاحبه على الاهتمام بأكل المؤمنين وشرابهم. وهكذا كانت توحي لغته المنثورة بحيث ان كتاباً مثل «الفصول والغايات» ينشر بوصفه من كتب المواعظ مع ما فيه من السخرية بالذات الالهية.

هذه الطريقة في التستر مفيدة امام القضاء الذي يعتمد على الظاهر في اصدار احكامه ولا يلجأ الى التأويل أو المقارنة بين النصوص إلا حين يكون القاضي مغرض. ولو ان المعري حوكم على اللزوميات لامكنه الدفاع برسالة الغفران: امام القضاء وليس امام النقاد المحايدين! على ان دفاعاته ماتزال فعالة حتى اليوم وقد استخدمها محاموه المعاصرون من الادباء الذين أُعجبوا ببراعاته المتعددة وأدبه الغني وربما بشخصيته، وعز عليهم ان يفقدوه. وللمعري اصدقاء كثيرين من هؤلاء. وقد اختصه ابن بلدته محمد سليم الجندي بثلاث مجلدات جمع فيها ما كتب عنه في المصادر القديمة وكرس منها فصول مسهبة لاثبات ايمانه ودفع الزندقة عنه. ومما اشتملت عليه لوائح دفاعه فقرة من رسالة الغفران سئل فيها الجني ابو هدرش عن الرجم بالشهب فقال: «زاد في اوان المبعث». وتمسك بها

* الذهبي مثلاً، وقد اعتبر رسالة الغفران من اردأ ما كتبه وقال انها تحتوي على مزدكة وفراغ - سير اعلام النبلاء ١٨/ ٢٥.

الجندي لينكر دلالة الكفر في لزوميه انكرت هذا الخبر وهي .

ولست اقــول ان الشهب يومـاً لبعث محمــد جعلت رجـومـاً

والانكـار هنا صريح ومباشر. اما ما ورد في رسالة الغفران فهو استخفاف فمؤلفهـا لا يؤمن بالجن وابـو هدرش شخصية روائية اختـرعها ليعطيها دور في احـداثهـا. وقـد تعـارف الادبـاء على استخـدام الاسـاطير والمعتقدات الدينية والخرافات في العمل الادبي من قصة أو رواية أو شعر ولا يعني ورودها في نص ان صاحبـه مؤمن بهـا. (انـظر الجامع في اخبار ابي العلاء المعري ٣/١٣٠٥ من ط دمشق ـ مجمع اللغة العربية ـ).

في اللزوميات لا مجال لهذا الشكل من التعمية لان الشعر لا يساعد على التبسط والتوسع الذي يقتضيه التلاعب بالافكار والتصرف في العبارات في ادب السخـرية والاستخفـاف. فاستعمل بدلاً من ذلك وسائل للتمويه تمترس خلفها لاعلان ارائه الصريحة بالتعبير المباشر. ومتاريسه هذه عبارة عن لزوميات مؤمنة تحيط باللزوميات المارقة لتضليل النظر عنها. وليس في هذه اللزوميات معنى التوبة أو البراءة لانها تتداخل مع اللزوميات المارقة، ولا تأتي في نهايتها من حيث الترتيب المكاني في الكتاب ولا الزماني في التأليف. أما موضوعاتها فتدور على الايمان بالله واليوم الآخر والتنديد بالزنادقة والاقرار بالعقائد. ويلاحظ ان اللزوميات المؤمنة لا تقصـر عن المـارقة في مستواها الفني، واحياناً في حرارتها. ويرجع ذلك في المقام الاول الى اتساق شاعرية متكاملة اللحظات بصرف النظر عن موضوعاتها . .

سئل الكميت بن زيد: «انك قد اجدت في مدح الامويين كما اجدت في مدح الهاشميين» وكان قد مدح الامويين خلاصاً من القتل فقال: «لاني اذا قلت شيئاً احببت ان احسن» على ان اللزوميات المؤمنة / الناشئة في الاصل عن الرعب/ قد تعكس في بعض حالاتها محاولة غير واعية للتكيف مع مصدر الخطر. وفي مثل هذه الحـالات يمكن ان لا نستبعـد انقلاب تاكتيك الدفاع الى استـسلام نفسي يتقمص فيه سبب الرعب ليعيد انتاجه في صيغة تجربة ذاتية قد تتأصل بحيث تصل

الى حد النيابة عن الجلاد. وهذه حالة قصوى من التقمص ذو المنشأ الدفاعي يفقد فيها مفكر مذعور توازنه العقلي فينقلب في لحظة ما الى موقع الضد. وعلى هذا الاساس يمكن ان نفسر لزوميات دعا فيها الى قتل الملحدين. ولم يكن في زمانه بالذات من هو اكثر الحاداً منه اذ ان موجة الالحاد التي قادها ابن الراوندي والرازي قبله بأكثر من قرن كانت قد خفت. . وإنما صعّدتها لزومياته، بل وفاقتها خطراً لانها اخـذت صورة النظم، والنظم يسهل حفظه وانتشاره بخلاف المقولات الفلسفية المنثورة التي يصعب فهمها ناهيك عن حفظها. . ان تأصل لزومية مؤمنة الى هذا الحد يؤشر حالة من عصاب التعاشق بين المقموع والقامع تحدث حين يتجاوز القمع أو الخوف منه قدرة الضحية على الدفاع. غير ان هذه اللحظة لا تتأبد عند المعري. فهو يتنقل في الاحوال بين القبض والبسط تبعاً لامتحانات الارادة التي يجريها في حلبة الصراع والتي تنعكس في لزومياته باخفاقاتها ونجاحاتها فتوجد هذا التناقض في افكاره كما في استعداداته لتحمل العواقب: ثمة لزوميات يدعو فيها الى المغامرة والاستعداد للموت وعدم التردد في الاعلان عن الرأي ويستنكر النفاق ويجانس بينه وبين النفق (المضيق والمأزق) واخرى يعترف فيها انه ينافق ولا يقول الحقيقة خوفاً على نفسه. واستعان بمثل شعبي، والامثال الشعبية في عمومها تدعو الى الاتكال والاستسلام، ليؤكد على وجوب المداراة. والمثل لايزال متداول بين العوام وهو قولهم: «اليد اللي ما تقدر على قطعها ـ أو كسرها ـ قبلها». وفي مقطوعة ميمية وضـع سلمـاً للصدق والكذب فدعا الانسان الى قول الصدق والثبات عليه الى ان يشعر بتفاقم الخطر فعندئذ يجب ان يكذب قائماً وقاعداً. . واعتبر الكذب في هذه الحالة مثل أكل الميتة للمضطر الذي لا يجد طعاماً (اللحم لا يؤكل إلا من حيوان يذبح حياً والحيوان الميت لحمه حرام) واعتبر الحق من باب الماء المباح الذي قد يحرم شربه بأمر الطبيب.

وعبر عن الكذب والنفاق في بعض اللزوميات بالمجاز وقال ان كلامه يجري عليه. وفي هذين البيتين يقرن بين الكذب والمجاز فيقول:

تعـالـى الله فهـو بنـا خبير قد اضطرت الى الكذب العقول
نقـول على المجـاز وقد علمنا بان الامـر ليس كمـا نقـول

ولا شك ان المجاز ـ الكذب الذي يقصده هو لزومياته المؤمنة، فهو مضطر الى اعلان ايمانه وغير مضطر الى اعلان كفره. اعني ان جهة الارغام والقسر كانت في زمانه، كما هي في زماننا، تعمل لصالح الايمان وليس لصالح الالحاد.

الى جانب اللزوميات المؤمنة، اتبعت اساليب تحايل لتمرير لزوميات مارقة. منهـا ان يذكـر المسـألـة الالحادية ثم يشتم القائلين بها، على طريقة ابو حيان التوحيدي. قال عن موسى:

تقـدم صاحب التـوراة موسى واوقـع في الخسـار من اقتراها
وقـال رجـاله: وحـي أتـاه وقـال الـظالمـون بل افتـراهـا

والظالمون هؤلاء هم اصحابه، سماهم ظالمين لئلا يحسب عليهم. ودليلنا انه هاجم موسى في البيت الاول وجعل اتباعه من الخاسرين. فالظالمون اذن من باب الكذب ـ المجاز.

وأراد ان يثبت قوله بأزلية العالم فقرره على هذا النحو:

أرى زمـنـا تقـادم غير فانٍ فسبحـان المهيمن ذي الجلال

في صدر البيت فكرة فلسفية مكفرة. وفي عجـزه تسبيحـة لا علاقة لها بالفكرة. وإنما سبح للتعميمة.

وجمع في لزومية اخرى بين ازلية الخالق وازلية الزمان. والاولى عقيدة دينية والثانية مذهب فلسفي:

خالـق لا يشـك فيه قديم وزمـان على الانـام تقـادم

ويجب ان يكون الشطر الاول غطاء للثاني لان الاول مؤمن والثاني مارق.

وفي تاكتيك آخـر يعلن رأيه بصراحة ثم يعقب عليه بالدعوة الى الصمت

وتحاشي الجرأة في الكلام. قال:

ولست اقـول ان الشهب يومـاً لبعث محمـــد جعلت رجـومـا
فامســـك غرب فيك ولا تعــوَّد على القـول الجـراءة والهجوما

الغرب: الدلو.

ولـو لم يرد جور البزاة على القطا مكـــوّنهـا ما صاغهـا بمنـاسـر
رأيت سكـــوتي متجـراً فلزمتـه اذا لم يفد ربحاً فلست بخاسر

المنسر: منقار الجوارح.

في اللزومية الاولى طعن في خبر قرآني وفي الثانية حمل الخالق مسئولية العدوان في الطبيعة. وفي كلتا اللزوميتين دعا الى الصمت وعدم التجرؤ بعد ان اعلن رأيه. وهذا التكتيك فاشل وربما ادى الى عكس المطلوب. فاعلان المرء رأيه بهذه الصراحة ثم القول فيما بعد انه يخاف من الكلام ويتحاشى الجرأة هو تثبيت للتهمة يعطي الخصم حجة كافية لادانته، فهو لو لم يشعر انه ارتكب مخالفة لم يسرع للتنصل بالدعوة الى السكوت. ان المتبع في اعلان التبرؤ من مخالفة دينية هو الاستغفار والتسبيح أما الدعوة الى السكوت فدليل على سوء النية.

عموما، خدمت هذه الاساليب اغراضه في التعمية على المؤسسة الدينية بحيث حالت دون الاتفاق على قرار بشأنه. وقد اختلف رجال الدين على اختلاف فئاتهم في امر معتقده: أمؤمن هو أم كافر؟ وبفضل اختلافهم لم تصدر فتوى بتكفيره ومن ثم اباحة دمه. وما حصل له من هذه الجهات مساعي افراد من رجال الدين، وربما من الادباء بدافع شخصي، لاغراء السلطة به. وكان مركز السلطة بالنسبة لمعرة النعمان مدينة حلب، كبرى مدائن الشام، ومن يتولاها يتولى المعرة ويكون امره نافذ فيها. وهناك ما يدل ان محنة عظيمة مرت به بسبب محاولة من هذا القبيل. أورد سبط ابن الجوزي في مرآة الزمان (مخطوط. والرواية عن تعريف القدماء بابي

العلاء ص ١٥٤) عن يوسف بن علي احد كتابه انه املى عليه ابياتاً بعد ان ارجفوا به الى صاحب حلب. وقد وصلتنا الابيات كاملة وفيها يتبين ان المرجفين كانوا يسعون لقتله. ونوردها فيما يلي بتمامها لنطلع على جدية الخطة التي استهدفته.
قال في المطلع:

استغفر الله في أمني وأوجالي من غفلتي وتوالي سوء أفعالي

ثم قال يعتذر لعدم حجه، مما يفهم منه انهم ادخلوا عدم الحج في التهم الموجبة لتكفيره:

قالوا هرمت ولم تطرق تهامة في مشاة وفد ولا ركبان أجمال
فقلت اني ضرير، والذين لهم رأي رأوا غير فرض حج أمثالي
ما حج جدي ولم يحجج أبي وأخي ولا ابن عمي، ولم يعرف منىً خالي
وحج عنهم قضاء بعدما ارتحلوا قوم سيقضون عني بعد ترحالي
فان يفوزوا بغفران افز معهم أو لا فاني بنار مثلهم صالي
ولا اروم نعيماً لا يكون لهم فيه نصيب وهم رهطي وأشكالي

وتحدث عن المحاولة وفشلها:

باتوا وحتفي أمانيٌّ مصورة وبت لم يخطروا مني على بالي
وفوّقوا لي سهاماً من سهامهم فأصبحت وُقّعاً عني بأميال
لقيتهم بعصا موسى التي منعت فرعون ملكاً، ونجت آل إسرال

وبعد هذه المكابرة ضد المتآمرين اخذ يقدم الادلة على صحة ايمانه:

اقيم خمسي، وصوم الدهر آلفه وأدمن الذكر ابكاراً بآصال
عيدين افطر من عامي اذا حضرا عيد الاضاحيّ يقفو عيد شوال
وأعبد الله لا أرجو مثوبته لكن تعبد إعظام وإجلال

اصـــون ديـنـي عن جعـــل أؤمـلـه   اذا تعبـــد أقــوام بأجعــال (أجــور)
من لي برضـــوان أدعـوه فيرحمني   ولا أنـــادي مع الـكـفـــار يا مالي

رضـوان: خـازن الجنة. مالي: مرخم مالك خازن النار.. حرّف هذا البيت في بعض الروايات الى: ولا انادي مع الكفار أمثالي..

احتياطاً من مفاجآت كهذه كان عليه ان يتملق السلطة ليضمنها الى جانبه، فألف عدد من الكتب باسم بعض الحكام المتنفذين في الناحية ووجه كتب اخرى ورسائل الى آخرين منهم بناء على طلب منهم أو التماس من احد اقاربه كانت لديه حاجـة عند الحاكم. وبعض هذه المؤلفات لا تختلف في مضامينها عن مؤلفاته الاخرى بعد استبعاد عبارات التملق التي تظهر في فواتحها أو في تضاعيفها. وقد نثر فيها افكاره الالحادية على طريقته في الاستخفاف. ويقول ياقوت في معجم الادبـاء (١٥٦/٣) «ان هذه الكتب المسئـول في تأليفهـا إنمـا تكلفها من فرط الحياء». وهذا بقدر ما يخص الكتب التي طلبها منه اقرباؤه أو اصدقاؤه. أما الكتب التي ألفها بناء على طلب من الحكام أو مبادرة منه فان الدافع اليها يجب ان يكون الخـوف والاضـطرار الى التملق، اذ الانسـان يخجل من الناس العاديين لا من الحكام. وبالطبع فهو لم يقبض شيء مقابلها.

ومن بين مؤلفـاتـه المـذكـورة ينفرد أحدها بكونه كتب في حاجة شخصية تخصـه. عنـوان الكتـاب (الـرسـالـة السندية) نسبة الى سند الدولة والي حلب للفاطميين. والباعث عليه كان قضية ضرائب فرضت على ملك له في المعرة أو بسبب محاولة تحرش من السلطات به. وكان قد ورث هذا الملك موقوفاً عن اسرته واتخـذ منـه مصدر عيشه الوحيد. والكتاب بمثابة استرحام للحفاظ على المورد المتأتي من الملك. ولعلنا لا نحتاج الى التذكير بان الاملاك الشخصية كبرت أم صغـرت لم تكن لها حرمة عند عتاة السلطة الشرقية التي كانت تتصرف بوصفها المالك النهائي للاشياء. ومن الثابت على أي حال انه احتفظ بهذا الملك طيلة حياته. وقد ذكره في مراسلاته مع داعي الدعاة الفاطمي وكانت قد حصلت في

ايامه الاخيرة. وقال ان معيشته تعتمد على المورد الزهيد الذي يأتي منه وهو نيف وعشرون ديناراً في السنة*. وتحدث عن الوقف القفطي في (انباه الرواة ١/٤٦) عند التطرق الى معيشته قال: «... ولم يكن من ذوي الاحوال في الدنيا وإنما خُلّف له وقف يشاركه فيه غيره من قومه. وكانت له نفس تشرُف به (تترفع) عن تحمل المنن فمشى حاله على قدر الموجود...». وهناك رواية للقفطي في نفس المصدر وللذهبي في سير أعلام النبلاء (٢٥/٨) انه اثار قضية الوقف في بغداد عند زيارته لها فلم يجد استجابة من احد. وعندئذ يجب ان يكون تأليف الكتاب خطوة اضطرارية تالية.

كان تملق السلطة ضروري لتحييدها أو طلب حمايتها. وكما بينا فالسلطة الاسلامية منحت المثقفين الحماية ضد رجال الدين. وكان هذا يتم على العموم بقبول المثقف رعايتها له والقبض منها. وهكذا كان شأن عامة الفلاسفة والعلماء والاطباء والادباء وبعض المتكلمين. وهؤلاء ساعدتهم الدولة ليس فقط على

---

* ذكر الرحالة الفارسي ناصر خسرو في «سفرنامة». ان معرة النعمان كان يحكمها رجل اعمى يدعى أبا العلاء. ووضع طه حسين لهذا الزعم احد احتمالين: اولهما انه تملكها من صالح بن مرداس الذي فك عنها الحصار بشفاعته. وذلك بدليل قوله: «قد وهبتها لك» لكنه لم يوظفها لنفسه»، الآخر انه رأى شهرة المعري ونفوذه فعبر عن ذلك بالملك (ص ١٧٩ - ١٨٢ من المجلد العاشر من اعماله الكاملة - بيروت ١٩٧٤) وانا اميل الى الاحتمال الاخير مستنداً الى ان نفوذ ابو العلاء كان لا بد ان يقوى بعد ان انقذ البلدة من الاجتياح، وكان لا بد لاهلها ان يتصرفوا معه كمنقذ وحامي. ورأى ذلك رحالة غريب قليل الدراية بلغة الاهالي فقال انه يملك المعرة. ومن شأن الرحالة تضخيم الظواهر التي يشاهدونها أو تحكى لهم. والاكثر دلالة من هذا كله ان احداً من مؤرخيه لم يذكر انه كان والياً. وما كان يفوتهم هذا الخبر الهام بعد ان بحثوا كل صغيرة وكبيرة في حياة الرجل. واود التنبيه اخيراً ان عميدنا قد اساء فهم عبارة «وهبتها لك» فهذه العبارة كان القدماء من الحكام ينطقون بها حين يعفو احدهم عن محكوم بشفاعة آخر فيقول له الحاكم: «قد وهبته لك» ومؤداها اني عفوت عنه اكراماً لك، فهي تفيد العفو لا التمليك.

العيش في امان ضد اباحة الدم الناتجة عن التكفير وإنما ايضا على العيش في رفاه بما اغدقته عليهم من اموال. ومن هذه الناحية كان مسلك المعري مختلف، فقد اتجه الى تقنين علاقته بالسلطة بالتملق لاربابها مع ابقاء مسافة بينه وبينهم تصونه عن قبول الرعاية والتمويل. وكان مع مبدأ مقاطعة السلطة، الذي شرعه مثقفي القرن الاول وتبناه في القرون التالية اقطاب الصوفية مع افذاذ من فئات المثقفين الاخرى.

مصدر خوف آخر عاش المعري يراقبه طول حياته هو جمهور المقلدين لرجال الدين من عامة الناس. والجمهور بطبيعته اقرب الى رجال الدين منه الى المثقفين. وكان بمقدور رجال الدين تحريكه بالفتاوى لاغراض مختلفة. أما المثقفين فعلاقتهم بالنخب المتعلمة الضعيفة الصلة بالعامة. على ان نجاح رجال الدين في تحريك الجمهور كان يتفاوت تبعاً لطبيعة الغرض. ومن المعتاد ان تكون الاستجابة عالية اذا كانت هناك ظروف توجب التعبئة ضد خطر خارجي كالغزو الافرنجي (الذي يسميه المعاصرين خطأ بالصليبي) أو الغزو البيزنطي. وتنزل الاستجابة الى درجة ادنى بكثير حين يتعلق الامر بحدث داخلي. ومن طبيعة الحدث الداخلي عند المسلمين الاختلاف عليه، بعكس الحدث الخارجي المتعلق بالغزو. ومن هذه الاحداث الداخلية اتهام شخص ما بالمروق من جانب واحد أو عدد من رجال الدين والافتاء بتكفيره أو تبديعه*. في حالات كهذه يندر ان يحدث هياج عام، وإنما تأتي الاستجابة غالباً من فئات معينة من الجمهور يصدق عليها وصف الغوغاء الدينية. وكان لهذه الفئات حضور شبه منظم في الحواضر والمدن الكبيرة ويتحكم في تحركاتها رجال دين من مذهب أو طائفة معينة. ومن جماعات الغوغاء التي اشتهرت في العصور الاسلامية هي التي كانت تحركها الحنابلة. وكانوا قد طغوا على بغداد في اوائل الرابع الهجري وتأذى بهم أهلها، مما اضطر السلطة لملاحقتهم فأصدر المقتدر منشور يندد بهم ويهددهم

---

* التبديع الاتهام بالبدعة وهي الهرطقة.

اذا واصلوا التحرش بالناس. ومن مشاهدهم المشهورة محاصرتهم منزل المؤرخ الطبري ومنع الناس من الدخول عليه، ثم منعهم من الاعلان عن موته لئلا يشيعه النـاس (لسـان الميزان لابن حجـر ١٠٢/٥) فعلوا هذا به مع انـه سلفي مثلهم لانـه اعتبـر احمد بن حنبل امامهم، محدث لا فقيه. وربما كانت للغوغاء الدينية فسحة أوفر للنشـاط في المعـرة وغيرها من انحاء الشام بسبب تخلخل اوضاع السلطة هناك وانعدام الحكومة المركزية في عموم بلاد الشام. وفي تقديري ان المعري سلم منهم رغم ذلك لسببين: نفوذ اسرته في البلدة وهي اسرة قضاة ووجهاء، والخوف من الحكام في حلب/ لاسيما وان رجال الدين لم يتمكنوا من استدراج احد منهم ضده. ولا شك انهم كانوا مستعدين لحمايته كدأب زملائهم مع سائر الفلاسفة والمفكرين. ولعل هذا ما كان يعنيه في هذا البيت من لزومية عن الملوك:

ان يظلمـوا فلهم نفع يعاش به   وكم حمـوك برجـل أو بفـرسان

رجل بفتح الراء وسكون الجيم: رجالة.

قد يتساءل المرء عن سر هذا الهلع من انسان متبرم بالحياة يتمنى الموت ويستحثـه ليتخلص من عالم يعيش فيه مضطراً.. فهل كان المعري يخاف من الموت حقاً؟ من جهتي استبعد ذلك وانا اميل الى تصديقه في تمنيه واستعجاله. إلا اننـا نجـد حاجة الى التفريق بين الموت الطبيعي على الفراش والموت قتلاً وتعذيباً بأيدي الجلادين. وهنا يمكنني ان اجزم ان ابو العلاء المعري لم يكن على استعداد للتورط في مغامرة كهذه. ولئن كنت اصدقه في تمني الموت فليس لدي من الاسباب ما يجعلني اصدقه في دعوته الى الموت في الحرب بدلاً من التشكي والتأوه على الفراش. على الاقل هو لم يكن يعني بها نفسه. وقد رجحت في موضع سابق انه كان يستنهض بها امراء الشام للتصدي للغزو البيزنطي. ان هذا الشكل من الموت لا يتجرعه امثال هذا الشيخ الاعمى الذي يرتاع لصليل السيوف ويطمئن

لحالة اندماج طبيعية تنفصل فيها روحه عن جسده لتذهب الى المجهول بعد ان تكون قد عبرت اطوار النضج والتجوهر في عالم المادة.

وبنفس الاعتبار كان لا بد ان يكون قد فكر في البهدلة على أيدي الشرطة أو الغوغاء. وهو لفرط حساسيته تؤرقه الكلمة النابية تبلغه عن بعد فكيف حين يواجه بها من جلاوزة الدولة أو الدين؟ وما يتوقع ان يلقاه من هؤلاء اكثر: نزع العمامة ولفها حول العنق وسحبه منها، نتف اللحية، والصفع. وقد تجيء هذه كمقدمات للتعذيب ومن ثم القتل اذا صارت القضية في أيدي السلطات.

ويبقى في وسعنا ان نقول ان المعري بالغ في الخوف لان الخطر في الواقع لم يكن بتلك الدرجة من الشدة. ففي عصره لم تكن السلفية قد انفردت بعد بالناس. وكان الفكر التنويري الذي تعززت مواقعه بفضل العباسيين الاوائل، اذا استثنينا المهدي الذي حكم ثمان سنوات فقط، يواصل نشاطه تحت رعاية حكام متحضرين. كان هناك البويهيين في المشرق والفاطميين في مصر، وكلاهما رعاة ممتازين للثقافة. وعصر المعري كان هو عصر ابن سينا المولود بعده بسبع سنوات والمتوفى قبله بعشرين سنة، وابن سينا هو مرسخ الفلسفة الاسلامية بمجمل ما طرحته من هرطقات. وكان قد سبق ذلك تراث من نقد الدين يرجع الى القرن الاول ويتبلور على يد ابن الراوندي ثم الرازي الذي وجه اجرأ نقد فلسفي للاديان. وقد تكاثر مريدو هذا التراث وناشروه بحيث يقول علي بن عقيل الحنبلي (٤٣١ - ٥١٣ هـ) وقد ذكر المعري وبعض نظرائه في الزندقة: «وما سلم هؤلاء من القتل إلا لان ايمان الاكثرين ما صفا بل في قلوبهم شكوك تعتلج». . (المنتظم لابن الجوزي ١٨٥/٨) ولعلم القارىء فان ابن عقيل هذا لم يكن صافي الايمان وكان يعظم الحلاج فأراد اصحابه الحنابلة قتله فتوارى عنهم عدة سنين ولم يجرأ على الظهور مرة اخرى إلا بعد ان اعلن توبته. . في مناخ كهذا يجعل الحنبلي حلاجياً وتعتلج فيه شكوك الاكثرين فلا يصفو ايمانهم عاش المعري وكتب. فليس من الغرابة ان ينجو مع من نجا من سابقيه ولاحقيه.

ويبقى الثمن مطلوباً في كل حال وسأختم هذا الاحصاء لمحنة الرجل بالكتاب الذي ألفه كارهاً. كارهاً لا لانه موجه لحاكم معين بل لما تضمنه من شروح كتبها وهو غير مقتنع بها. اعني بهذا الكتاب «زجر النابح» وكان من مفقودات كتبه ثم صدرت له طبعة ضمت بعض فصوله حققها امجد الطرابلسي ونشرها مجمع اللغة العربية بدمشق سنة ١٩٦٥. وورد في سبب تأليف الكتاب ما هو مثبت في الجزء المطبوع منه عن معجم الادباء (١٥٣/٣): ان بعض الجهال تكلم على ابيات من لزوم ما لا يلزم يريد بها الشر والاذية وطعن عليه فيها فنسبه الى الكفر، فألزم ابا العلاء اصدقاؤه كتاباً يرد فيه على من طعن عليه فأنشأ هذا الكتاب وهو كاره».

يتناول «زجر النابح» ما في اللزوميات من نصوص الحادية فيؤولها بطريقة لغوية تدفع عنها معنى الكفر. وقد اعتبرها محقق الكتاب دليل قاطع على براءته.

ومثل هذا الكلام لا يجوز في حق ابو العلاء لانه يقوم على افتراض ارتكابه ما يوجب البراءة. وهو كما عرفناه انسان كامل لم يصدر عنه في حياته إلا اللمم واللمم كثير على امثاله. وكان المطلوب من المحقق بعد ان اثبت رواية ياقوت عن سبب تأليف الكتاب في غلافه الخارجي ان لا يحمل ما جاء فيه على محمل الجد. ذلك لان المكره لا يبحث عن براءة ذمة لانه يعلم انه غير مذنب وإنما يلجأ الى التحايل لاخفاء مدلولات عرضته للخطر من غير ان ينوي التخلي عن قناعاته مادام قد تصرف على هذا النحو تحت الاكراه. ولدى الرجوع الى القسم المطبوع من زجر النابح نجد التكلف واضحاً في تأويلاته بحيث يبدو عاجزاً عن اقناعنا بهذه البراءة التي يريدها له محاميه الطرابلسي. وقد سبقنا الى الوقوف على هذه الحقيقة شاعر وناقد للشعر معروف هو ابن نباته (بضم النون)، ففي كتابه «مطلع الفوائد» الصادر في دمشق بتحقيق عمر الباشا، نقل عن زجر النابح تأويله للزوميته التالية التي انكر فيها القيامة:

خذ المــرآة واستخبـر نجـومـاً تُمِــرُ بمـــطعم الأري المشـور
تدل على الحمــام بلا ارتياب ولـكـن لا تدل على الـنشـــور

الأري المشور: العسل المجنى. الحمام بالكسر: الموت.

ودلالتها قاطعة في انكار القيامة. وقد أولها في زجر النابح بتكلف شديد علق عليه ابن نباته بقوله (ص ١٤١):

«وتشدق ابو العلاء في هذا الجواب. وكم يريد ان يهرب من الكفر سامحه الله وغفر له». .

وفي الكتاب نكتة دالة نشرحها فيما يلي:

بتمكن في قرارة ابو العلاء مزاج منافر للاديان. والمزاج في حالة من هو مثله يتكون لاحقاً كنتيجة للوعي المعقلن. اذ ان النفور من ظاهرة ايديولوجية لا ينشأ عن الفطرة وإنما يترتب على التفكير الزائد عن الطبع، واللاحق لمرحلة التعلم، بمعنى انه خطوة تأتي بعد ان ينتقل الفرد من طور الطفولة، ثم من طور التعلم. وعندما يقترن التفكير بالتعمق في حقائق الاشياء يتكشف عن نتائج معرفية تترتب عليها مواقف. وحينئـذ يتكـون المزاج المنافر أو الموافق للظاهرة. وقد ترسخ لدى ابو العـلاء مزاج ضد ـ ديني كنتيجة لثقافته الواسعة العميقة وشدة تغلغله في قضايا الحياة والوجود. وبسبب رسوخ هذا المزاج، كان ينفرض عليه بتلقائية في أي مادة يكتبها. وقد وجدناه في اللزوميات (ولم نجده في سقط الزند الذي كتب معظم اشعـاره في سن الشبـاب) كمـا وجـدناه في كتبه النثرية التي تساوق تأليفها مع اللزوميات واظهـر فيهـا ولع بالنصوص الالحادية المأثورة عن غيره. وكان بعض القدماء من خصومه قد رجحوا انه وضع هذه النصوص على لسان من نسبها اليهم، أو انها مما وافق هواه فأثبته في كتبه. وكلا الترجيحين وارد. ومن غريب ما املاه عليه مزاجه هذا ان يورد بيتين في «زجر النابح» صارخين في الكفر ننقلهما الى القارىء عن ص ٢٢ من المطبوع:

سقـنـي يا أسـامـه من عُقـار مُدامـه
سقـنـيهـا . . فأنـي كافـر بالـقـيامـه

ولا مناسبة بين البيتين ومضمون كتاب مكرس لاثبات ايمانه لولا قوة المزاج . ويجب ان لا نستبعد نصوص مماثلة في الاقسام المفقودة من «زجر النابح» الذي كان يتألف من عدة اجزاء. ونحن نستمد منه دليل آخر على عدم جديته في التأويلات التي اجراها في هذا الكتاب ونعتقد انها لم تلائم هواه بقدر ما لاءمه هذين البيتين الخارقين للعادة*.

قلت فيما مضى من كتابات لي عن المعرة ان «زجر النابح» هو من قبيل شهادات البراءة التي يوقعها المعارضين للدولة أو الدين تحت حراب الشرطة . وقد سبق للمعري ان وقع الكثير من هذه الشهادات تحت نفس التهديد.

* * *

ردود واهاجي :

بعد انتشار اللزوميات جاءت ردود فعل من رجال الدين والادباء المؤمنين فالفت كتب في النقض على كفرياته ورد عليها بعضهم بالشعر. فمن الكتب.

ـ رجمة العفريت: وضعه ابو منصور عبدالله بن سعيد الخوافي، معاصر اصغر له .

---

* في مراسلاته مع داعي الدعاة اندفع بنفس التلقائية يروي له اشعار في الزندقة منها الميمية المنسوبة لشداد الليثي ـ من شعر قريش المناوىء للاسلام ومن اقدم نصوص الزندقة البليغة والطريفة في تاريخنا الثقافي ـ واثار بذلك داعي الدعاة، بينما كانت مراسلاته معه تستهدف الرد على اتهامه له بالمروق. وقد عبر له الداعي في رسالة جوابية عن استغرابه لما يرويه . فقال: واما انشاده «الست بالتحية أم عمر» ـ يريد قصيدة شداد ـ وما بعده من الاشعار وذمه من قال ولعنه (أي ذم الذين روى لهم على طريقة ابو حيان التي ذكرناها من قبل) فمن الذي اتهمه بشيء من ذلك؟ حاشاه . . وما الذي اوجب الاذكار (التذكير) بكفريات شعرهم؟» ياقوت (١٩٣/٣).

ـ كتاب «نصر الاعيان على شعر العميان» لابن الوزير اليماني (٨٤٠ هـ) من زيدية اليمن. ألفه للتنفير من شعره.

والردود الشعرية عليه تغلب عليها الركاكة لان ناظميها رجال دين في الغالب.

ويمكن استثناء بيتين في هجائه امتازا نسبياً بجودة السبك وهما للقاضي ابو جعفر محمد بن اسحق البحاتي الزوزني، معاصر اصغر له، والبيتين:

كلب عوى بمعرة النعمان ... لما خلا من ربقة الايمان

أمعرة النعمان ما انجبت اذ ... اخرجت منك معرة العميان

ورد عبد الوهاب المالكي، معاصر له ايضاً، على لزوميته التي فيها:

تناقض ما لنا إلا السكوت له ... وان نعوذ بمولانا من النار

يد بخمس مئين عسجد فديت ... ما بالها قطعت في ربع دينار؟

والاعتراض على حكم الشرع بقطع يد من يسرق ربع دينار، بينما تبلغ دية اليد المقطوعة ظلماً خمسمئة دينار. فقال عبد الوهاب:

عز الامانة أغلاها، وأرخصها ... ذل الخيانة فافهم حكمة الباري

والنقض وجيه من حيث منطق الشعر. ولعبد الوهاب المالكي تحف من هذا القبيل. إلا انه لا يزيل التناقض الذي تلمحه اللزومية في الحكمين.

ونورد فيما يلي بقية الردود الشعرية وهي في مجموعها تدل على طبيعة التفكير الديني واسلوب اهل الدين في الرد على مخالفهم:

ـ للخضر الموصلي (١٠٠٧ هـ) متأدب من المتأخرين موصلي الاصل، عاش في رعاية امير مكة الحسني:

جزاك الله من أعمى لعين ... بصيرته تناهت في عماها

يقول اذا الحكيم رعى حجاه ... تهاون بالشرائع وازدراها

فمـا هذا الـخبيث اذن حكيم ولكن ليس يدري ما طحـاهـا

يرد على قوله:

اذا رجع الحكيم الى حجاه (عقله) تهـاون بالـشـرائـع وازدراهـا

ـ القاضي ابو محمد الحسن بن ابي عُقامة اليمني. (لم اقف له على ترجمة) يرد على بيتين من غير اللزوميات اتهم فيها آدم بالزنا واستنتج منها ان بني آدم اولاد زنا:

لعمـرك اما فيك فالقول صادق وتكذب في الباقين من شط أودنا

كذلـك اقـرار الـفتى لازم له وفي غيره لغو. كذا جاء شرعنا

ـ احمـد بن محمـد الاخسيكثي الفرغاني (٥٢٨ هـ) من كتاب الدواوين الرسمية كان معنياً بشعر المعري فوضع شرحاً لسقط الزند سماه «الزوائد». ولعله خاف من التهمة فهاجمه ببيتين رد فيهما على قوله:

رجلان أهل الارض ذو عقل بلا دين وآخـر دين لا عقـل له

فقال:

الـدين آخـذه وتـاركـه لم يخف رشـدهمـا وغيهمـا

رجـلان أهل الارض قلت فقل يا شيخ سوء أنـت أيهـمـا

من المستبعد ان يخاطبه بهذه اللغة الجارحة وهو يشرح شعره لولا انه اضطر اليهما للتستر.

ـ محمد بن عتيق القيرواني (٥١٢ هـ) اصولي ومتكلم من اساتذة المدرسة النظامية ببغداد. رد على انكاره القيامة في اللزومية الكافية المشهورة فقال:

كذبـت وبـيت الله حلفـة صادقٍ سيسبكنا بعد الثوى من له الملك

وفي هذا دليل على فهمه لمراد المعري من ان عدم السبك هو للانسان لا للزجاج.

ـ غرس النعمة الصابي، من القرن الخامس، نقل الذهبي في سير اعلام النبلاء (١٨/ ٣٠) عن تاريخه، المفقود، قوله بعد ان روى اللزومية التي ختمها بقوله:

في كل جيل اباطيل يدان بها فهل تفرد يوماً بالهدى جيل؟

قال: فأجبته

نعم ابو القاسم الهادي وملته فزادك الله ذلاً يا دجيجيل

ونسب هذا الرد الى النووي الشافعي من احبار الفقه والحديث في القرن السابع. ولعله استشهد أو تمثل به فنسب اليه. وروده في تاريخ غرس النعمة الذي يسبقه بقرنين يؤكد انه لهذا الاخير:

وفيما يلي جملة من اقوال القدماء فيه:

ـ ابن الجوزي، من القرن السادس، في (تلبيس ابليس ص ١١٢):

«اشعاره ظاهرة الالحاد وكان يبالغ في عداوة الانبياء، ولم يزل متخبطاً في تعثره خائفاً من القتل الى ان مات بخسرانه».

وهاجم الذين يدافعون عنه أو يزعمون انه تاب (المنتظم ٨/ ١٨٤):

«هؤلاء بين امرين: إما جهال بما كان عليه وإما قليلو الدين لايبالون به».

ـ الذهبي، المؤرخ الحنبلي من القرن الثامن، (العبر ٢/ ٢٩٣):

«صاحب التصانيف المشهورة والزندقة المأثورة والذكاء المفرط والزهد الفلسفي.. ولعله مات على الاسلام وتاب من كفرياته وزال عنه الشك».

لاحظ عبارة: الزهد الفلسفي (ليس الزهد الديني). أما توبته فلم تثبت، وإنما هي امنية من مؤرخ كبير على اديب كبير ان لا يخرج من معسكره.

وفي «سير اعلام النبلاء» ـ ١٨/ ٢٥ قال الذهبي:

«يظهر لي من حال هذا المخذول انه متحير لم يجزم بنحلة».

ـ نقل ابن الجوزي عن تاريخ غرس النعمة محمد بن هلال الصابي

(المنتظم ١٨٨/٨):

لما مات المعري رأى بعض الناس (في النوم) كأن ثعبانين على عاتقي رجل ضرير تدليا الى صدره ثم رفعا رأسيهما فهما ينهشان لحمه وهو يستغيث فقال: من هذا؟ فقيل له هذا المعري الملحد..

يظهر محمد الصابي تشدد اكثر مع ابو العلاء. وقد يرجع هذا الى حداثة اسلامه الذي ورثه عن والده هلال بن المحسِّن الذي اسلم في آخر ايامه. وكثيراً ما يتعامل المهتدي الجديد مع عقيدته التي انتقل اليها بقدر زائد من الحماس والاهتمام. يروى عن الاديب الاعمى ابو العيناء (القرن الثالث الهجري) انه استأذن على الوزير صاعد بن مَخْلَد عدة مرات في كل مرة يقولون له: هو يصلي. وكان الوزير نصرانياً فأسلم. فعلق ابو العيناء على ذلك: لكل جديد لذة!

- ابن تغري بردي في النجوم الزاهرة (٥/٦١ - ٦٢).

اختلف الناس فيه فمن الناس من جعله زنديقاً وهم الاكثر، ومن الناس من اول كلامه ودفع عنه.

- الصفدي في «نكت الهميان» ص ١٠٦ (نكت بفتح النون وسكون الكاف).

قال ابن دقيق العيد (فقيه مصر في القرن السابع):

هو في حيرة.

وعقب الصفدي:

وهذا أحسن ما يقال في امره.

- كمال الدين محمد بن علي الزملكاني نسبة الى «زملكا» قرية في دمشق عامرة الى الآن. توفي عام ٧٢٧ هـ وكان من فقهاء الشافعية واعلامها. ذكر المعري فقال (نكت الهميان ص ١٠٦):

جوهرة جاءت الى هذا الوجود ثم ذهبت.

لم ترد العبارة في أي من ترجمات ابن الزملكاني في المصادر الرئيسية للاعلام. ولعل مؤلفيها تحاشوا روايتها بتأثير سلفيتهم. أما ابن الزملكاني نفسه فقد ذكره ابن بطوطة في حديثه عن حلب فقال متفنن في العلوم. ولم اتبين قصده وما اذا كان يعني العلوم الدنيوية ايضاً. أما مصادره فتحدثت عن مرجعيته العالية واستقلاليته في القضاء والفتوى. وعن ذكائه وسمو شخصيته. وقد ذكر السبكي (بضم السين) في طبقات الشافعية (١٩١/١٩) انه ألف كتاباً فضل فيه البشر على الملائكة. . ولعل الى هذه الصفات يرجع هذا التقييم الذي شذ فيه عن آراء خصوم المعري واصدقائه على السواء.

يلاحظ في العبارة دلالة مزدوجة: تجوهر المعري ثم ذهابه دون ان يخلف اثر. وسوف يتبين في الفصل الاخير من هذه الدراسة ان هذا الفقيه الشافعي قد اختزل في عبارة واحدة تراجيديا الاسلام الذي كان قد دخل في زمانه مأزقه التأريخي الذي لم يخرج منه.

- في «اعيان الشيعة» للعالم الشيعي محسن الامين العاملي:

كنا عازمين اولاً على عدم ذكره لما ينسب اليه من سوء الاعتقاد ثم تبدل عزمنا في ذلك فذكرناه هنا لا لانه ظهر لنا صحة اعتقاده بل نحن في امره على ما اسلفناه، وإنما ذكرناه في هذا الكتاب مع ما يقال في حقه من الالحاد ومع ظهور اشعاره في ذلك وغير هذا مما مر، لاننا وجدنا له اموراً توجب ميله الى التشيع، مع كون الناس في امر عقيدته مختلفين، ومع ذكر صاحب نسمة السحر (في اخبار من تشيع وشعر) له في شعراء الشيعة. أما ابن شهراشوب فلم يعده في شعراء الشيعة؛ فهو على فرض صحة عقيدته مظنون التشيع وعلى فرض فسادها فهو شيعي بالمعنى الاعم».

وفي الخيار الاخير مزاوجة بين سوء العقيدة والتشيع: الخروج على الدين لا يفترض الخروج على التشيع، ولكن ليس التشيع بمعنى التمذهب. وهو مؤدى قوله: «شيعي بالمعنى الاعم». وقيد التشيع بموجب هذا المعنى هو الميل الى علي بن ابي طالب. ويكفي هذا عند الشيعة للتسامح مع الزنادقة.

- ومن بين من تمسك بتشيع المعري من اعلام الشيعة المعاصرين الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء، اورد ابياته في علي والحسين من قصيدة «عللاني» وعقب عليها بان هذا الكلام لم يخرج إلا من قلب شيعي خالص. (جاء ذلك في المراجعات الريحانية).

وهذا التقييم قريب من المعنى الذي قصده محسن الامين اذا راعينا الفارق الاصطلاحي بين القلب والعقل. ولا اظن كاشف الغطاء فكر في هذا الشرط لان همه يتلخص في ضم شخصية تأريخية كبيرة الى صفوف طائفته.

استخلاصات

ابو العلاء المعري مشروع تغيير طرح على المجتمع الاسلامي في حقبة تذرونـه التي كانت ترشحه للانتقـال الى طور جديد في التـاريخ. ويأتي هذا المشروع في سياق خط متصل من الفكر التنويري يتوازى صاعداً مع تطور مجتمع المدن باقتصاده النقدي وصناعاته الحرفية وتعقد تركيبه الطبقي، مستمداً من فلسفة اليونان مادة تأصيل للقضايا التي انطرحت عليه، ومتصلاً قبل هذا و ذاك بجذور ثقافة خلافية ارساها القرآن وتبلورت في اتون الصراع عبر القرون.

وما يميز هذا المشروع عن تجارب الخط الذي ينتمي اليه شموليته بالنسبة اليها.. في تلك التجارب نجد نقد الدين دون نقد الدولة أو نقد الدولة دون نقد الدين، كما نجد عدم التفات الى مسالك المؤسسة الدينية ودورها في المجتمع. ان احد اميز من انتقد الاديان وهو ابو بكر الرازي لم يتطرق الى السياسة كما لم يختص المؤسسة الدينية بنقد يكافيء نقده الفلسفي للدين. كان قد تصرف كطبيب بطريقة تظهر انحيازه الى الفقراء، وتبرأ في كتابه عن السيرة الفلسفية من تبعة معاونة السلطان على الشر والايذاء مبيناً ان خدمته له هي خدمة طبيب لمريض. إلا انه تجنب الكتابة في موضوعات الوعي السياسي والاجتماعي التي سيطرت على ذهن ابو العلاء.

قد يكون مشروع المتصوفة هو الاقرب الى مثالنا هذا. فقد استوعب الحاجة الى مطالب جديدة لثورة فكرية تقترن بنهج اجتماعي مناوىء للارستقراطية ومقاطع للسلطة. وهـذا على مستـوى الاقـطاب دون عامـة المتصوفة الذين سخر منهم

المعري واتهمهم بالارتزاق والكذب على الناس. .

ويبقى مشروع المعرة هو الاكثر تكاملاً. ففيه يتداخل نقد الدين مع نقد الدولة والمجتمع مع نقد الناس والاخلاق واخيراً مع نقد نظام العالم بافتراضاته اللاهوتية والانسية معاً. وأمام هذا النقد الشمولي تفقد الاشياء ثوابتها فيصبح كل شيء موضوعاً للثورة بأي شكل أو معنى بدءاً من العلاقة الفردية الى العلاقة مع السلطتين الدينية والسياسية. والمعري داعية ثورة اجتماعية وسياسية ولو بالمفهوم الطبقي الفضفاض: من الفقراء ضد الاغنياء، ومن الرعية ضد السلطة. والدعوة الى الثورة لا يخلو منها مشروع تغيير في أي منعطف تأريخي.

إلا ان التكامل في هذا المشروع يكون كذلك بمقاسات التطور الذي استدعاه. وعندما نلجأ الى المقايسة مع مشروع التنوير الاوربي في القرن الثامن عشر نقف على فارق خطير: فمشروعنا هو استدعاء لتطور اجتصادي مكبوح، ومشروع الغرب خارج من حركة اجتصادية صاعدة نحو مرحلة تأريخية تامة الملامح . وفي ضوء هذا الفارق سيمكننا الحديث عن عيوب المعري واخطائه ونواقص مشروعه الكبيرة.

وقف المعري موقفاً رجعياً من المرأة بدعوته الى التشدد في حجابها ومنعها من الاشتراك في الحياة العامة وعدم تعليمها القراءة والكتابة. وقد فسر بعض المعاصرين موقف ابو العلاء هذا بعقدته الشخصية. وقد يكون. إلا ان المعري كمصلح اجتماعي مستغرق بحساسية الهموم اليومية للناس هو اعمق فعلاً في تفكيره الاخلاقي من ذلك الشيخ الاعمى الذي حكم على نفسه بالحرمان وهو قادر على خلافه. ويضطرنا ذلك الى فهم موقفه من المرأة في سياق التقاليد الاجتماعية التي لم يوفق الى تخطيها تماماً. لقد خضع للعرف العام بأساسه العشائري في اعتباره المرأة مصدر عار لاهلها. لانها قد تفشل في الالتزام بمطالبهم وتقيم علاقة محرمة مع الجنس الآخر. ولعله قد شاهد وقائع حدثت في بلدته نفسها وتسببت في تدمير ليس عائلة مفردة بل اسرة، أو في الحاق الخزي بعشيرة ما نتيجة لتصرف

يصدر عن امرأة منها مخالف للعرف. وبدلاً من الاتجاه الى معالجة هذه المسألة بنقد العرف الاجتماعي نفسه، اتجه الى مجاراته بعصبية عشائرية مفرطة وحمل النساء مسئولية ما يلحق بأسرهن أو عشائرهن من عار.

وهو مع ذلك يدرك ان المرأة مظلومة. واكبر ما ينالها من الظلم عنده هو نظام الضرائر، الذي هاجمه بشدة ودعا الى الزواج الوحداني: امرأة واحدة لرجل واحد. ويبدو المعري هنا كما لو كان يخطو الخطوة النبوية التالية في خصوص هذا النظام. ذلك ان الاسلام لم يشرع نظام الضرائر وإنما قلصه بتحديد حداً على للزوميات. وكان هذا الاجراء خطوة متقدمة في ذلك الوقت لان عدد الزوجات المسموح للرجل باتخاذه كان سائباً. وقد اساء الفقهاء فهم هذه المسألة حين اعتبروا نظام الضرائر من لوازم الشرع دون ان يلتفتوا الى ان الشرع لم يكن هو الذي شرعه وإنما بالعكس سعى للحد منه بتقليص عدد الزوجات الى اربعة. وكان المفروض حين يأخذ التطور الاجتماعي مجراه المنشود ان يظهر من يكمل هذه الخطوة بتقليص الاربعة الى واحدة. وهذا ما حصل، ولكن على يد مسلم مارق غير معترف به في الاوساط الفقهية*..

الظلم الآخر الذي يصيب المرأة هو زواج الشابة من شايب. وقد انكره في عدة لزوميات اظهر فيها ادراكه لاحاسيس الفتاة التي تفضل معانقة شاب فقير على مضاجعة شايب غني. ونبه بأحساس دقيق الى انعدام اللغة المشتركة بين الفتاة والشايب فما تفهمه الفتاة وتستريح اليه هو حديث فتاها الذي يملك نفس أحاسيسها ويشاطرها نفس تطلعاتها. وبهذا الرأي يختلف المعري عن مصلح صيني ظهر بعده بقرنين كان يحث الفتيات على الزواج من المسنين لانهم يكونون اكثر اخلاصاً لهن. المصلح المذكور هو الكاتب المسرحي غوان هان تشينغ، من القرن الثالث عشر الميلادي ـ اسرة يوان ـ وقد عاصر حقبة انحلال اجتماعي تسببت عن الغزو

* من المثير للانتباه ان ناقديه من المتدينين لم يتطرقوا الى استنكاره زواج الضرائر ودعوته للاكتفاء بزوجة واحدة بينما اعتبروا امتناعه عن أكل اللحم هرطقة؟.

المغولي للصين. ولعل رأيه هذا الذي خالف فيه مصلح المعرة متأثر بحالة التسيب التي اصابت الشباب تحت الفساد العام وظلم المتسلطين من آل جنكيزخان.

دعا المعري ايضاً الى المغالاة في المهر؛ لان المهر الغالي يوفر للزوجة وسيلة ضغط تمنع الزوج من العبث بمصيرها لاسيما بالطلاق الاعتباطي، الذي كثيراً ما يقع في حالة غضب أو شجار. وتخالف هذه الدعوة اتجاه مشرعي الاسلام الى عدم المغالاة في المهور بقصد تسهيل الزواج.

وفي استنكاره للزواج الضرائري حذر الرجل من ان ميله الى التجديد في النساء قد يحمل الزوجة على البحث هي الاخرى عن جديد. وهذه فكرة خطرة، العصر الحديث نفسه لم يبلور رأي نهائي بشأنها بينما تناولها في اللزوميات ولم يصرح بالاعتراض.

* * *

في نقده للدين تبنى التفسير البوليسي ـ التآمري لمنشئه، اذ اعتبره مكيدة من القدماء لجمع الاموال. ويرتبط هذا الميل باتجاه عام يحكم رأيه في السلوك البشري حيث تصرف كمؤيد متطرف للمذهب النفسي الذي يحيل تصرفات الانسان كلها الى الذاتية EGOISM جاعلاً من المصلحة الذاتية للفرد حافز وحيد وراء كل ما يأتيه من افعال. . ولكن هل حصل له ان فكر بالحافز المادي الجمعي ليقول مثلاً ان الدين هو تعبير عن مصالح جماعة من الناس متحدة الحوافز؟ اجيب على هذا بالنفي؛ لانه يتعارض مع رأيه في الدين الذي يبقى عنده قضية افراد لا قضية جمهور. وهو لا يفوته ان الدين قد يشكل مصدر تحفيز وتعبئة ولكن باتجاه مضاد لمصالح الجمهور. واذا اردنا العثور على حافز جمعي لديه فهو في هذا الجانب من فهمه للدين. والجمهور عنده يقع دائماً تحت مكايد الانبياء والاكليروس الماشي على هداهم مما يحمل على التفكير ان الدين مسخر لا بحافز جماعي وإنما باسلوب جماعي لخدمة مصالح فردية أو فئوية على الاكثر.

بوجــه عام يمكن الاستنتــاج ان نقـد المعـري للدين يستهـدف التـوعية الاجتماعية اكثر من السعي لتقديم تفسير فلسفي لاصل الاديان، فهو نقد معياري في المقام الاول. ويتمع بأهمية ملموسة هنا نقده للسلوك الديني، فهو يأخذ نفس الوجهة التي اتخذها فيما بعد نقد فلاسفة عصر التنوير الاوربي للمؤسسة الدينية في المسيحية. وقد تحدث لينين عن هذا الاتجاه في نقد الدين وحبذه، حيث دعا الكتاب الى «تحرير الفلاحين والجماهير المتخلفة من الخدر الديني بأسلوب ماديّي القرن الثامن عشر في نقدهم للاكليركية» يعني المؤسسة الدينية. وقال «ان ذلك افضـل من الشـروح المملة والجافة للماركسيين». ـ في مقالة عن «اهمية المادية المنـاضلة» منشـورة بترجمة انجليزية ضمن مجموعة له بعنوان ON RELEGION صادرة عن دار التقدم بموسكو ـ ان نقد الدين من خلال نقد السلوك الديني اذا لم يشبع حاجة معرفية للمثقف المهموم بالبحث عن حقائق الاشياء فهو يخدم اهداف المصلح الاجتماعي والقائد الثوري في توعية الجماهير بطريقة تساعد على تحريرها من هيمنـة المؤسســة الـدينية دون حاجة الى ارباكها بمشكلات هي من اختصاص الاطوار العليا للتفكير الفلسفي.

* * *

ممـا يسجـل على ابـو العلاء هجومه العدائي على القرامطة والزنج. وقّد تحدثت عن امر الزنج في متن البحث واتحدث الآن عن القرامطة.

بينت من قبل انه اختص بنقده قرامطة شرقي العربيا دون قرامطة السواد. ولعل ذلك لان الاخيرين لم يحكموا ليصدر عنهم ما يثير حفيظته من الانتهاكات المـألـوفة لمن في السلطة. ولعله ايضاً قد اعجب بشخصية قائدهم حمدان بن الاشعث الـذي سلك في حياتـه الشخصية سلوكـاً مقارباً لسلوكه. ويرجع نقده لقرامطة العربيا الى اسرافهم في سفك الدماء. وقد قلنا انه كان محقاً في ذلك. كما اختلف معهم في الافكار الغيبية التي تمسكوا بها وانتقدهم عليها في رسالة

الغفران.

لكن هؤلاء الناس حملوا شعاراته نفسها واقاموا في مجال سلطتهم مجتمع خالي من الفقر وكان نظامهم السياسي بسيط، اذ حكموا بلا شكليات أو مراسم سلطانية، وبلا قمع دموي لرعاياهم سوى ما ارتكبوه في غزواتهم. وهذا كله مما كان يطمح هو الى بلوغه. فما الذي منعه من التعاطي معهم على هدف مشترك مع اختلاف المنازع الفكرية أو التعارض في المسلك السياسي والعملي وبعد ان كان قد تنصل من اخطائهم وتجاوزاتهم بنقدها علناً.

عندي ان الاشكال يكمن في وضعية المثقف. ان التاريخ الاجتماعي للثقافة يكشف عن انفصام متفاوت الدرجات والصور بين المثقف وافكاره وصعوبات يواجهها لدى اختبار السياسة العملية حين يتطور الصراع الاجتماعي الى فعل ناجز. ويحدث هذا كظاهرة وليس كحالة فردية تتعلق بالمسلك الشخصي، فالغرار الذي نتكلم عنه صادق مع نفسه وقد تجسدت فيه واحدة من ارقى حالات الاندماج بين المبدع والنص، ولا يصح عليه بأي حال ما يصح على الغرارات السائدة اليوم في الثقافة العربية. وما يمكن القول عنه انه يبرهن على العجز عن التلاؤم مع الصيغ السياسية لطروحاته من غير ان يكون مدفوع بحافز سياسي.

باستذكار حقيقة يمكن تلمسها في تاريخ الثورات وهي ان المثقفين الكبار لم يسبق لهم ان استطاعوا قيادة حركات اجتماعية ناجحة، يمكننا الاستنتاج ان المثقف الكبير هو في نفس الوقت سياسي فاشل. ولا يجوز هنا الاستشهاد بالانبياء بوصفهم مؤلفي كتب مرموقين قادوا بنجاح حركات تغيير كبرى، فالكتب المقدسة لا تحمل معرفة حقيقية تكفي لاضفاء صفة مثقف على النبي. وهي تتألف في جملتها من تعاليم دينية وحكايات ومواعظ ينتظمها خط اعلام سياسي وعسكري يشكل العصب الاساس للحركة التي يقودها النبي. ويصدق هذا على انبياء الاديان السماوية الثلاثة والاديان الوضعية كالزرادشتية والبوذية.

هذه الحقيقة مستمدة من التاريخ باستقراء حياة واعمال المثقفين الكبار. وما

احسب اننا قادرين على استدراكها بأكثر من حالات فردية متفرقة. وفي اعتقادي ان الحالة الاكثر تميزاً ووضوحاً تلك التي نجدها في مثال لينين. وهو فيلسوف حقيقي بالمعيار المعرفي للفلسفة، على الاقل في كتابه: «المادية والتجريبية النقدية» الذي اسس فيه لماركسية عصر الالكترون.. هذا الفيلسوف قاد بنفسه فاتحة ثورات القرن الحالي وابعدها اثراً، ونجح في اقامة دولة وقف هو على رأسها حتى وفاته دون ان تنهار. لكن هذا الاستثناء الكبير يبقى فردياً: ان اهم فيلسوف ماركسي من رفاق لينين وهو بليخانوف لم يفقه معنى الثورة فعارضها وانحاز الى خصومها المناشفة، مؤكداً فشله في التعاطي مع افكاره، التي تثقف بها آخرون فساعدتهم على المغامرة في العمل السياسي الناجح.. بوسعنا ان نضيف الى هذا المثال الحقيقة التالية من نفس الموقع: فقد كان من مزايا ثورة البلاشفة كثرة المثقفين الكبار الذين ساهموا فيها ولم يعارضوها خلافاً لبليخانوف. ومع ذلك فقد تعذر على أي منهم ملء الفراغ الذي تركه لينين برحيله المبكر. ولعله مات مهموماً اذ لم يجد من بين هذه الشوامخ الثقافية التي زاملته وتحملت معه اعباء الثورة من يصلح لخلافته..

لا معنى لان يوصف سياسياً مثقف كالمعري. هو من بين اولئك الافذاذ الذين يرسمون للناس دروب الخلاص فيسير فيها الناس ويتخلفون هم عنها، تاركين للسياسيين ان يفعلوا ما لم تؤهلهم الطبيعة لفعله. وعندما يصل بهم العجز الى حد التنكر لما كانوا يدعون اليه فان تأثيرهم الآني لا يكون ضاراً مادامت الافكار قد اخذت سبيلها الى قلوب الناس وعقول القادة. على انهم اذ يمارسون عجزهم السياسي يواظبون في نفس الوقت على ما تأهلوا فيه كمثقفين حقيقيين وكبار؛ اعني مثقفين غير منفصلين عن افكارهم بقدر ما يتعلق بأنفسهم. لقد عاش بليخانوف حياة شريفة زاهدة حتى الرمق الاخير. وكذلك عاش ابو العلاء. ان مثقفاً من هؤلاء لا يحدد فعاليته الاجتماعية والسياسية بناء على معادلات اجتماعية أو سياسية. فهم خاضعين لقناعاتهم التي تملك وحدها ان تتحكم فيهم، وان تحدد لهم خياراتهم

الحاسمة في اللحظات الحاسمة، صواباً كانت أم خطأ. . وهذا هو جوهرهم الخاص بهم كمثقفين.

اخطاء المعري هي اخيراً اخطاء الفكر القديم. والمعري مفكر قديم ينتمي الى حضارة قديمة. وأي حضارة قديمة فيها ما هو مشترك معنا وما هو مستهلك. والحضارة التي انجبت المعري تملك اكثر من ذلك بحكم انها ارادت ان تتطور الى حضارة حديثة فاحتوت رغم ان ارادتها لم تتحقق ما جعلها تقع على مقربة من العصر الحديث. وهي قد ساهمت في التمهيد لهذا العصر بمنجزات كانت في نفس الوقت تضفي على اهلها مظاهر حداثة في الفكر والحياة تجاورت مع العنصر السائد لحضارة ذات خصائص آسيو ـ اقطاعية. . . وهكذا فكر المعري: مدرسة قديمة مشوبة بعناصر حداثة ذات طبيعة إرهاصية تتمظهر بقوة فتزيد على كونها حديثة في مقاس عصرها لتجعل لصاحبها حضور بارز بيننا من دون ان تنسينا عيوبه. وهذه العيوب انما اكتشفناها بقوة عصرنا هذا وليس لاننا اسمى عقلاً منه:

ابو العلاء المعري كمثقف كوني

بصرف النظر عن دواعي الوقت والتاريخ، هناك فئة من المثقفين الكبار تظهر في أي مكان أو حقبة يغمرها مناخ حضارة مثقفة. تتميز هذه الفئة بتكامل التكوين الثقافي بين الذهن والذات، وتتمتع بفضل التعمق في قضايا الفكر والانسان والوجود، مقترناً بالتحرر الروحي، بدرجة من الوعي الكوني تدمجها في ضمير العالم. ولهؤلاء المثقفين على اختلاف حضاراتهم خصال مشتركة هي تلك التي عرفناها في شيخ المعرة، فهم يتماثلون في اعتدال المعيشة ـ الاقلال من الاكل والجنس، مع بساطة الطعام والملبس والمسكن، مما يتشكل في مفهوم السعادة الحسية. وكذلك في الاشاحة عن هموم المجد الشخصي والجاه الاجتماعي، التي تتكامل مع هذا المفهوم. وهم يتماثلون ايضاً في مناوأة أو مقاطعة السلطتين الدينية والسياسية. وفي موقفهم من الناس يترددون بين النقد والاشفاق: النقد

لجهلهم وعدوانهم على بعضهم، والاشفاق لما يعانونه من مظالم على يد الدولة أو من الطبيعة.

ومن اعقد ما في خصائص هذه الفئة من المثقفين الذين اجد ما يبرر تسميتهم «مثقفين كونيين» هي علاقتهم بالدين. وفي تجربة صاحبنا شيخ المعرة مثال ملموس نسعى لتحليله فيما يلي:

تتمايز في نقد ابو العلاء للدين رؤيتين: واحدة تخص الدين والاخرى تخص الله. من جهة الدين ثمة انكار قاطع واتهام للانبياء بالكذب على الناس. ولعله لم يواجه صعوبة في التمسك بهذه الرؤية لانه قاس الاديان بمنطقه الفلسفي ووعيه الاجتماعي فوجدها تنبو عنهما كليهما: بحث عن حكمة الاديان فلم يجدها، واراد ان يتلمس تأثيراً ايجابياً نافعاً للدين على البشر فلم يعثر على شيء يدله على مصداقية الوعد الديني أو يوثق له المزايا التي ينسبها اهل الدين لدينهم. وقد رأيناه في اللزوميات ينطلق من العكس وهو ان جزءاً هاماً من مأساة الانسان يرجع الى الدين الذي كلف البشرية كثيراً من الآلام والخسائر ولم يعد عليها إلا بالقليل من المصالح..

في المقابل، يحافظ المعري على نوع من العلاقة مع السماء، تبرز بوضوح في بعض اللزوميات المؤمنة وفي النصوص النثرية في «رسالة الغفران» و «الفصول والغايات» وغيرها. كما تتكشف لنا في ممارسات يومية نراها في مظاهرها عبادة وهي في حقيقتها علاقة خاصة مع الاسمى. وهذه العلاقة تقع خارج دائرة المنطق الفلسفي لانها نتاج وعي خاص للمثقف الكوني وخارج دائرة الدين لانها قائمة على الالحاد.

المعري اذن يفصل بين الدين والله على شاكلة الربوبيين من الفلاسفة. إلا ان ربوبيته ليست فلسفية لانه لا يجزم بوجود الخالق. وربما استظهرنا منها ان الله بعد ان يتم فصله عن الدين، يصبح من لوازم العقل المحيط لانسان يسعى

للانفلات من المحدود والاندماج في ضمير الكون الارحب*.

في عدد من اللزوميات المؤمنة يلجأ المعري الى الله يطلب منه العون أو يسأله التعجيل بموته حتى يذهب اليه ويتخلص من الناس. وهو في وعيه الفلسفي يدرك ان مثل هذا الكائن يستحيل وجوده خارج الزمان والمكان. لكنه يبحث عن دفء المجهول فيما وراء المادة حيث تستمد روحه الكادحة طاقة تساعدها على مواصلة الحضور في عالم الشهادة.. وثمة بون شاسع يفصل ايمان المؤمن بالله عن هذا الشكل من الاتصال بين مثقف كوني والمجهول الاسمى. المؤمن عبد. والمثقف الكوني نظير. وهذه هي الخطوة الاخيرة في تحرر الانسان. وعندما اعلن المتصوفة عدم وقوع الروح «تحت ذل كن» انما كانوا يسجلون هذه الخطوة التي سجلها ابو يزيد البسطامي في مخاطبة الخالق له: «كل العالم عبيدي غيرك» حيث يتحقق الانعتاق من العبودية للمطلق خارجاً من سلب المخلوق الى وعي الارادة

* تتمتع العلاقة الكونية للمثقف ببعد روحاني كثيراً ما نلقاه بعمقه لدى ملحد وصل الى الالحاد عن تعمق، بينما يفتقر اليه رجل الدين، الذي يتهمه المعري بالخضوع لحاجات الجسد. وقد وقفت اللزوميات عند هواجس رجال الدين فأنكرت ان يكون فيها هاجس روحاني. وقارنت بين سلوك رجل الدين وسلوك الحاكم والتاجر فأنكرت ان يكون بينهما فرق.، ولذلك لم تعترف لرجال الدين بموقع خارج عمليات التبادل السياسي والتجاري. وبادعاءاته هذه تنقلب معادلة عاش عليها الناس منذ وجد الدين يصبح فيها الملحد روحانياً والمؤمن حسياً. وللبرهنة عليها قدم نفسه للناس حتى يروا كيف يعيش هو وكيف يعيش المؤمنين. وانا من جهتي مقتنع ببرهانه، وازيد عليه انه ليس الشاهد الوحيد. ان تاريخ الفكر يقدم الكثير من لامثلة على اناس لا يؤمنون ويعيشون حياة روحية تقف على النقيض من حياة رجال الدين الآخذة بالكثير من اسباب السعادة الدنيوية. وقد تلمس كارل ماركس هذا المعنى بقوله في العائلة المقدسة (ص ١٦٥ من ترجمة حنا عبود): ليس الالحاد هو الذي يجعل الانسان منحط بل الخرافة والوثنية. أي الدين. ان افادات المثقفين الكبار تتقارب احياناً رغم التباعد في أزمانهم ومصادر ثقافتهم. ففي هذه العبارة يلخص ماركس تجربة عاشها ابو العلاء تفكيراً وممارسة.

الخـالقـة ولكن ضمن تلك الدائرة التي يبقى فيها الرمز الكوني حاضر لكي يمد الحياة الروحية للانسان بالوقود المانع من انطفائها.

ويتصور المثقف الكوني ضمن هذا الافق مسألة القيامة. وقد بدت في بعض اللزوميات المؤمنـة كمسـألة خارجة عن تاكتيك التعمية لتعبر عن اشواق روحانية تتطلع الى الكينونة خارج هذا العالم الملعون. وقيامة ابو العلاء ليس فيها اكل ولا شرب ولا نكاح، فهذه حاجات المؤمنين التي وعدهم بها الانبياء، وينتظمها في الاسـلام مبدأ سعادة الدارين أي الدنيا والآخرة. ومن استغنى عنها في الدنيا لا يحتاج اليها في الآخرة إلا اذا كان استغناؤه على سبيل الطمع. أورد سليم الجندي في تمثيلاته على التأثر بأفكار المعري ان النحوي ابن النحاس كان يحب العنب فامتنع عن اكله في حياته وقال: اردت ان يكون قوتي في الجنة (١/٤٠٧). وابن النحاس كما يكشف عن نفسه مؤمن يبحث عن سعادة أدوم، فلا معنى للكلام عن تأثـره بأبـو العلاء لان ابو العلاء لا يريد الجنة، وهو عندما استغنى عن السعادة الحسية في الدنيا فلكي يبني له صورة عالم يحيا فيه الانسان سيداً للجسد. ولقد حقق هذا العالم لنفسه فعاش في الدنيا سيداً لجسده، ولم يكن هدفه ان يصير في الاخرة الى عبد للجسد، في عداد ما يعنيه النعيم الاخروي، اذ ليس في اللزوميات ولا في غيرها ما يدل على شهوات مؤجلة من قبيل شهوات المؤمنين وإنما هواجس قلب مأزوم يثيرها قلق دائم الى ما وراء العالم المحسوس المبني على الفساد، والعـاجز عن الاندماج فيه، أو على الاقل، التسليم به كأمر واقع. ويتعذر على اسباب السعادة الحسية معالجة ازمة كهذه لانها ازمة روح لا ازمة جسد. والروح اذا وصلت الى مرتبـة الاحتراق فتوهجت لا يبقى للجسـد سلطان عليها، ويصبح ما يشغلها هو التطلع نحو افق تستشرف منه املاً في الخلاص. وبالطبع فهذا المسعى محكوم بالحلم لا بالعقل. ولنقف قليلاً عند هذا الوارد. ان الحلم هو احد مصادر الثقافة عند هذه الفئة من المثقفين. اعني انه من خصوصيات ثقافتهم. وكانت في حياة ابو العلاء فسحة واسعة للحلم شغلتها العلاقة مع الاسمى. كان الانقطاع عن

الخلق يؤول به الى نشدان صديق كوني يبادله الخطاب في وحدة الروح فيستريح اليه، وقد يستمد منه السلوان فيبكي في خلواته الازلية حيث لا يسمع بكاءه غيره*. والحاجة الى هذا الصديق منشأها النفس المتعبة، الباحثة عن الراحة في احضان المجهول، وليست هي راحة العقل. المثقف الكوني تتفارق لديه راحة النفس عن راحة العقل. ومن هنا تعوذ ابن سبعين من «عقل يقنع ومن همة تقف» ومن هنا ايضاً يضع المثقف الكوني مسافة بين الحلم والعقل تمنعه من السقوط في الدين. وهذه المسافة تشغلها فعاليتين: اندماج في التأمل الخالص ينزهه عن المطالب الحسية التي تشغل المتدين. وتفكير يبقيه في حالة استذهان تمنعه من الراحة العقلية. والحلم والعقل يتجاوران ولا يندمجان، ولذلك تتفاوت نتائجهما: العقل يولد الحقائق التي تتشكل منها المعرفة [المعرفة التي تنشأ بدورها بعد ان يتجاوز العقل منزلة العلم] والحلم يعيد تشكيل المثال بالاستناد الى المعرفة ثم يدفع به خارج العالم المحسوس، الذي يفارقه المثقف دون ان ينقطع عنه.. وهكذا تجري الممارسة العقلية ضمن مدارها المخصوص فلا يفقد ـ المثقف ـ شيئاً من تماسكه المنطقي ولا الحلم الذي قاده الى ما وراء المادة. وهذا المزدوج يغيب عن الفكر البحت (علماء الطبيعة والمختبر) فيحد من فعله الاجتماعي، بينما يؤدي غيابه عن اللاهوت الى زيادة قوته التدميرية المعادية للانسان.

المنطق يشده الى العالم. والحلم ينأى به عنه. وبالتداخل بين الفعاليتين تتخلق عناصر قطيعة مع الخارج تثبت استقلاله عن علاقتين: الدين والدولة. وقد تضعه في تعارض مع المجتمع بقدر ما يفشل الاخير في التلاؤم مع افكاره. ومع

* حكى القاضي ابو الفتح السروجي انه دخل على المعري وهو لا يشعر به فسمعه يقرأ: ان في ذلك لآية لمن خاف عذاب الآخرة. ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود. وما نؤخره إلا لاجل معدود. يوم يأت لا تكلم نفس إلا بإذنه فمنهم شقي وسعيد... ثم أخذ بالبكاء وهو يردد: سبحان من قال هذا في الازل... واستخلص السروجي من هذا «صحة دينه وقوة يقينه» استنتاج من يجهل حدود المنطق وحدود الحلم عند المثقف الكوني.

استرساله في الحلم خارج العلاقتين، يصبح اقرب الى المعرفة كتكوين ذاتي يتخطى محض العلم الى ممارسته. ويعني هذا تبلور سلطة الثقافة، مقابل سلطتي الدين والدولة، في مستوى من القدرة يمنع من التنازل عنها لقاء اشتراطات خارجة عن متطلبات الفعل الثقافي، لان سلطة الثقافة تأخذ عندئذ صورة اسمى للمثقف المستند الى مزدوج الحلم ـ العقل بما يمتلكه هذا المزدوج من قوة روحية يفتقر اليها الفكر البحت واللاهوت على السواء.

وأبو العلاء كمثقف كوني نجح في انشاء سلطته الخاصة به ولم يتنازل عنها لقاء مطلب خارج عن اشتراطات المعرفة. وإنما قدم تنازلات امام الخطر حين كان عليه ان يستعين بخصم معين لدرء عدوان محتمل من خصم آخر. وكان هذا الخصم المستعان به هو الدولة. وقد رأينا كيف كان يضطر الى تملقها لئلا تميل مع رجال الدين وجمهورهم عليه. ولم يتنازل عن سلطته لقاء شيء آخر. وبقيت يده سالمة من مدفوعاتهم. وقد عرفوا هم منه ذلك فلم يرغموه على شيء. بالعكس، فقد كان سبباً لاجلالهم له: اجلال متسلط لمثقف لا يرى للسلطة فضلاً عليه! ان هذا ما جعل عسكرياً غازياً يفك الحصار عن بلدته المعرة فيتراجع عن خطة لاجتياحها واستباحتها بمناشدة منه. حالة نادرة بلا شك، ان يتراجع عسكري امام مثقف: كانت جيوشه تتأهب لاقتحام البلدة واستباحتها ودفع اليأس بأهلها الى التشفع بالشيخ الاعمى الذي شتم آلهتهم وسفه عقائدهم. وكان منذ اعتكافه في منزله لم يخرج إلا مرتين. فتوجه الى ظاهر البلدة. وسمع به قائد الجيش فاستعد لاستقباله. وكان قد اعد لزومية لهذه اللحظة قال فيها:

تغيبت في منزلي برهة	ستير العيوب قليل الحسد
فلما مضى العمر إلا الاقل	وحُمَّ لروحي فراق الجسد
بُعثت شفيعاً الى صالح	وذاك من القوم رأى فسد
فيسمع مني سجع الحمام	واسمع منه زئير الاسد

ورد عليه القائد: «بل نحن الذين تسمع منا سجع الحمام وانت الذي نسمع منك زئير الاسد». ثم سأله عن حاجته فأخبره بها. فأصدر امراً فورياً بالانسحاب وترك المعرة لاهلها.

هل القوة الروحية للمثقف الكوني مرهونة بالاسمى؟

البعد الروحي للاشياء مستمد في الاساس من مصدر الهي، وثنياً أم سماوياً، ودلالته دينية خالصة حيث يتحد الديني بالروحي في الاديان الوثنية والسماوية. وفي حقبة متأخرة من نشأة الفكر الفلسفي ظهرت الربوبية ففصلت الروحي عن الديني عندما جحدت بالدين وأقرت بالاله. واحتفظ الربوبيون بعلاقة مع الاله ترعرع فيها مزاجهم الروحي. وهذا بالاخص لدى مثقفي العالم الاوراسي. وفي الفكر الصيني نجد علاقة تذاهن محدودة مع الـ تيان (سكون التاه) وهي السماء ومع المطلق التاوي وهو التاو، تتسم بسمات روحية. وبالنظر لنعد الفكر الصيني عن الدين وغموض مذهبه في الاله فان روحانية المثقف الصيني لم يكن ارتهانها بالسماء أو التاو بنفس القوة لدى الاوراسيين لاسيما في حقبة الاديان السماوية الثلاثة. ولو ان هذا لم يمنع التماثل في النزوع لدى الفريقين لاتفاقهما في الكثير من مستلزمات البعد الروحاني للمثقف الكوني.

تجارب الفكر الحديث بينت ان المثقف يستطيع الاستغناء عن الاسمى في تشكيل كينونته الروحية. وان كان لا يستطيع الاستغناء عن تجارب اسلافه، المتذاهنين مع السماء كمؤسسي مسلك خاص في الثقافة ينتمي اليه المثقف المعاصر ويستلهمه حين يقرر ان يسلك نفس الخط. وللبحث في هذه التجارب مجال آخر خارج عن متطلبات بحثنا الراهن.

* * *

مشروعه في عزلته:

المثقف الكوني يعتزل الناس ولا ينقطع عنهم. وعزلته تتمظهر من زاوية

الاشكـال الحيادية، أو السلبية، التي يقف فيهـا المثقف خارج خط الاحـداث الاجتماعية والسياسية.

وفي معتـزلـه يواصـل المثقف الكـوني اهتمامه بالناس فيبحث عن حلول لمشكلاتهم تتوازى احياناً مع اهتمامه بالوجود المجرد. وتختلف دواعي العزلة لدى المثقف من هذا الطراز عنها لدى الشعراء والفنانين في نشدانهم الخلوات بعيداً عن الناس. فما يحكم هذا النزوع هو التطلع الى الاتحاد مع الطبيعة من وراء التمتع بجمـالهـا المحسوس في سكون وصمت لا يخرقه إلا تغريد الطيور وخرير المياه وحفيف الشجر. وما يحمله الشاعر والفنان في عزلته من المجتمع قد لا يتعدى امرأة جميلة تثير مكامن خياله أو كأس من الخمر تغرقه في النشوة.

المثقف الكوني يحمل في عزلته صورة المجتمع وينشغل عنه بايجاد افكار تساهم في تطويره أو تقويم انحرافاته.

ويتنسم المرء في تفكير هؤلاء المعتزلين حيوية من يعيش بين الناس ويعرف همـومهم عن قرب. وقـد تنسمناها في افكار ابو العلاء المترعرعة في مزدوجات العقل /الحلم، والعزلة/ المعايشة. تلك الافكار التي انصاغ منها مشروع تغيير مرتبط بارهاصات منعطف تأريخي في حياة عالمه الاسلامي مما قد يكون مؤشر امتياز عن منجـزات زملائه في المنحى. ان الغالب على الرواد في المنعطفات التأريخية انهم مثقفين مجتمعيين اقل عزلة عن الناس واكثر انغماساً في همومهم اليومية الملموسة. والمعري يقدم المثال المعاكس على القدرة الاستشرافية لمثقف كبير يضع نفسه خارج المجتمع لكي ينتج افكار تهم المجتمع والناس. وقد عبر مشروعه عن مرحلة كان هو الاكثر والاصدق تمثيلاً لخصائصها ومتطلباتها. اقول هذا مع ادراكي ان فكره ليس هو الاعمق بالقياس الى الفلسفة الخالصة، ولا الاكثر جمـوحاً بالقياس الى التصوف القطباني. وقد تحدثنا بالتفصيل عن جوانب هذا المنحى الهـام في نشـاطه الفكري ونلخص الان نقاطه الارأس للمساعدة على بلورته فى ذهن القارىء:

١ ـ نقد الدين والسلوك الديني والمؤسسة الدينية بكليتها. ويعني نقد الدين في هكذا منظومات فكرية نقد ايديولوجية تشكيلة اجتصادية استهلكت لحساب تشكيلة جديدة. ويأخذ نقد الدين هذا المعنى بالخصوص في المجتمعات المستندة الى ايديولوجيا دينية متبلورة، جيدة التتخيم، ومسهور على صيانتها.

٢ ـ الدعوة، مع نقد الدين، الى حرية الاديان، واستنكار الاضطهاد الديني. مع الاتجاه الى القول بتساوي الناس رغم اختلاف الاديان واستمرار الحروب، والانطلاق من هذا الاتجاه لتصور اخوة بشرية تجمع الناس تكون اشمل من الاخوة الدينية التي لا نجد عليها مثال في اللزوميات. وقد مر بنا قوله عن اخوة البشر:

وما نأت القرابة من أناس   أبوهم يافث وأبوك سام

لان يافث اخو سام وهو في علم الانساب اليهمسلامي كما بينا من قبل جد شعوب اخرى غير سامية. وقد وظف هذه الخرافة التأريخية، وما أظنه كان يوافق عليها، لتوكيد اساس ملموس للاخاء البشري.

٣ ـ ادراكه لتقدم الفكر وتفاوت الاجيال في مستويات الثقافة. وكان المسلمين في هذا الشأن فريقين، واحد يقول ما ترك الاول للآخر شيئاً والثاني يقول ليس اضر على العلم من قول القائل ما ترك الاول للآخر شيئاً. ويعم هذا الاختلاف معسكري الدين والفلسفة. وكان هناك الى جانب القائلين بالوقوف عند قول الاوائل من يدعو الى نقدهم وتجاوزهم. وابو العلاء من هذا الفريق. وفي اللزوميات دعوة لتجديد الفكر تقول:

لقد صدئت افهام قوم فهل لها صقال؟ ويحتاج الحسام الى الصقل

ولاحظ الفرق بين الاجيال المسلمة في مستوى الفكر فقال في «الصاهل والشاحج»: لو عاش الدؤلي (ابو الاسود) حتى يسمع كلام الفارسي (النحوي ابو علي) في الحجة ما فهمه فيما احسب الا فهم الامة هدير السنذأب (ص ٧٩).

السنداب (بهمزة على الالف) هو الجمل الصلب الشديد. والامة الجارية*.

وأقر بالتغير في الاشياء وبأن الشيء لا يصلح ان يجري على نسق واحد في كل الاوقات فربما استعمل على ما يجب له في الاصل فقبح وأنكر (الصاهل والشاجح ص ٦٢٩) ويقرب هذا الكلام من توجيه ينسب الى علي بن ابي طالب: «لا تقسروا اولادكم على آدابكم فانهم مخلوقون لزمان غير زمانكم»**.

٤ ـ نقد الاستبداد السياسي والدعوة الى حرية الفكر والعلاقات الديمقراطية بين الناس على اختلاف الملل. ويفتقر نقده للاستبداد السياسي الى فكرة عن نظام سياسي جديد يضمن زوال الاستبداد، من ذلك النمط الذي فكر فيه فلاسفة التنوير الغربيين. وقد لمس من بعيد نظرية العقد الاجتماعي التي تعتبر الحكام اجراء لدى الشعب من غير ان تتحول عنده الى نظرية كالتي وضعها جان جاك روسو.

٥ ـ الدعوة الى احترام الحرفة وجعل العمل اليدوي من اسس النظام الاجتماعي. ويصدر المعري في بعض النصوص عن وعي انتاجي بدا فيه مناوئاً لتقاليد البداوة من جهة ولارستقراطية المدن من جهة اخرى في احتقارها للمهنة والعمل اليدوي. وندد بالغزو كوسيلة لكسب العيش عند البدو، وبالاشتغال في الدولة كوسيلة للعيش عند غيرهم... ومن اقواله في هذا الباب:

لزومية تحبذ الحرفة:

لا تأنفنّ من احترافك طالباً	حِلاً، وعدّ مكاسب الفجار
فالمجد أدركه على علاته	قوم بيثرب من بني النجار

حل بكسر الحاء: حلال. بني النجار: هم اخوال النبي محمد.

---

* هكذا ورد في طبعة بنت الشاطىء. واظن في العبارة تصحيفاً اذ لا مناسبة بين الامة وهدير الجمل.

** يستبعد صدوره عن علي لانه ينطوي على فكرة تطورية هامة ليس من شأنها ان تظهر في الجيل الاول للحضارة. والفكرة تتردد عند الماوردي (القرن الخامس) وغيره.

واخرى تحث على العمل وعدم الاقامة في المساجد للاسترزاق من الناس:

لا تقـومنّ في المسـاجـد ترجـو بهـا الـزُلَـف
مُعـمـلاً بسط راحـتـيك الـى نائـل يُلَف
ورُم الـرزق في الـبـلاد فان رمـتـه ازدلـف

نائل: عطاء. ازدلف: اقترب.

وفي الفصول والغايات (ص ٨٥):

حارث الارض عند ربه أوجه من الحارث الحراب.

الحارث الحراب بتشديد الراء: فارس وأمير جاهلي من كندة.

هذه القيم تناسب حاجات مجتمع يتجه نحو النمو على اساس رأسمالي. ولـذلك جرى التأكيد عليها من جانب مفكري القرن الثامن عشر الذين تعصب بعضهم للعمل اليدوي ضد العمل الفكري. ومن بين هؤلاء كان جان جاك روسو داعية متطرف للعمل اليدوي وتبنى في افكاره التربوية الدعوة الى تأهيل الصغار مهنياً، وقال انه يفضل ان يكون تلميذه اسكافى على ان يكون شاعر.

هل اثر ابو العلاء على احد من بعده؟

وقف على قبره ثمانين شاعر فيما تقول اخباره. ولم يصلنا من مراثيهم إلا القليل. ومن اميز ما قرأته قول ابن ابي حُصنية (بضم الحاء).

تتصـرم الـدنيا وتـأتي بعـده أمـم وأنـت بمـثـله لا تسمـع

وهذا تمجيد لشخصية متفردة يتضمن الحكم عليها بالفشل.. في الواقع لم يؤثـر ابـو العـلاء في احد من تلاميذه أو مريديه، أو من الاجيال التي اعقبتهم. ويستدل من اخباره ان بعض تلاميذه احبوه ومجدوه، ولعل الثمانين شاعر هم من بين هؤلاء الاوفياء. لكن احداً منهم لم يبرز كخليفة للاستاذ يواصل أو يطور أو ينشر

أفكاره. وكان من بين تلاميذه اشخاص سيئين مثل ابو زكريا التبريزي، وكان قد تتلمذ عليه في اللغة حتى صار من كبار شراح الشعر. وقد اعترف بعد اكمال دراسته وعودته الى اهله انه كان يسعى للتجسس عليه. ففي رواية لابن الجوزي (المنتظم ١٨٤/٨) قال التبريزي ان المعري خلا به يوماً فسأله: كيف اعتقادك؟ فقال في نفسه: اليوم يظهر ما يخفيه. فقال له: ما انا إلا شاك. فرد عليه المعري: وكذلك شيخك». وابو زكريا لا يمكن ان يشك وإنما اراد، كما اعترف بالضبط، امتحان عقيدة استاذه.

ومع ان خطوط الالحاد استمرت بعد المعري ولم تنقطع إلا في أوان افول الحضارة، وظهر بعده زنادقة من الفلاسفة والمتكلمين وغيرهم، فان افكاره التي تألف منها مذهبه الخاص به لم تتناسخ في احد، فضلاً عن ان تجد من يطورها ويعالج نواقصها. والسبب كما تبين لنا حتى الآن هو ازمة التطور في المجتمع الاسلامي /تلك الازمة التي حالت دون ظهور منظومات تغيير ناضجة من قبيل ما انتجه عصر التنوير الاوربي، المعبر عن تحولات اجتصادية ناجزة.

اود التنبيه اخيراً اني اتحدث عن فشل مشروع معرة النعمان لا عن قيمته التأريخية. فهنا:

ابو العلاءالمعري خلف تراثاً من اساسيات يبقى صالحاً للاستيعاب في أي تجربة تقام على العقلانية وتسعى لتحرير الناس من الخرافة.

وتراثه الذي استعرضناه في هذه الدراسة هو جزء من تراث الفكر التنويري العالمي بما يضمه من جهود فلاسفة شرقيين وغربيين كافحوا من اجل اعلاء العقل البشري ضد الاوهام والغيبيات.

وعن امثولته كمثقف، امتلك ابو العلاء المعري من الخصال الثقافية ما يتجاوز محيطه الزماني والمكاني ليكون حاضر في أي مسعى منشود لمثقف يريد ان يوحد بين الذات والنص؛ لتوطيد سلطته الثقافية، والطموح منها للاندماج في سيرورة وجود ترتفع به عن صغار الهموم لتفتح له خط المساهمة في عقلنة العالم

ضد العدوان والبهيمية.

وقد يكون مثقفي هذا العصر اقدر منه على اداء هذا المطلب، لانهم يتحركون فوق ذرى جديدة ومتعالية من قيامة العقل البشري تمكنهم من تجاوز نقاط الضعف في المثال.

القسم الثاني

المقارات


KMH

نقد الدين

منشأ الاديان

أفـيقـوا أفـيقـوا يا غواة فإنـمـا دياناتـكم مكـر من القـدمـاءِ
أرادوا بهـا جمـع الحـطام فأدركوا وبـادوا ومـاتـت سُنَّـة اللؤمـاءِ

التمايز الطبقي في ظل الدين

بالخُلف قام عمـود الدين: طائفةٌ تبني الصـروحَ وأخرى تحفر القُلُبا

القلب: جمع قليب وهو البئر.

خلود العالم وعدم صحة القيامة

يقـولـون ان الـدهـر قد حان موته ولـم يبـق في الايام غيرُ ذَمـاءِ
وقـد كذبـوا ما يعـرفـون انقضـاءه فلا تسمعـوا من كاذب الـزعمـاءِ

لا أمام سوى العقل

يرتجى الناس ان يقوم امامٌ ناطقٌ في الكتيبةِ الخرساءِ
كذبَ الظنُّ لا إمامَ سوى العقل مشيراً في صبحه والمساءِ
فإذا ما اطعته جلب الرحمةَ عند المسير والارساءِ
إنما هذه المذاهب أسبابٌ لجذبِ الدنيا إلى الرؤساءِ
غرضُ القومِ متعةٌ لا يرقّون لدمع الشمّاءِ والخنساءِ
كالذي قام يجمع الزنجَ بالبصرةِ والقَرمطي بالاحساءِ

الخلاف حول المسيح

يا آل إسرالَ هل يرجى مسيحكُمُ هيهاتَ قد ميزَّ الأشياءَ من خُلبا
قلنا أتانا ولم يُصلب، وقولكُمُ ما جاء بعدُ وقالت أمةٌ صُلبا
جلبتم باطلَ التوراة عن شحطٍ وربُّ شرٍ بعيدٍ للفتى جُلبا

خُلب: خدع.
شحط: بعد.

الطيور أرشد من اليهود

لو كنت يعقوب طيرٍ كنت أرشد في مسعاكَ من أممٍ تُنمى ليعقوبا

اليعقوب: ذكر الحجل. الجْمع يعاقيب.
الأمم التي تنمى ليعقوب يريد بهم اليهود.

العقل ضد الدين

ولا تصدق بما البرهانُ يُبطلُه فتستفيدَ من التصديق تكذيبا

حروب الاديان

كم يُقتـل النـاس؟ ما هَمُّ الذي عَمِدت
يداه للقـتــل إلا أخــذهُ الـسَـلَبـا

الاديان قضاء وقدر

قَدَرٌ نازلٌ من الـجـو نادى بالـنصـارى حتى أجلوا الصليبـا

ادعاءات الاديان وأكاذيبها

مسـيحـيةٌ من قبـلهـا موسـويةٌ حكت لك اخبـاراً بعيداً ثبـوتُها
وفـارسٌ قد شُبّت لها النار وادّعت لنيرانهـا ان لا يجـوز خبـوتهـا
فمـا هذه الايام إلا نظائـر تسـاوت بهـا آحـادهـا وسبـوتهـا

فيا للنـصـارى إذا أمـسـكـوا ويا لليهـود إذا أسـبـتـوا
وقـد سئـلوا عن عبـاداتـهـم فمـا ايّدوهـا ولا اثـبـتـوا
ومـن خير ما فعـل الـفـاعـلون أنـهـمُ بتُـقـىً أخـبـتـوا

اخبتوا: خشعوا واطاعوا.

من مساويء الاديان

ولا تُطيعـنَّ قوماً ما ديانَـتُـهـم إلا احتيالٌ على أخـذ الأتـاوات
وإنـمـا حَمّـل الـتـوراة قارئهـا كسبُ الفـوائـد لا حبُ التـلاوات
إن الشـرائـع ألقت بيننـا إحَنـاً وأودعـتـنـا افـانين الـعـداوات

وهل أُبيحت نساءُ القوم عن عُرُضٍ للعرب إلا بأحكام النبوات

إحن: احقاد وعداوات. عن عرض؛ بضمتين، بلا مبالاة.

إنكار القيامة

فهل قام من جَدَثٍ ميتٌ فيخبرَ عن مسمعٍ أو مَرا؟
نزول كما زال أجدادنا ويبقى الزمان على ما نرى
نهارٌ يضيء وليلٌ يجيء ونجمٌ يغور ونجمٌ يُرى

مرا: تخفيف مرأى. جدث: قبر.

من خرافات الاديان

وقد كذبوا حتى على الشمس أنها تُهان إذا حان الشروق وتُضرب

يشير الى حكايات القصاصين عن الاجرام السماوية ومنها ان الشمس تابى الطلوع فتسوقها الملائكة قسراً.

افتقار الدين الى القياس

تلك اليهود فهل من هائد لهم والصابئون وكلٌّ جاهلٌ صابي
والانس ما بين إكثار إلى عَدَم كالوحش ما بين إمحال وإخصاب
لم يُثبتوا بقياس أصلَ دينهمُ فيحكموا بين رُفّاض ونُصّاب
ما الركن في قول ناس لست أذكرهم إلا بقيةُ أوثانٍ وأنصاب

الرفاض: الشيعة والغلاة منهم بالاخص. والنصاب هم غلاة السنة.
الركن: ركن الكعبة الذي فيه الحجر الاسود.

اسئلة

أرى فلكاً مازال بالخلق دائراً   له خبرٌ عنا يُصانُ ويُخبأُ

أقضيةٌ لاتزال واردةً   تَحار في كونها الالبّاءُ
قام بنو القوم في أماكنهم   وغيُّبت في التراب آباءُ

ما أطيب الموتَ لشُرّابه   إن صح للاموات وَشْكُ التقاءْ

كذاك قالوا وأحاديثهم   يَبينُ فيها الجَزْلُ والشَخْتُ
لو جاء من أهل البِلى مخبر   سألتُ عن قوم وأرخت
هل فاز بالجنة عمالها   وهل ثوى في النار نُوبَختُ؟

الشخت: الضامر الضعيف. نوبخت: منجم فارسي نزل ببغداد واشتهر احفاده بالعلم والادب وفي بيتهم توفي أبو نواس. ودخول نوبخت في النار بسبب اشتغاله في التنجيم.

شجون عن الحج وغيره

أقيمي لا أعدُّ الحج فرضاً   على عُجْز النساء ولا العذارى
ففي بطحاءِ مكّة شرُّ قومٍ   وليسوا بالحماةِ ولا الغيارى
وإن رجالَ شيبةَ سادنيها   إذا راحت لكعبتها الجَمارى
قيامٌ يدفعون الوفد شفعاً   إلى البيت الحرام وهم سكارى
متى آداكِ خيرٌ فافعليه   وقولي ان دعاكِ البِرُّ آرى
فلو قيل الغواةُ عرفتِ كشفي   من الكذب المموه ما توارى

ولا تثقي بما صنعوا وصاغوا فقد جاءت خيولهُمُ تَبارى
جرت زمناً وتسكن بعد حينٍ وأقضيةُ المهيمنِ لا تُجارى
لعل قِرانَ هذا النجم يهدي إلى طرق الهدى أمماً حيارى
فقد أودى بهم سغبٌ وظِمٌّ وأينُقُهمْ بمَتلفةٍ حسارى
وما أدرى أمَنْ فوق المهارى البُّ إذا نظرتُ أم المهارى
أتتهم دولة قهرت وعزت فباتوا في ضلالتها أسارى
وظنوا الطهر متصلاً بقومٍ وأقسمُ أنهم عيرُ الطهارى
وما كَريت عيون الناس جمعاً ولكن في دُجُنّتها تَكارى
لهم كَلِمٌ تخالف ما أجنوا صدورهم بصحته تمارى

رجال شيبة: هم بنو شيبة، من قريش، الذين اختصوا بسدانة الكعبة.
الجماري: رجم الشياطين بالحجارة عند الحج.
آرى: نعم بالفارسية.
القران بكسر القاف التقاء نجمين من النجوم التي يرصدها المنجمين للتنبؤ بالاحداث. وهو يستخدمه كمفهوم شعري.
اينق بضم النون: النوق.
المهارى: الابل
كريت: نعست ونامت، من الكرى.
في البيتين اللذين يبدآن بقوله: اتتهم دولة... تعريض بالفاطميين.

استحالة اليقين

سألتموني فأعيتْني اجابتُكُمْ من ادّعى انه دارٍ فقد كذبا

والناسُ من أجل هذا الأمر في ظُلَم وما أُؤمّل أن الفجر ينبلج

إنـمـا نحـن في ضلالٍ وتـعليلٍ فان كنـت ذا يقـين فهـاتـه

اسئلة حول الروح

قد قيل ان الـروح تأسف بعـدمـا تنـأى عن الجسـد الذي غَنِيَتْ به
ان كان يصحبهـا الحجى فلعلهـا تدرى وتـأبـه للزمـان وعَـتْبـه
أو لا، فكـم هذيانِ قومٍ غابـرٍ في الـكتب ضاع مِدادُه في كُتْبـه

الحجى، بالالف، العقل.

حقوق الحيوان وحقائق الدين

غدوتَ مريض العقلِ والدينِ فالْقَني لتسمـعَ انبـاءَ الامـورِ الصحـائحِ
فلا تأكُلَنْ ما أخـرج المـاء ظالمـاً ولا تبغِ قوتاً من غريضِ الذبائح
وأبـيضَ أُمـاتٍ أرادت صريحَـه لاطفـالهـا دون الغـواني الصرائح
ولا تُفـجعُن الـطير وهي غوافـلٌ بمـا وضعت فالـظلم شر القبـائح
ودع ضَرَب النحل الذي بكرتْ له كواسـبَ من أزهـارِ نبتٍ فوائـح
فمـا احـرزتـه كي يكـونَ لغيرهـا ولا جمعتـه للنـدى والمنـائـح
مسحتُ يدي من كلِ هذا فليتني أبِهْتُ لشـأني قبلَ شيب المسائح
بني زمني هل تعلمـون سـرائـراً علمـتُ ولـكني بهـا غيرُ بائـح؟
سَريتُم على غيٍّ فهـلّا اهتـديتُمُ بمـا خَبَّـرتكم صافياتُ القـرائـح
وصاح بكم داعي الضلال فما لكم أجبتم على ما خَيّلت كلَ صائح؟

متى ما كشفتم عن حقائقِ دينكم تكشفتُم عن مُخزيات الفضائح

ابيض امات: يريد به الحليب.
ضرب النحل: العسل.
أبهت، والمضارع ابوه، انتبهت. المسائح: الذوائب.

تفضيل حرق الميت

من عاشر الناس لم يَعدم نفاقهُمُ فما يفوهون عن حَقٍ بتصريحِ
فاعجب لتحريقِ أهلِ الهند ميتَهم وذاك أروح من طول التباريح
ان حرّقوه فما يخشَوْن من ضَبُعٍ تسري إليه ولا خُفْيٍ وتطريح
والنار اطيبُ من كافور ميتنا غباً وأذهبُ للنكراء والريح

الخفي: ضم الخاء وسكون الفاء: النبش.

في انتظار نسخ الشريعة

إذا عَقَدتْ عقداً لياليك هذه فان لها من حكم خالقها فسخا
لعمري لقد طالت على المُدلج السرى وليس يرى في حندسٍ لهباً يُسخا
وجدنا اتباع الشرع حزماً لذي النهى ومن جرب الايام لم ينكر النسخا

لهباً يسخا: يؤجج. المدلج: الماشي ليلاً.

تساؤل حول رواية مقدسة؟

فما بال هذا العصر ما فيه آية من المسخ ان كانت يهود رأت مسخا؟

يشير إلى الآيات ٦٥/ بقرة، ٦٠/ مائدة، ١٦٦/ اعراف التي روت عن مسخ بعض اليهود قرود وخنازير.

المشاهدة احق بالتصديق

فواعجبا نقفو أحاديثَ كاذبٍ ونترك من جهلٍ بنا ما نُشاهِدُ

مصدر الغي وشموله

يهوِّد باغي الحاجِ والليلَ مسلمٌ على كفره والارض في زي راهب
تألُّف غيِّ الناس شرقاً ومغرباً تكامل فيهم باختلاف المذاهب

هذيان الامم

أرى هذياناً طالَ من كل أمةٍ يُضمِّنها ايجازُها وشروحُها

كذب الكتب المقدسة

أخبَرتَ عن كُتْبك أعجوبةً ورُبَّ مين ضُمِّنتهُ الكُتُبْ

مين: كذب.

تناقض الدين والعقل

إذا افتكر الانسان في أمر دينه بدا نبأٌ يثني الحجى وبه كَبْتُ
فهل خبر عن أنفسٍ بان وفدها إلى الله معمورٌ بأجسامها الخَبْتُ؟

الخبت: الخشوع.

البرهان المستحيل

رأيت جماعات من الناس أُولِعت   بإثبات اشياءَ استحالَ ثبوتُها
فقد أخبرتْ عن غيِّها سنواتُها   كما أخبرت آحادُها وسبوتها
وما هي إلا النار توقد مرةً   فتذكو وتاراتٍ يحين خُبوتُها

نفي عذاب القبر

قد ادَّعيتم فقلنا اين شاهدكم؟   فجاء من بات عند اللّب مجروحا
إن صح تعذيب رمسٍ من يحل به   فجنّباني ملحوداً ومضروحا

الرمس: القبر.

دعاوى اليهود

ترجو يهود المسيح يأتي   وتأمل الدهر أن يهودا
وكيف تُرعى لهم عهودٌ   من بعدما ضيعوا العهودا
وكل ما عندهم دعاوٍ   حتى يقيموا به الشهودا
غذَوْا وأشياخُهم لجهل   كولْدةٍ أُوطنوا المهودا
وليس بيتي على الروابي   وإنما آلف الوهودا

الدهر: مبنى على الظرفية ومعناه طول الدهر
ولدة: جمع وليد.

العقل لا النقل

جاءت أحاديثُ ان صحت فان لها   شأناً ولكنّ فيها ضعفَ اسنادِ

فشـــاور العقـــلَ واتــرك غيره هَدَراً فالعقُــل خير مشيرٍ ضمـه النـادي

أكاذيب اليهود

يا آل يعـقــوبَ مـاتـــوراتـكم نبــأ من وَرْي زنــدٍ ولـكن وريُ اكبــادِ
إن كان لم يبــدُ للاغمـــارِ سركُمُ فانـــه ليَ في اكـنـــانــه بادي
لقــد أكــلتــم بأمــر كله كذب على تقـــادم ازمـــانٍ وآبــادِ
ورابـني أن احبـــاراً لكم رسخـــوا في العلم ليســوا على حالٍ بعبـاد

وري الزند: قدحه. والزند هو الزناد أي المقدحة.
الاغمار: الجهال. الاكنان: جمع كن وهو المستكن والمخبأ.

جهالة أهل الاديان

عاشـوا كمـا عاش آباءٌ لهم سلفوا وأُورِثـوا الـدين تقليداً كمـا وَجَدوا
فمـا يراعـون ما قالـوا ومـا سمعوا ولا يبـالـون من غي لمن سجـدوا

الغرض من الدين

لولا التنافس في الدنيا لما وُضعتْ كتب التناظرِ لا المُغني ولا العُمَدُ
قد بالغـــوا في كلامٍ بان زُخـرفـه يوهـي العيونَ ولم تثْبت له عَمَــد

المغني: لعله يقصد به كتاب عبد الجبار المعتزلي عن مذاهب المعتزلة.
العمد: جمع عمدة، عنوان لعدة كتب في علم الكلام واصول الفقه.

الايمان تقليد والتفكير إلحاد

في كلِ امـرِكَ تقـليدٌ رضيتَ به ... حتى مقـالُـك ربي واحـدٌ أَحَـدُ
وقـد أُمـرنـا بفكـرٍ في بدائعـه ... وان تفـكـر فيه معشـر لحَـدَوا

إلى أهل الاديان

لا تبـدأونـي بالـعـداوة منكـم ... فمسيحكم عنـدي نظيرُ محمـد
أيُغيث ضوء الصبح ناظرَ مدلجٍ ... أم نحن أجمعُ في ظلامٍ سرمدِ؟
كُمْـه البصـائر لا يَبين لها الهدى ... أو مبـصـرٌ أبـداً بعينـي أرمـد

كمه: جمع اكمه، الاعمى بالولادة. مدلج: السائر في الليل.

الاستخفاف بالمحدثين والفقهاء

أعن واقـدٍ خبَـرتَبي وابْنِ جمـرةٍ ... وآلِ شهـابٍ؟ خامـدٌ كل واقـدِ!

واقد وابن جمرة من رجال الحديث والتفسير. وآل شهاب اشارة الى ابن شهاب الزهري فقيه ومحدث اموي، من بني زُهرة القرشيين.

ضد زواج الضرائر

ومن جمـع الضـراتِ يطلب لذةً ... فقـد بات في الإضـرار غيرَ سديدِ
وان يلتمس اخـرى جديداً لحاجة ... فلا يأمـنـن منـهـا ابتغـاء جديد

يقول انه مثلما يتطلع الرجل الى التجديد في العلاقات الجنسية فكذلك المرأة؟.

النسك المستحيل

مادامت الـوحشُ والانعـامُ خائفـةً   فَرْسـاً فما صحَّ أمر النسك للاسد

الوحش: حيوانات البر المسالمة. الانعام: الحيوانات الاليفة النافعة للانسان.
تعريض بالمؤمنين الذين يأكلون اللحم ويدعون انهم نساك.

مفارقات الاديان

وجـدنـا اختـلافـاً بيننـا في إلّهنـا   وفي غيره، عز الـذي جل واتحـدْ
لنـا جمعـة، والسبت يدعى لأمـةٍ   أطافت بموسى، والنصارى لها الأحد
فهـل لبـواقي السبعة الزُهْرِ معشرٌ   يُجِلّونهـا ممن تنسـك أو جحـد؟
تقـربَ ناسٌ بالمُـدام وعنـدنـا   على كل حال أن شاربهـا يُحَـد

السبعة الزهر: يعني الكواكب السيارة وهي سبعة في الفلك القديم الذي يضم اليها الشمس والقمر.
يحد: يعاقب.

إنكار القيامة

فهل يرتجى خُضْرَ الملابسِ ظاعنٌ   وقد مُزِّقت في باطن التُرب غُبْرها؟

أكاذيب الاديان

أتتـنـيَ انبـاءٌ كثيرٌ شجـونُهـا   لهـا طُرُقٌ أعيا على الناسِ خُبرها
هفـا دونهـا قس النصـارى ومَـوبِدُ   المجوسِ ودَيَّانُ اليهـود وحَبـرهـا

وخـطوا أحـاديثاً لهم في صحائف   لقـد ضاعت الاوراق فيها وخِبرها

أعيا على الناس: تعذر وصعب. خبرها بضم الخاء: اختبارها.
الضمير في «خطوا أحاديثاً» راجع الى المسلمين.
الموبد: من المراتب العليا للزعامة الدينية في الزرادشتية.

واختلاف المذاهب

تحـالفت الاشياعُ في عُقَب الردى   وتلك بحـارٌ ليس يدرك عِبـرهـا
وقيل نفـوسُ النـاس تسطيعُ فعلَها   وقـال رجـال بل تبيَّن جَبْـرهـا

العبر بكسر العين: العبور وهو كذلك في لهجة العراق.
يشير الى الاختلاف في القضاء والقدر.

دعوة لنبذ الكتب الدينية

ولا تقـرأ الكتبَ المضلِّلَ درسهـا   وقـد وَضَحت طرق الهدايةِ فاقرُها

يقرو الشيء: يقصده ويتتبعه. ومنه الاستقراء في المنطق.

انكار قبر الامام في النجف

ومـا صح للمرء المحصـلِ أنـه   بكـوفـانَ قبـر للامـام يزار

كوفان: الكوفة.
الانكار ورد في تاريخ بغداد للخطيب البغدادي الذي توفي بعد ابو العلاء بستة عشر سنة.
منشأ الانكار ان علي بن ابي طالب دفن سراً ولم يُعرف موضع قبره طيلة الحكم الاموي.
ومن المحتمل ان قرار الدفن صدر عن الحسن ولده الاكبر الذي بويع بعده وكان ينوي عقد

الصلح مع معاوية والتنازل له عن الخلافة. ولا بد انه فكر في احتمال تحرش الامويين بالقبر فارتـأى اخفـاءه. وفي تقـديري ان ابناء علي كانوا يعرفون موضع القبر ويتناقلونه بالتوارث حتى تم الكشف عنه بعد زوال الحكم الاموي.

إبطال خرافة دينية

تورعـوا يا بنـي حواءَ عن كَذِبٍ فمـا لكم عنـد ربٍّ صاغكم خَطَرُ
لم تجـدبـوا لقبيحٍ من فعـالكُمُ ولم يجئكمْ لحسنِ التـوبـة المطر

أكاذيب الاديان

هل صح قول من الحـاكي فنقبله أم كل ذاك أبـاطـيلٌ وأسـمـار؟
أمـا الـعـقـول فالت أنـه كذبٌ والعقـل غرس له بالصـدق إثمـار

الاسمار من السمر: الحكايات الخرافية. ترد هكذا في صيغة الجمع.

فساد المسلمين

قد أصبـح الـدين مضـمحـلاً وغـيرت آيَه الـدهـور
فلا زكـاة ولا صيام ولا صلاة ولا طهـور
واعـتـاضَ حِلُّ الـنـكـاح قومٌ بنـسـوةٍ ما لهـا مهـور

الآي: جمع آيـة. وتعني هنا الدلالة والعلامة وهو معناها الاصلي المأخوذ من جذر سومري.

المقصود بالدين في هذه اللزومية مجموعة قواعد السلوك المأمور بها في الشرع الاسلامي، والمعري يميزها عن الدين كأيديولوجيا. وفي البيت الاخير يتحدث عن اباحة مضاجعة

الجواري بمجرد الشراء أو الاسر.

فشل الاديان

أمــور نســتــخــفُ بهــا حلومٌ وَمــا يدري الـفـتـى لمن الثبــورُ
كتــاب محــمــد وكـتــاب موسى وأنـــجـيل ابـن مريم والــزبــور
نهت أممــاً فمــا قبلت، وبــارت نصـيحـتــهــا فكــل الـقــوم بور

الكذب المتوارث

كل الـــذي تحكــون عن مولاكُمُ كذب أتــاكـم عن يهــودَ يُحبِّــر
رامـت به الاحـبــار نيل معيشــة في الــدهــر والعمـل القبيح يُتبِّـر

من الملوم اذن؟

وهــل ألــوم غيبــاً في غبــاوتــه وبــالـقضــاء أتـتــه قلّةُ الفــطن؟

زخارف العهد القديم

بين الــغــريزة والــرشــاد نفــارُ وعلى الـزخـارف ضُمِّتِ الاسفــارُ
وإذا تســاوى في القبيح فعــالنـا فمـــن الـتـقـيُّ وأيّنــا الـكـفــار؟

السر المعروف

ولــديَّ سر ليس يمــكــن ذكــره يخفى على البصــراءِ وهــو نهار

وزن الاحاديث بالعقل

والحديث المسموع يوزن بالعقل   فيُضْوى إليه عُرْف ونكر

يضوى: ينضوى.

انكار خرافة الخضر

يقول الغواة الخضر حيٌّ، عليهمُ   عفاء، نعم ليل من الفتن اخضّرا
ولو صدقوا ما انفك في شر حالةٍ   يعاني بها الاسفار اشعثَ مغبرّا
ولكنَّ من اعطاهم الخبر افترى   وأُلفي مثل السِيد أجمع وافترا
جنى قائلٍ بالمين يطلب ثروةً   ويُعذر فيه من تكذب مضطرا

السيد: بكسر السين الذئب. المين: الكذب. جنى: محصول، من الجني.
افتر الذئب الشاة: مزقها.

دين مكة ودين القرامطة

ودين مكةَ طاوعنا أئمته   عصراً، فما بال دينٍ جاء من هجرا؟

هجر: عاصمة القرامطة، من مدن الاحساء القديمة.

إنكار القيامة

والناس في ظُلَم الشكوك تنازعوا   فيها وما لمحوا نهاراً باهرا
نَمْضي ونتّركُ البلاد عريضةً   والصبحَ أنورَ والنجوم زواهرا
عش ما بدا لك لن ترى إلا مدىً   يُطوى كعادته ودهراً داهرا

تصارع الاديان

تلت النصارى في الصوامع كتبها ويهودُ تقرأ بالقرى أسفارَها

ليس المعاشر سبَّدتْ هاماتِها كمعاشر أمست تُجمّ وفارها

وأعِدَّ قصَّ الظُفْر شيمَة ناسكٍ والهندُ بعدُ مطيلةٌ اظفارها

مِللٌ غدت فِرقاً، وكل شريعةٍ تُبدي لمُضْمِر غيرِها إكفارَها

التسبيد: استئصال الشعر. والوفار بكسر الواو الشعر الكثيف المسترسل.

عدم تناهي العالم

ولو طار جبريل بقية عمره عن الدهر ما اسطاع الخروج من الدهر

اسطاع: استطاع: واللزومية كناية عن ازلية الزمان.

ضد احتكار الحقيقة

يسمي غويٌّ من يخالف كافراً له الويل أي الناس خالٍ من الكفر؟

حصلنا على التمويه وارتاب بعضُنا ببعضٍ فعند العين ريب من الشُفْر

الشفر: شفار العين وتطلق على منابت اهدابها.

نقد زواج الضرائر

قرانك ما بين النساء اذيةٌ لهن فلا تحملْ اذاة الحرائرِ

وان كنت غرّاً بالزمان وأهله فتكفيك احدى الآنسات الغرائر

تحميل الخالق مسئولية الظلم في الطبيعة

قضـــاءٌ يوافي من جميع جهـــاتـه كمـــا هو عن أيْمـــانـنـــا والأياسـر
ولـو لم يُرِد جورَ البـزاة على القطا مكـوِّنهـــا ما صاغهـــا بمنـــاسـر

ايمان بفتح الهمزة جمع يمين، ضد يسار.
مناسر: جمع مِنْسر منقار الجوارح.

من تناقضات الشريعة

تنـــاقضٌ ما لنـــا إلا السكـــوتُ له وأن نعـــوذَ بمـــولانـــا من الـنـــار
يدٌ بخـمسِ مئينٍ عسجـــدٍ فُديت ما بالُهـــا قطعت في ربـع دينـار؟

اليد إذا قطعت كانت ديتها خمسمئة دينار ذهب. ومن يسرق ربع دينار تقطع يده.

قال امين عبد العزيز في الدفاع عن المعري: «ان اعتراضه على الفقهاء وليس على الباري لان بعض الفقهاء قال: لا تقطع اليد إلا في الثمين من المال. وأما في الخسيس ففيه التعـزير والـزجر بالحبس والضرب». ولم أقف على قول هذا الفريق من الفقهاء. والمتفق عليه في مصادر الفقه انها تقطع في المال المحرز اذا بلغ ربع دينار ولا تقطع في الغير محرز مهما بلغت قيمته.

رد على المعري معاصره القاضي عبد الوهاب المالكي. راجع القسم الاول فصل ردود وأهاجي.

إنكار القيامة

خذ الـمـــرآة واستخبـر نجـومـــاً تُمِـرّ بمُـطْعـم الأري الـمشـــور
تدل على الـــحِـمـــام بلا ارتـيـابٍ ولـكـــن لا تدل على الـنـشـــور

الأري المشور: العسل المجنى من الخلايا. الحمام بكسر الحاء، الموت.

قوله. تمر بمطعم الاري المشور يريد به جعل الحلو مراً ولا أدري لاي شيء يرمز.

باطل التوراة

ولا تقبـل من التـوراة حكمـاً　　فان الـحـق عنـهـا في تواري
أرى اسفـارهـا ليهـودَ اضحت　　بواريَ قد حُسـبـن من الـبـوار

بواري: مبرية، يريد انها ممحوة ومستهلكة.

اختلاف الاديان

والعقل يعجب للشروع: تمجسٍ　　وتـحـنـفٍ وتـهـودٍ وتـنـصـرِ
فاحـذر ولا تَدَع الامـور مضـاعـةً　　وانـظر بقـلبٍ مفكـرٍ متبصـر

الشروع: جمع شرع.

تهافت حجج الاديان

ضلت يهـود وإنـمـا توراتـهـا　　كذب من الـعـلمـاء والاحـبـار
قد أسـنـدوا عن مثلهم ثم اعتلوا　　فَنَمـو باسـنـادٍ إلى الـجـبـار
وإذا غلبتَ منـاضـلاً عن دينـه　　ألـقى مقـالـده إلى الأخـبـار
أقـسـام لفـظك ستـة، وجميعهـا　　لا مَيْن يلحـقـه سوى الإخـبـار

الجبار: الله. نموا: نسبوا.

صراع المذاهب

شيَعٌ أجــلَّت يوم خُمٍ وانــثـنـت   أخــرى تعــارضــهــا بيوم الغــار

يوم خم: اشارة إلى حديث غدير خم الذي قال فيه النبي محمد: من كنت مولاه فعلي مولاه.

يوم الغار: اشارة الى اختباء ابو بكر مع النبي في غار ثور عند الهجرة من مكة.

سؤال عن الغاية

نفـارق العيش لـم نظفـر بمعـرفـة   أيُّ المعاني بأهل الارض مقصود؟

لـم تعـطنـا العلمَ اخبارٌ يجيء بها   نقلٌ ولا كوكب في الارض مرصود

غموض

سرٌّ قديمٌ وأمــر غير متــضــحٍ   فهـل على كشفنـا للحق إسعـادُ؟

تشكيك في الاخبار الدينية

خبَّــرتــنـي امــراً فقــل راشــداً   من أين هذا الــخــبــرُ الــشــاردُ؟

سؤال عن الحشر

لا حِسَّ للجسم بعد الروح نعلمه   فهل تحسّ إذا بانت عن الجسد؟

وعن القيامة

أمــا الـقـيامــة فالتنــازعُ شائــعٌ   فيهــا ومــا لخـبـيثـهــا إصحــار

الالوهية افتراض

صنـعـةٌ عزّت الانـام بلطفٍ وعـزتهـا إلى القـدير العـوازي

قوله: عزت الانام بلطف يعني تعذر فهمها على الناس لدقتها. والصنعة تعود للعالم.

الفقهاء

أجـاز الـشـافعيُّ فعـالَ شيءٍ وقـال ابـو حنـيفـةَ لا يجـوز

فضـلّ الـشِيبُ والـشبـان منـا ومـا اهتـدت الفتـاة ولا العجـوز

لقـد نزل الـفـقـيه بدار قوم فكـان لأمـره فيهـم نجـوز

ولـم آمـن على الـفقهـاء حبسـاً إذا ما قيل للامـنـاء جوزوا

نجوز: نفاذ وقبول.

في البيت الاخير اشارة الى المرور على الصراط يوم القيامة وتوقعه أن يمنع الفقهاء منه. ولكن يا ترى من سيدخل الجنة اذا منع منها رجال الدين؟

تكذيب الاسماعيلية

لقـد كذب الـذين طَغَـوا فقـالـوا أتـى من ربـنـا أمـر برمـز

يشير الى التفسير الباطني للنصوص الدينية.

توقع زوال الاديان

أظلمتَ فاهتجتَ تبغي في جميعهمُ نبـراسَ ليلٍ ومـا في القوم نبراسُ

تعـلّم الـكـفـرَ أولاهم وآخِـرهم فكـل ارض بهـا جمـع ومدراس

وعـن قليلٍ يصـير الامـر منتقلاً   عنهم وتخفت للأجـراس أجـراس

مدراس: وبالعبرية بالشين، موضع تلاوة التوراة وقراءتها.
أجراس: الاخيرة جمع جرس بسكون الراء أي صوت.

تعاقب الانبياء وتعاقب الضلال

دعـا موسـى فزال وقـام عيسـى   وجـاء محـمـد بصـلاةِ خمسِ
وقـيل يجـيء دينٌ غيرُ هذا   وأودى الـنـاس بين غدٍ وأمس
ومن لي ان يعـود الـدين غضـاً   فينقـعَ من تنسـك بعـد خِمس
ومـهـمـا كان في دنـياك أمـرٌ   فمـا تخـليك من قمـر وشـمس
وآخـرهـا بأولـهـا شبـيهٌ   وتـصبـح في عجـائبهـا وتمسى
إذا قلت الـمُحـال رفعت صوتي   وان قلت الـيقـين أطـلت همسي

خمس: بكسر الخاء شرب الابل بعد الشربة الخامسة وفُسر البيت لذلك بانه دعوة الى الاتيان بدين جديد بعد الاديان الخمسة السابقة وهي دين نوح وابراهيم وموسى وعيسى ومحمد.
المحال: الباطل المستحيل.

جاءت الابيات في رواية لابن الشحنة في «روضة المناضر» كما يلي:

أتـى عيسـى فبـطّل شرع موسـى   وجـاء محـمـد بصـلاة خمس
وقـالـوا لا نبـيٌّ بعـد هذا   فضـلَّ الـقـوم بين غد وأمس
ومـهـمـا عشـت في دنياك هذي   فمـا تخـليك من قمـر وشـمس
إذا قلت الـمـحـال رفعت صوتي   وان قلت الـصحيح اطلت همسي

تهافت الاديان وفشلها

والعقل يَعجب، والشرائع كلها ... خيرٌ يقلِّد لم يقسه قائس
متمجسون ومسلمون، ومعشر ... متنصرون، وهائدون رسائس
وبيوتُ نيرانٍ تزار تعبداً ... ومساجد معمورة وكنائس
والصابئون يعظمون كواكباً ... وطباعُ كلٍ في الشرور حبائسُ
أنى ينال أخو الديانة سؤدداً ... ومآرب الرجل الشريف خسائس؟

هائدون: يهود. رسائس: من معاني الرسيس الخبر الذي لا يصح، جعله في مقام الصفة.

إنكار الوحي

قالت معاشرُ لم يبعث إلهكُمُ ... إلى البريّة عيساها ولا موسى
وإنما جعلوا للقوم مأكلةً ... وصيَّروا لجميع الناس ناموسا
ولو قدرت لعاقبت الذين طغوا ... حتى يعود حليفُ الغي مرموسا

مرموس: مقبور.

تكذيب قصة آدم

قال قوم، ولا أدين بما قالوه ... ان ابن آدمٍ كابن عرسٍ
جهل الناس ما ابوه على الدهر ... ولكنه مسمى بخَرْسْ
في حديث رواه قومٍ لقومٍ ... رهن طِرْسٍ مستنسخ بعد طرسِ

الخَرْس: لفتح الحاء، الدهر. هذا الشطر من البيت الثاني محكوم بالقافية. طرس: كسر الطاء، الورق.

مثلما ابن عرس ورد على سبيل التسمية وليس له أب اسمه عرس فكذلك ابن آدم .

إلى المسلمين

أرى الأيام تفعلُ كلَّ نُكرٍ فما أنا بالعجائبِ مستزيدُ
أليس قريشُكُم قتلت حسيناً وصارَ على خلافتكم يزيدُ؟

الكذب للجميع

وقد كذب الصحيحُ بلا ارتيابٍ فهل صدق الاصمُّ أو الاشجُّ؟

الاصم: ابو حاتم. والاشج ابو سعيد عبدالله بن سعيد. وكلاهما من الفقهاء.

فقد اليقين

أصبحتُ في يومي أسائلُ عن غدي متخبراً عن حاله متندسا
أما اليقين فلا يقينَ وإنما أقصى اجتهادي ان أظن وأحدسا

يتندس: يستطلع الاخبار. وفي العامية العراقية: فلان يندس على فلان أي يقدم عليه تقارير للسلطة.

وفقد القياس

قد نفضت السهام ابغي المقاييس فلم يُثبت الرميَّةَ نفضي

الغاية من الخلق؟

أرى جوهراً حل فيه عَرَض تبارك خالقه ما الغرض؟

اليقين الوحيد

أمـا اليـقـين فأنـنـا سَكَنُ البلى ولـنـا هنـاك جمـاعـة فُرّاط

ولـكـل دهـرٍ حِلْيةٌ من أهـله ما فيهـم جَنَـف ولا إفـراط

كم لاحت الاشراط في جنح الدجى فمتـى تبـين لبعـثـنـا أشـراط؟

فراط: سابقين. جنف: ميلان. أشراط: علامات.

المجهول أبداً

أمـا الالـه فأمـرٌ لست مُدْركَـه فاحذر لجيلك فوق الارض إسخاطا

والشيب قد خيّط الفَوْدين عن عُرُض ومـا عدا جِدَّة الايام ما خاطـا

الفودين: جانبي الرأس. عن عرض: بدون مبالاة. جدة الايام: كناية عن الشباب.

تفضيل الاحراق على الدفن

حرّق الهنـدُ من يموت فما زاروه في رَوْحـةٍ ولا تـبـكـيرِ

واستـراحـوا من ضغـطةِ القبر ميتاً وسـؤالٍ لمـنـكـر ونـكـير

صراع المذاهب

وخـالـفـك الـنـاس في مذهبٍ فقـلـت عليٌّ وقـالـوا عمـر

وأنـى يرجّـون غَمْـر الـهـدى وقـد غرِقـوا في جمـام الغمـر

جمام الغمر: الخضم الطامي.

تكفير الصادقين

لحــى الله قومــاً إذا جئــتَــهــم بصــدق الاحــاديثِ قالــوا كفــر

لحى: لعن وأبعد.

مخالفة العقائد للقياس

أبـيتـم سوى مينٍ وخُلْفٍ وغـلطةٍ فليس لوعــدٍ في الجميل نُجــوز

وان الـذي تحكـون ليس بجائـزٍ ولـكـن سواه في الـقياس يجــوز

الاديان سواء

ولـــيس يثـبـت للايام من شرفٍ إذا تفــاخــرت الآحــادُ والجمــعُ

نبوة العقل

أيهــا الغــرُّ إن خُصصتَ بعقــلٍ فاســألَـنْــهُ فكــل عقــلٍ نبــيُّ

إنكار القيامة

زعــمــوا أنــني سأرجــع شرخــاً كيف لي كيف لي وذاك التمـاسي

وأزور الــجِــنــانَ أُحبــر فيهــا بعــد طولِ الهمـود في الارمـاس

أيُّمــا طارقٍ أصــابــك يا طارقُ حتــى مَســاك للغــي ماســي

شرخ: شاب. أُحبر: أفرح، من الحبور.

اعتراض على قسمة المواريث

حيرانُ أنت فأيَّ الناس تتبعُ   تجري الحظوظ وكلّ جاهل طَبِع

والأم بالسدس عادت وهي أراف من   بنت لها النصف أو عِرْسٍ لها الرُبُع

العرس بكسر العين: مرادف قديم للزوجة. طبع بكسر الباء: فاسد، والطبع بفتحتين الفساد والهلاك، من جذر سامي قديم مشترك بين هذا المعنى ومعنى الختم والطبيعة.

تذمر من الصراع الديني

المينُ أهلكَ فوق الارض ساكنَها   فما تَصادقُ في ابنائها الشِيعُ

لولا عداوةُ أصلٍ في طباعهمُ   كانت مساجدُ مقروناً بها البِيعُ

تصادق: تتصادق، حذف احدى التاءين للوزن. الشيع: الفرق والطوائف. المين: الكذب. البيع جمع بيعة بالكسر: الكنائس.

رجال الدين

لقد جاء قوم يدّعون فضيلةً   وكلهُمُ يبغي لمهجتِه نفعا

وما انخفضوا كي يرفعوكم وإنما   رأوا خفضكم طول الحياة لهم رفعا

وما ثبّتوا من شاهدٍ يُهتدى به   فان لزموا دعواهمُ فالزموا الدفعا

الدفع: هنا بمعنى الانكار.

أكاذيب الاديان

واعرض أحاديث من قومٍ أتوك بها   على قياسِك تحلف أنهم وَلَعة

ولعة: جمع ولوع وهو الكاذب (في الاصل: المولع بالكذب).

نقد الضرائرية

تزوجَ بعــد واحــدةٍ ثلاثــاً　　وقــال لعِــرســه يكـفيكِ رُبـعي
فيرضــيهــا إذا قنــعــت بقــوتٍ　　ويرجــمــهــا إذا مالــت لِتـبْــع
ومـن جمــع اثـنتين فمــا توخى　　سبيل الـحـق في خمس وربــع

عرسه: زوجته. استعمال قديم. تبع: تابع. يريد الرجل الآخر.

حملة على الشيعة

مالـي رأيتــك لا تُلمّ بمســجــد　　حتى كأنــك في البـلاغ الســابـع
سبــح بواحــدةٍ ففــيهــا بُلْغـة　　للمتقين وكُــلْ بخمسٍ أصــابــع
يا أولاً في الــكـفــر لم يك ثانـياً　　طال استتــارك بالامــام الــرابــع
والشمـر عنـدك في الحسين موفَّقٌ　　لمــا حمــاه من الفـرات النـابـع

البلاغ السابع: آخر مرتبة يصلها الاسماعيلي وفيها يعلن نسخ الشريعة والغاء العبادات.
بلغة: أكلة يسيرة.
الامام الرابع: علي بن ابي طالب.
حماه: منعه لعله يقصد غلاة الاسماعيلية والنصيرية القائلين: بالوهية علي واولاده وتفسير قتلهم تبعاً لذلك على انه الخطوة الاخيرة في تألههم بانفصال اللاهوت عن الناسوت فيهم. وهم لذلك يقدسون قاتل علي.

فساد الاديان

توافـقـتِ الـيهــود مع النصــارى　　على قتــل الــمــسيح بلا خلاف
ومـا اصـطلحـوا على ترك الـدنايا　　بل اصطلحوا على شرب السُلاف

تلافيناهُمُ بالقول فيهم   فجاءهمُ التلافي بالتلاف
ترفق ان ديني ليس نبعاً   ولكن بالخلاف من الخلاف
وقد دمنا على سوء السجايا   كما دامت قريش على الإلاف

السلاف: الخمر. الخلاف: شجر الصفصاف. والنبع: الشجر الصلب.
يقول ان دينه لين هش يشبه الصفصاف، المعروف بليونته، ولا يشبه النبع المتخشب.
ويتحمل هذا القول معنيين: ان يقصد بساطة دينه الشخصي وسماحته. أو هشاشة دينه كمسلم وكونه ليس أفضل من اليهودية والمسيحية. ويقوّي البيت الاخير هذا المعنى.

الاديان والحروب

تَهيجُ صغائرُ الاشياء خطباً   جليلاً ما سناه بمُشْتَشَفٌ
وان القتل في أُحُد وبدر   جنى القتلين في نهرٍ وطف

نهر: النهروان من انهار العراق الغابرة التي اندثرت وكانت قد جرت بقربه المعركة بين علي بن ابي طالب والمنشقين عليه من الخوارج.
الطف: كربلاء.

تفضيل النصارى واليهود على المسلمين

الطَيْلَسانُ اشتُقَّ في لفظه   من طُلسة المبتكِر الجامعِ
وزِيد ما زِيد لتوكيده   فالشرّ في بارقه اللامع
أما استحى العدلُ واخباره   سيئة في أُذُن السامع؟
ما جار شمّاسك في حكمه   ولا يهوديّك بالطامع
فالقَسّ خيرٌ لك فيما أرى   من مسلم يخطب في الجامع

الطيلسان: الجبة التي يلبسها رجال الدين. الطلسة بالضم: الذئبية، اشتقاق من الاطلس، من اسماء الذئب. والمبتكر: الذي يخرج مبكراً لالتماس الفرائس والارزاق. العدل هنا اشارة الى المسلم الذي يتولى مركز أو وظيفة دينية أو قضائية.

ضد التوكل

تروم رزقاً بان سَمُوْك متكلاً   وأُذْيَنُ الناس من يسعى ويحترف

المعري أفضل من موسى

ولست كموسى أهاب الحِمام   ولكن أود لقاء المَلَك

تقول الاسمار الدينية ان موسى نازع ملك الموت لما جاء لقبض روحه فراراً من الموت.

إنكار القيامة

إذا كان ما قال الحكيم فما خلا   زمانيَ مني منذ كان ولا يخلو

أُفرِّق طوراً ثم أُجمع تارةً   ومثليَ في حالاته البِذْرُ والنخل

يريد بالبيت الاخير ان الموجودات الجزئية نتاج سيرورة ابدية من الكون والفساد مما يعني بدوره خلود المادة مع تغير أشكالها الوجودية.

فرق وفقهاء

ومعتزليٌّ لم أوافقه ساعة   أقول له في اللفظ دينك اجزلُ

أريد به من جُزلة الظهر، لم أرِد   من الجزل في الاقوال تُلْوى وتُجزل

جهلتُ: أقاضي الري أكثر مأثماً   بما نَصَّه أم شاعر يتغزل؟

وأعلم ان ابن المعلم هازل بأصحابه، والباقِلانيُّ أهزل
وكم من فقيه خابطٍ في ضلالة وحجتُه فيها الكتاب المنزَّل
وقارئكم يرجو بتطريبه الغنى فآض كما غنى ليكسب زُلزُل
فما لعذابٍ فوقكم لا يعمكم وما بال ارض تحتكم لا تُزلْزَل؟

جزلة الظهر بضم الجيم: قرحة تصيب ظهور الدواب. قاضي الري: عبد الجبار كبير المعتزلة في زمان ابو العلاء. ابن المعلم: من متكلمي المعتزلة. الباقلاني (ابو بكر) متكلم اشعري. أصله بتشديد اللام نسبة الى الباقلاء وخففه للوزن. زلزل بضم الزاءين: مغني مشهور في القرن الثالث. آض: عاد.

أباطيل الاديان

دين وكفر وانباء تُقص وفرقان يُنصُّ وتوراة وأنجيل
في كل جيلٍ أباطيلٌ يدان بها فهل تفرد يوماً بالهدى جيل؟

وأهل الاديان

مجوسية وحنيفية ونصرانة ويهوديّه
نفوس تخالفُ أديانها وليست من الموت مفديّه
تُراقب مهديها ان يقوم فتلفى إلى الحق مهديّه

تخالف: اصلها تتخالف، حذف احدى التاءين للوزن.

تناقض النص الديني

اخبرتني بأحاديثٍ مناقضة فرابني منك قولٌ غيرُ متفِق

إنكار القيامة

ضحكنا وكان الضحك منا سفاهة وحقّ لسكـان البسيطة ان يبكـوا
يحـطمنـا ريب الـزمـان كأننـا زجـاج ولكن لا يعـادُ له سبـك

العقل أولاً

وينفـر عقلي مُغْضَبـاً إن تركتـه سدىً واتبعت الشـافعيَّ ومـالكـا

زواج الضرائر

متـى تُشـرك مع امـرأةٍ سواهـا فقـد اخـطأتَ في الـرأي التـريك
فلو يُرجـى مع الـشـركـاء خيرٌ لمـا كان الالـه بلا شريك

تكذيب التناسخ

يقـولـون ان الجسمُ ينقـلُ روحـه إلـى غيره حتى يهـذِّبهـا النقـل
فلا تقبـلن ما يخبـرونـك ضلةً إذا لم يؤيد ما أتـوك به العقـل

ضلة: ضلال.

قال الـنُـصـيريُّ ومـا قلتـه فاسمـع وشجـع في الوغى ناكلك
قد كنـتَ في دهـرك تفـاحـة وكـان تفـاحـك ذا آكـلك

إنكار الخالق

قلتـم لنـا خالـقٌ حكـيمٌ قلنـا صدقـتـم كذا نقـول

زعـــمــتــمــوه بلا مكـانٍ ولا زمــانٍ ألا فقـولـوا
هذا كلامٌ له خبـيء معـنـاه ليسـت لنـا عقـول

تعذر الدليل

سمعتـك مُخْبـراً فنـظرتُ فيمـا تقـول فكـان أمـراً يسـتـحيل
متى أسـألْـك في يومي دلـيلاً أجـدْك به على غده تُحـيل

مسئولية الله عن سفك الدماء

إن كان من فعـل الكبـائر مُجْبَـراً فعـقـابـه ظلم على ما يفـعـل
والله اذ خلق الـمـعـادنَ عالـمٌ ان الحِـداد البيض منهـا تُجعـل
سفـك الـدمـاء بها رجال أعصموا بالـخيل تُلجم بالحـديد وتُنعَـل

الكبائر: الجرائم الكبيرة.
الحداد البيض: السيوف. اعصموا: اعتصموا.

العقل والامام

من اهتـدى بسوى المعقول أوردَه من بات يَهـديه ماءً طالمـا تَبَـلا
خيرٌ لعمـري وأهـدى من إمـامهمُ عكاز أعمى هدته، إذ غدا، السُبُلا

تبله: اثقله وامرضه. ومنه المتبول بالحب، والتوابل لثقلها وحدتها والتبل، كعوض، للثقيل في لهجة بغداد.

أكاذيب الكتب المقدسة وحيل أصحابها

يتلون أسفارهم والحق يُخبرني — بأن آخرها مَيْنٌ وأولَها

صَدَقْتَ يا عقل فليَبْعُد أخو سفهٍ — صاغ الأحاديث إفكاً أو تأولها

وليس حَبرٌ ببِدْعٍ في صحابته — ان سام نفعاً بأخبارٍ تقَوّلَها

وإنما رامَ نسواناً تزوجها — بما افتراه وأموالاً تموّلها

طال العناءُ بكون الشخص في أُمَمٍ — تَعدّ فِرْية غاويها معوَّلها

وصاحبُ الشرع كان القدسُ قِبلتَه — صلى اليها زماناً ثم حولها

لا يخدعنَّكَ داعٍ قام في ملأٍ — بخُطبةٍ زان معناها وطوّلها

فما العظاتُ وان راعت سوى حيلٍ — من ذي مقال على ناس تحوّلها (تحيلها)

مين: كذب. بدع (كسر الباء) غريب، غير مألوف. يريد ان اكاذيب الاحبار متوقعة وليست جديدة على الناس. الفِرْية: الكذبة. صاحب الشرع يريد به محمد.

شماتة بآدم!

دع آدماً لا شفاه الله من هَبَلٍ — يبكي على نجله المقتول هابيلا

ففي عقاب الذي أبداه من خطأ — ظَلْنا نمارس من سُقمٍ عقابيلا

دهر يكرُّ ويوم ما نمرُّ به — إلّا يزيد به المعقول تخبيلا

ظلنا: ظللنا.

إما الدين وإما العقل

هَفَتِ الحنيفةُ والنصارى ما اهتدت — ويهودُ حارت والمجوس مضلَّله

اثنانِ أهلُ الارض: ذو عقلٍ بلا دينٍ وآخــرُ ديِّنٌ لا عقــل له

إنكار القيامة

لو قام أمواتُ العواصمِ وحدَها ملأوا البـلادَ حُزونَهـا وسهـولَها
فخـذ الـذي قال اللبيبُ وعش به ودع الغــواة كَذوبهـا وجَهـولهـا

الحُزون: الاماكن الوعرة.
العواصم: معاقل اقامها الامويين ثم العباسيين ما بين حلب وانطاكية.

طعن في اخبار دينية

حديثٌ جاء عن هابيلَ في الـدهـر وقـابيـلا
وطـيرٌ عكـفـتْ يومـاً على الـجـيش أبـابـيلا
لبـسـنـا من مدى الايام للغـي سرابيـلا

لا يكـذب النـاسُ على ربهـم ما حُرِّك الـعـرش ولا زُلـزلا
فليت من يفـري أحـاديثـه مات فصـيلاً قبـل ان يـزُلا

في اللزومية الاخيرة يكذب رواية في مصادر السيرة تقول ان العرش اهتز لموت سعد بن معاذ زعيم الاوس في معركة الخندق. يفري: يفتري. يبزل: يصير بازل وهو البعير البالغ.

لا تستمع لاهل الكلام

استغفـر الله واتـرك ما حكى لهمُ أبـو الهـذيل ومـا قال ابن كُلّاب
فالـدين قد خس حتى صار أشرفه بازاً لبـازين أو كلبـاً لكَـلّاب

أبو الهذيل: من متكلمي المعتزلة. ابن كلاب بضم الكاف: من مؤسسي مذهب أهل

السنة.

ضلال الاديان وعمى الناس

قد ترامتْ إلى الفسادِ البرايا   واستوت في الضلالةِ الاديانُ
أنا أعمى فكيف أهْدي إلى المنهجِ   والناسُ كلهم عميان؟

البرايا: المخلوقات.

تقادم الزمن والمخلوقات وعدم تناهيهما

خالقٌ لا يُشكُّ فيه قديمٌ   وزمانٌ على الانام تقادمْ
جائزٌ أن يكون آدمُ هذا   قبله آدمٌ على إثْر آدم

الحج؟

أينكر التقليدَ مُستبصرٌ   قبْل ركنَ البيت ثم استلم؟

خالق الفساد

جِبِلّةٌ بالفساد واشجةٌ   ان لامها المرء لام جابلها

جبلة: الخلقة. واشجة. مشتبكة متداخلة. جابلها: خالقها.

دعوة لتجديد الفكر

لقد صَدِئتْ أفهامُ قومٍ فهل لها   صِقالٌ؟ ويحتاج الحسامُ إلى الصقل

وكم غرّت الـدنيا بنيهـا وسـاءني مع الناسِ مَيْنٌ في الاحاديثِ والنقل
سأتبعُ من يدعو إلى الخير جاهداً وأرحلُ عنها ما إمامي سوى عقلي

اضمحلال الدين

أخِلْتَ عمودَ الدين في الارض ثابتاً وفي كلِ يوم يضمحل على مَهْلِ ؟

ما الحكمة؟

وكم شاهـدتُ من عَجَبٍ وخَـطْب ومَـرُّ الـدهـر بالانـسـان يُسلي
تغـيُّرُ دولـةٍ وظـهـورُ أخـرى ونـسـخُ شرائـعٍ وقيامُ رسـلِ

تكذيب عقيدة الدروز

ألـمْ ترنـي وجـمـيع الانـام في دولـة الـكَـذِب الـذائـل
مضـى قَيْل مصـر إلـى ربـه وخـلّى الـسـياسـةَ للخـائـل
وقـالـوا يعـود فقـلنـا يجـوز بقـدرة خالـقـنـا الآئـل
إذا هـبَّ زيدٌ إلـى طيِّءِ وقـام كليبٌ إلـى وائـل

الذائل: تلميح بالذئبية لان الذائل من صفات الذئب.
قيل: بفتح القاف، والجمع أقيال، امراء المقاطعات في اليمن القديمة.
الخائل: المختال. الآئل: من مرادفات الخالق. اشتقاق من إيل، الجذر السامي للاله.
زيد: يريد به زيد الخيل، الفارس المعروف. وكان من طي.
كليب: القتيل الذي اشعل قتله حرب البسوس بين تغلب وبكر.

تتحدث اللزومية عن وفاة الحاكم بأمر الله الفاطمي واعتقاد الدروز بانه سيعود. والحاكم توفي عام ٤١١ أي حين كان المعري في اواخر اربعيناته.

اعتراض على ترتيب المجموعة الشمسية!

جهـل الـمـشـتـري وان كان في الـخـير ذا محـلْ
أيُّ ذنـب أصـابـه فـسـمـا فوقـه زحـل؟

التنبؤ بفناء مكة

سيســأل ناسٌ ما قريشٌ ومــكــةٌ كما قال ناسٌ ما جديسٌ وما طَسْمُ

الكذب على الانبياء

تفــوَّهَ دهــرُكُـمْ عجبــاً فاصغُــوا إلــى ما ظل يُخْـبــر يا شهــودُ
إذا افـتـكــر الـذين لهم عقــولٌ رأوا نبــأً يحــقُّ له الــســهــود
غدا أهــل الشرائـع في اختـلاف تُقَضُّ به الـمضــاجــعُ والمهــود
فقـد كذبتْ على عيسى النصارى كمــا كذبتْ على موسى اليهــود
ولــم تســتـحـدث الايام خُلقــاً ولا حالـت من الـزمـن الـعهــود

يريد بالبيت الاخير ان المسلمين كذبوا ايضا على محمد.

لماذا لا يتألم الله لعذاب البشر؟

لو انـيَ كلبٌ لاعـتــرتـنـي حميةٌ لجروي ان يلقى كما لَقِي الانس

لو أني: تُقرأ بادغام الهمزة بالنون لكي يستقيم الوزن.

قلت: روى ابن عساكر في تاريخ دمشق ـ ترجمة الحسين بن علي ـ في المجلد الرابع من تهذيب عبد القادر بدران ص ٣٤٥:

انهم ـ الناس ـ سمعوا صوتاً في الليل ولا يرون شخصاً وهو يقول بعد مقتل الحسين:

عقـرت ثمـودٌ ناقـةً فاسـتؤصلوا وجـرت سوانُـحهم بغير الأسْعُـدِ
فبنـو رسـول الله اعـظمُ حرمـةً واجـلُّ من أم الفصيل المُقْصَـد

المقصد بضم الميم: المصاب برمية من سهم ونحوه.
قوله: «سمعوا صوتاً ولا يرون شخصاً» يعني انه من قول الجن. وهذا هو الهاتف عندهم: صوت يسمع ولا يرى صاحبه. ولا شك ان احداً نظم هذا الشعر وروج له هذه الحكاية. والبيتين ليسا من نظم شاعر بدليل حبكتهما المتخلخلة. وينبغي ان يكونا من نظم مسلم واعٍ اثقلتـه المفارقة بين الخبر الديني والحقيقة المشهودة

تسخيف دعاء الاستسقاء

.. فقـولكُمُ رب اسقنا غيرُ ممطر ولكن بهـذا دانت العُـرب والعُجم
على كل شيء تهجمون بجهلكم وأعـياكُم يومـاً على رَشَـد هَجْم

التحريق بدلاً من الدفن

إذا حرّق الهنـديُّ بالنـار نفسـه فلم يبق نَحْضٌ للتـراب ولا عظم
فهـل هو خاشٍ من نكير ومنكـر وضغـطة قبـر لا يقـوم لهـا نظم؟

النحض: اللحم.

؟

تبـاركتَ: انهـار البـلاد سوائـحٌ بعـذبٍ، وخصت بالملوحة زمزم

توارث الجهل

أفـاد غويٌّ غَيَّه عن شيوخـه فهم درجـاتٌ في الضـلال وسُلَّمُ

وأهــلكــه جهــلان: بادٍ مركـبٌ قديمــاً، وتــالٍ بعــده يُتــعــلم

أزلية العالم

ومـولـد هذي الشمس أعياكَ حدُّه وخــبّــر لُبٌّ انــه متــقــادم

التنجيم

لو كان لي أمــر يُطاوع لم يَشِــنْ ظهــرَ الــطريق يدَ الـحياة منجّمُ
أعــمــى بخـيلٌ أو بصيرٌ فاجــر نَوْء الــضــلال به مُرِبٌّ مُثـجـم
يغــدو بزخــرفــه يحـاول مكسباً فيدير اســطر لابــه ويرجِّــمُ
وقـفت به الــورهــاءُ وهي كأنهــا عنــد الـوقـوف على عرينٍ تهجم
سألــتــه عن زوجٍ لهــا متــغيِّرٍ فاهتــاج يكتب بالــرِقــان ويُعجم
ويقول ما اسمك واسمُ امك انني بالــظن عمــا في الغيوبِ مترجم
يولــي بان الــجــن تطرقُ بيتَــه ولــه يدين فصيحُــهــا والاعـجم
والمـرء يكـدح في البـلاد وعِرسُه في المصـر تأكل من طعامٍ يُوجَم
افمــا يكُــر على معيشتــه الفتى إلا بمــا نبــذت إليه الانــجـم؟
آهٍ لاســرار الــفــؤاد غوالــياً في الصــدر أستُردونهــا وأجمجمُ

يد الحياة: طول الحياة. مطر مثجم: غزير دائم (مسجم). يرجم: يرجم بالغيب. الورهاء: المرأة الجاهلة الحمقاء. الرقان: الزعفران. يعجم: ينقّط. طعام يُوجَم: يكره. اجمجم: لا استطيع الكلام.

تكذيب حكاية الخلق

وما آدمٌ في مذهب العقلِ واحدٌ ولكنّه عند القياسِ أوادمُ

من المسئول؟

وجدتُ الفتى يرمي سواه بدائه ويشكو إليكَ الظلم وهو ظَلومُ

فان كان شيطان له يستفزه فأيُّهما عند القياس تلوم؟

تجرّاً ولا تجعل لحتفك علةً باكثار طُعمٍ ان ذلك لُوم

لوم: لؤم. في هذا البيت دعوة للمجاهرة بالرأي المخالف ولو أدى إلى القتل فهو أحسن من ان يموت المرء بسبب أكلة ثقيلة.

تبرير عبادة النجوم

الشهبُ عظّمها المليكُ ونصَّها للعالمين فواجبٌ إعظامُها

حسب المأثور الاسلامي كان الصابئة من عبدة الكواكب. واللزومية تبرر لهم ذلك.

ضد الطائفية

ضَمنتُ فؤادي للمعاشر كلهم وأمسكتُ لما عظّموا الغار أوخُمّا

الغار، غارثور الذي اختبأ فيه ابو بكر صحبة النبي في طريقهما الى يثرب عند الهجرة. خم بضم الخاء هو الغدير الذي توقف عنده النبي لينطق بولاية علي في الحديث المشهور. قصة الغار يستدل بها السنة على افضلية ابو بكر وحديث الغدير يستدل به الشيعة على افضلية علي..

مسئولية الله عن الظلم . .

رأيت سجـايا النـاس فيهـا تَظالمٌ ولا ريب في عدل الـذي خلق الظلمـا؟

تكذيب خبر في القرآن

ولسـت أقـول ان الشهب يومـاً لبعـثِ محمـدٍ جُعلتْ رجـومـا

الخبر ورد في سورة الجن الآيتين ٨ و ٩.

صراع الاديان

وقـال انـاسٌ ليس عيسى مقـربـاً فقـيلَ ولا موسـاكُـمُ بكـليمِ

يشير الى حكاية تكلم موسى مع الله وتسمية موسى بسببها بالكليم أو كليم الله .

من المسئول

ومـا ذنبُ الضـراغمِ حين صيغت وصُـيِّر قُوتُـهـا ممـا تُنَمّـي

فقـد جُبلت على فَرْسٍ وضَـرسٍ كمـا جُبـل الوقـود على التنمّي

ضياءٌ لم يَبِـنْ لعـيونِ كُمْـهٍ وقـولٌ ضاع في آذان صُمِّ

تنصلهُ من الاعياد الدينية

لعـمـرك ما أُسَـرُّ بيوم فطرٍ ولا أضـحـى ولا بغـدير خُمِّ

ضد العقوبات الشرعية

لا تُحْدثِ القطع في كف ولا قدمِ ولا تَعَرّض مدى الدنيا لسفكِ دمِ

ولا تعرض: ولا تتعرض.

حقائق لا يباح بها

سألتِ عن الحقائق وهي سرٌ ويخشاكِ المخبِّر أن تُنَمّي
وعندي لو امِنتُك علمُ أمرٍ من الجهال غيّبه مُكَمّ
رأيتُ الحق لؤلؤةً توارتْ بلجٍّ من ضلال الناس جمّ

مكم: مكموم أي مستور، وهو في البيت صفة للامر في قوله: علم أمر.

الدين والجهل

ما للانام وجدتُهم من جهلهم بالدين أشباهَ النَعام أو النَعَم
فمجادلٌ وصل الجدال وقد درى أن الحقيقةَ فيه ليس كما زعم
عَلم الفتى النظّارُ أن بصائراً عَمِيتْ فكم يخفى اليقين وكم يُعَم
لو قال سِيد غضا بُعثت بملةٍ من عند ربي قال بعضهمُ: نعم!

النعم: الانعام، وهي الحيوانات النافعة للانسان. السيد: الذئب. غضا: شجر صحراوي تختبيء فيه الذئاب. ويتخذه البدو للوقود. يعم: يُعمى تعمية، حذفت الالف للقافية.

تساؤل عن مصير الروح

عمـلٌ كلا عمـلٍ ووقتٌ فائتٌ ويد إذا مَلَكتْ رمت ما تملك
وشخوصُ اقوامٍ تلوح، فأمة قَدِمت مجـدَّدةً وأخرى تهلك
أما الجسوم فللتراب مآلها وغَبِيتُ بالارواح أنى تسلك

انعدام اليقين

عمى العينِ يتلوه عمى الدين والهدى فليلتيَ القصوى ثلاثُ ليالي

ما الحكمة؟

والحكم من عالِمٍ عالٍ تنزُّلُه فما لسكان هذي الارض كالهَمَل؟
عاشوا بها واستجاشوا ثم ما حصلوا إلا على الموت في التفصيل والجمل

عميان

وبصير الاقوام مثليَ أعمى فهلموا في حندس نتصادم

حندس: ظلمة شديدة.

مصير الروح؟

دفنّاهُمُ في الارض دفن تيقنٍ ولا علمَ بالارواح غيرُ ظُنونِ

اللايقين

وقد عُدم التيقنُ في زمانٍ حصلنا من حجاه على التظني
فقلنا للهِزبر: أأنت ليث! فشك وقال: عني أو كأني

حجاه: عقله. الهزبر بكسر الهاء وفتح الزاي: الاسد. عني: لعلني. التظني: الظن.

أباطيل الاديان

عجبــاً للمســيح بين أنــاسٍ وإلــى الله والــدٍ نســبوه
اسلمتــه إلى اليهــود النصــارى وأقرّوا بأنــهــم صلبــوه
يُشــفــق الــحــازمُ الــلبــيبُ على الــطفــل إذا ما لِداتــه ضربــوه
وإذا كان ما يقــولــون في عيســى صحــيحــاً فأين كان أبــوه؟
كيف خلى ولــيده للاعــادي أم يظنــون أنــهــم غلبــوه؟
وإذا ما سالــتَ أصــحــاب دينٍ غيّروا بالــقــياس ما رتــبــوه
لا يَدينــون بالــعــقــول ولــكــن بأبــاطــيل زخــرف كذّبــوه

لداته: اقرانه ومن هم في عمره.

الطعن بحكمة الطبيعة وخالقها

يا أمــةً ما لهــا عقــولٌ وفــقــد ألــبــابــهــا دهــاهــا
تســلّتِ الــنــفــسُ كلَّ شيءٍ إلا نُهــاهــا ومــا نَهــاهــا
فحــدِّثــونــي بغــيرِ مينٍ عن الــثــريا وعــن سُهــاهــا
أتــعــلم الارض وهــي أمٌّ خف زمــان فمــا ازدهــاهــا
بأي جرمٍ وأي حكــمٍ سُلِّط ليث على مهــاهــا
وعــذِّرت حاجــةٌ بعــســرٍ على عليلٍ قد اشــتــهــاهــا
وظــالــمٌ عنــده كنــوزٌ من أم دفــر ومــن لُهــاهــا
كان إذا ما دجــا ظلام صاح بأجــمــالــه وهــاهــا

ازدهاها: استخفها. أم دفر: كناية عن الدنيا. لهاها بضم اللام: عطاياها. هاها: نداء على الابل.

الضياع الشامل

وهيهاتَ البريةُ في ضلالٍ … وقد فطن اللبيبُ لما اعتراها
إذا رجع الحصيفُ إلى حِجاه … تهاون بالمذاهب وازدراها
فخذ منها بما أداه لبٌّ … ولا يغمسْكَ جهل في صراها
وَهَتْ أديانُهم من كل وجهٍ … فهل عقل يُشد به عراها
تقدمَ صاحبُ التوراة موسى … وأوقعَ في الخسار من اقتراها
وقال رجاله وحيٌ أتاه … وقال الظالمون بل افتراها
أعبريٌّ تهوّكَ في حديثٍ … فباع المشكلات كما اشتراها
وغايات بُسطن إلى أمورٍ … جراها الآخرون كما جراها
أرى أمَّ القرى خُصَّتْ بهجر … وسارت نسل مكة عن قُراها
يوافون البنيَّةَ كل عامٍ … ليُلقوا المخزياتِ على قَراها
وما سَيْري إلى أحجار بيتٍ … كؤوسُ الخمر تُشرب في ذَراها
ولم تزل الاباطح منذ كانت … يُدنَّس من فواجرها بَراها

صراها: خليط الحليب والماء. تهوك: تحير. قراها بفتح القاف: ظهرها. البرى بفتح الباء: التراب. البنية: الكعبة.

صراع المذاهب

وأشوى الحقَ رامٍ مشرقيٌ … ولم يُرزَقْه آخرُ مغربيٌّ

فذا عمر يقول وذا عليٌ · كلا الرجلين في الدعوى غبيّ

اشوى: اخطأ في التهديف.

مسألة حظ..

وتُقسمُ حُظوةٌ، حتى صخورٌ يُزَرن فيُستلمن ويُلتمسنه
كذات القُدسِ أو رُكني قريشٍ وأُسرتهنَّ أحجار لُطِسنه
يحج مقام ابراهيم وفدٌ وكم أمثال موقفه وُطسنه

ذات القدس: قبة الصخرة.

اللطس: الضرب الشديد. الوطس: ألضرب الخفيف. والمقصود ليس درجة الضرب وإنما كونها مجرد احجار يدوسها الناس لكن الحظ جعلها مقدسة.

الكعبة ليس لها حس

هل تزدهي كعبةُ الحجاج إذ فقدت حساً بكثرة زوار وسُدّان؟

سدان: سدنه وهم المتولون ادارة المعابد والمؤسسات الدينية.

إنكار القيامة/ دليل حسي

لو هبَّ سكانُ التراب من الكرى أعيا المحلُ على المقيمِ الساكنِ
لغدوا وقد ملأ البسيطةَ بعضُهم ورأيتَ أكثرهم بغير أماكنَ

المسلمون

وإن جاءك الـمـوتُ فافـرح به ... لتـخـلَصَ من عالـمٍ قد لُعـن

هُمُ ضربـوا حيدراً ساجـداً ... وحـسـبـك من عمـرٍ إذ طُعن

التدين بالتلقين والتقليد

ويَنـشـأ ناشـيُء الـفـتيان منـا ... على ما كان عوّده أبـوه

ومـا دان الـفـتى بحـجـاً ولكن ... يعـلمـه الـتـدينَ أقـربـوه

وطـفـل الـفـارسـي له ولاةٌ ... با فعـال الـتـمـجس درّبـوه

حجا: عقل.

تلفيق الاديان

وجـاءتـنـا شرائـعُ كلِ قومٍ ... على آثـارِ شيء رتّـبـوه

وغـيّر بعـضُـهـم أقـوالَ بعضٍ ... وأبـطلتِ الـنُـهـى ما أوجـبـوه

وبـدّل ظاهـرَ الاسـلام رهطٌ ... ارادوا الـطعـن فيه وشـذبـوه

إذا أصـحـابُ دينٍ أحـكـمـوه ... اذالـوا ما سـواه وعـيّبـوه

وقـد شهـد النصـارى ان عيسى ... توخّـتـه الـيـهـود ليصـلبـوه

ومـا أبـهَـوا وقـد جعـلوه ربـا ... لئـلا ينـقـصـوه ويُجـدبـوه

تمـج قلوبـهـم ما أودعـتْـه ... لسـوءٍ في الـغـرائـز أُشـربـوه

ونُبّـيء في بني يعـقـوب موسى ... بشـرع ما تخـلّص متـعَـبـوه

وقـد نضـت الـنـواظَـر كلُّ عامٍ ... وأتـرابُ الـسـعـادة مُتْـرَبـوه

على حجر لهم تهوي جبال ... ولم يستعف ذنباً مذنبوه

النهى: العقل. اذالوه: انتقصوه.
الضمير في البيتين الاخيرين راجع الى المسلمين. والحجر هو الحجر الاسود.

إنكار الحشر

لو كان جسمكَ متروكاً بهيئتهِ ... بعد التلافِ طمعنا في تلافيه
كالدنّ عُطّل من راحٍ تكون به ... ولم يُحطّمْ فعادت مرةً فيه
لكنه صار اجزاءً مقسمةً ... ثم استمر هباءً في سوافيه

الدن بفتح النون: خابية الخمر. الراح: الخمر. السوافي: الرياح التي تحمل معها الغبار.

صراع المذاهب

تدينَ مغربيٌ بانتحالٍ ... وعارضَ بالتنحل مشرقيُّ
فصمتاً ان أردتم أو مقالاً ... فما في هذه الدنيا تقي
نقاءُ لباسِنا فينا كثيرٌ ... وليس لاهلها عِرضٌ نقيُّ

يريد بالمغربي الفاطميين.

الشرائع تضمحل

وجدت الشرع تُخلقه الليالي ... كما خَلُق الرداء الشرعبيُّ
هي العادات يجري الشيخ منها ... على شيم يعوِّدها الصبي

الشرعبي: ضرب من الثياب.

الافتقار الى البرهان

جَمْجَمَ هذا الزمانُ قولاً وكلنا يرتجي بيانَه
وحدثتنا الشيوخُ أمراً وما ادّعى مُخبرٌ عيانَه

المتصوفة

صوفيةٌ شهدت للعقل نسبتُهم بأنهم ضأنُ صوفٍ نُطحها يَقِصُ
تواجَد القومُ من نسكٍ بزعمهمُ والله يشهد ما زادوا كما نقصوا

الوقص: كسر الرقبة.

صوفيةٌ ما رضوا للصوف نسبتهم حتى ادّعوا أنهم من طاعة صُوفوا
تبارك الله! دهرٌ حَشْوُه كذب فالمرء منا بغير الحق موصوف

نحن قطنيةٌ، وصوفيةٌ أنتمْ فقُطني من التجمل قُطني
تقطعون البلادَ بطناً وظهراً إنما سعيكم لفرج وبطن

رويدَكِ يا سحابةُ لا تجودي على السَبَخات من جهلٍ هَمَيتِ
طلبتِ ديانةً بين البرايا لقد اشوت سهامك إذ رَميت
تزيّوا بالتصوف عن خِداعٍ فهل زُرت الرجال أو اعتميت
وقاموا في تواجدهم فداروا كأنهمُ ثُمالٌ من كُمَيْتِ
وما رقصوا حذاراً من الهٍ ولا يبغون إلا ما حَمَيْت

وجـــدتُ النـــاس ميتـاً مثـلَ حيٍ بحســـنِ الـــذكـــر أو حياً كميت

همى أمطر. أشوى: اخطأ الهدف. اعتمى: اختار وانتقى. كميت: من اسماء الخمر.
قوله: «وما يبغون إلا ما حميت» يريد به ان غايتهم الحصول على الخيرات التي تدرها السحب.

الى الشيعة

ألا تتـقــون الله رهطَ مســلِّمٍ فقــد جرتُمُ في طاعــة الشَهَـوات
ولا تتبعــوا الشيطانَ في خُطُواتـه فكــم فيكمُ من تابــع الخــطواتِ
عَمِــدتُم لرأي المثنــويةِ بعــدمـا جرت لذةُ التــوحيد في اللّهَـوات
ومن دون ما أبـديتم خُضب القنـا ومــارَ نجيعُ الخيل في الهَبَــوات
فما استحسنت هذي البهائمُ فعلكمْ من الغي في الأُمـات والحمـواتِ
وأيسرُ مـا حلّلتُــم نحــرُ ذارعٍ يعــمكُــمُ بالــسكــر والنشــوات
جعلتـم علياً جُنَــةً وهــو لم يزلْ يعــاقبُ من خمر على حَسَـوات
سألنـا مجوسـاً عن حقيقـة دِينهـا فقــالت نعم لا ننكــح الاخـوات
وذلــك في أصـل التمجس جائـز ولــكــن عددنــاه من الــهفــوات
ونــأبى فظيعــات الامـور ونبتغي سجوداً لنور الشمس في الغُدُوات
وأعــذرُ من نسوانكم في احتمالها فُضــوحَ الــرزايا آتُــن الــخلوات
فلا تجـعلوا فيهـا الغــويَّ مسلَّطا كمـا سُلِّط البـازي على القَطَوات
تهــاونتُم بالــذكــر لمــا أتــاكُمُ ولـم تحـفلوا بالصــوم والصلوات
رجـوتم إمـامـاً في القِـران مضلِّلاً فلمــا مضـى قلتـم الى سنـوات
كذاك بنــو حواء: بَر وفــاجــر ولا بُدَّ للايام من هنــوات

رهط مسلم: يزيد به الشيعة الذين استقدموا الحسين الى العراق ثم سلموه لاعدائه. في هذه القصيدة يتهم الشيعة بتحليل المحرمات وارتكاب الموبقات. متكلين على شفاعة علي لهم يوم القيامة. وذكر المجوس وفضلهم على الشيعة لانهم تعففوا عن ارتكاب فظائع يجيزها لهم دينهم خلافاً للشيعة الذين يرتكبون ما يحرم دينهم عليهم. ويبدو انه يسجل هنا ما كان يقوله المجوس بعد الاسلام على سبيل التنصل من زواج المحارم.

ذارع: زق الخمر. والهبوات: جمع هبوة وهي الغبرة.

المثنوية في الاصل هي عبادة اثنين: النور والظلمة. وأراد بها هنا تأليه الشيعة لعلي.

قوله: أعذر من نسوانكم... يقصد به بكاء الشيعيات ولطمهن في عاشوراء.

قوله: رجوتم اماماً في القران. يريد به توقيت بعض الشيعة موعد لظهور المهدي المنتظر على اساس الحسابات الفلكية.

ملحوظة: بعد ان فرغت من الاختيار كنت استمع الى الاذاعة البريطانية صباح ٨٩/٨/٤ فاسمعها تقول ان لبنان لن يستقر وتقوم فيه دولة ما لم يتم اضعاف الشيعة. ولما ترجمت هذا الكلام لزوجتي طلبت مني حذف هذه اللزومية من المختارات لانها «تساهم في اضعاف الشيعة». ولم اوافقها على هذا الطلب لاني ارى اللزومية تساهم في تكريس ابتعاد الشيعة عن المعسكر السلفي الذي كانت قد انشقت عليه منذ القرن الاول ووصلت في انشقاقها بعد ذلك الى الغاء الشريعة من جانب فرعها الاسماعيلي وادعاء الاثني عشري بوجود مقابل (وهمي) للقرآن هو مصحف فاطمة أعلن الخميني تمسكه به في وصيته؛.

وكنت قد تناولت التراث الهرطقي للشيعة في كتابات نشرت مع بداية الثورة الايرانية مستهدفاً تذكير الزعامة الشيعية التي اطاحت بالشاه ان علاقتها بمشروع الحكم الديني لا تستند الى اساس تأريخي. وانا اذكّرها الآن ان نجاحها في اسقاط الشاه وفي هزيمة الامريكان بلبنان لا يرجع الى انبعاث الروح الديني وإنما هو من نتائج التراث الكربلائي الذي هو ادخل في تاريخ الثورات الاجتماعية منه في تاريخ الاديان. (الدين مثلاً يدعو الى الخنوع والصبر على الضيم بينما كان شعار كربلاء «هيهات منا الذلة»..) وتراث الشيعة من هذه الجهة هو نفس تراث الخوارج القائم على المعارضة و المتلبس بالهرطقة في آن واحد. (هرطقة الخوارج ظهرت في بعض فروعها كما هو حال الشيعة وهي نتاج

لمعارضة السلطة السياسية التي تمسكت بالاصول السلفية ثم تسننت رسمياً منذ المتوكل) وبقوة هذا الموروث لدى الفريقين استمرت حركاتهما حتى العصر الحديث لتأخذ منحى وطنياً بقيادة الخوارج الاباضية في عمان، والشيعة الاثني عشرية في ايران والعراق، ثم في لبنان بتأثير مباشر من ايران الخميني. وكان يمكن لهذه الحركات ان تندمج في الوسط الديمقراطي العلماني ـ على الاقل في صيغة لاهوت التحرير ـ لولا قوة النزعة السلفية التي انتهت بقيادة الخوارج الى المنفى في السعودية. ولا شك انها ستلحق بهم قيادات الشيعة مع اصرارها على مشروع الحكم الديني الذي يضعها مع السعودية في خانة واحدة، ومع الوقوف بنزوعها السلفي امام القوى التي تقاتل نفس العدو الذي تقاتله حالياً.

من جهة اخرى، وبصرف النظر عن الاعتبارات السياسية فان نقد المعري للشيعة وغير الشيعة هو من حقوق المثقف الحر، القادر بوعيه التأريخي ووجدانه النقي على رصد المخازي البشرية وفضحها باعتبار الحقيقة لا باعتبار التاكتيك، المتروك للسياسيين وحدهم. وما تضمنته اللزومية صحيح كله، عدا اتهامهم بتسليم الحسين. فهم لم يسلموه وانما سلمه ابن عمه ومبعوثه اليهم مسلم بن عقيل حين عجز عن تأطير تحركهم في الكوفة وتسبب في تشتتهم، ومن ثم اندحارهم امام الوالي الاموي.



نقد السلوك الديني

النساء في الكنيسة

هل قَبِلت من ناصحٍ امةً ... تغدو الى الفصح بصلبانها
كنائسٌ يجمعها وَصلةٌ ... بين غوانيها وشبانها
ما بالها عذراءَ أو ثيباً ... كوردةِ الجاني بأبّانها
راحت الى القَسّ بتقريبها ... وبيتُها أولى بقربانها
قد جَرَّبتْ من فعله سيئاً ... والطِيبُ جارٍ بجُربّانها
وربُّها تُسخط بل زوجَها ... البائسَ في طاعة رُبانها
وزارت الدير وأثوابُها ... ضامنةٌ فتنةَ رهبانها

الجربان: ضم الجيم والراء وتشديد الباء: فارسية تعني الزيق.
ثيّب: غير عذراء.

تحذير لليهود

يا آل يعقوبَ خذوا حذركم ... في الدهر من حَبْرٍ وديّانِ
يزعم نارٌ من سماءٍ هوت ... تأكلُ ذا إفكٍ وطغيان
لو كنتَ فيما قلته صادقاً ... لم تَغْدُ للشر بهميان
ولم تكن ترغب في زُيَّف ... تؤخذ من عُرج وعميان

الهميان بكسر الهاء وسكون الميم حزام تحفظ فيه النقود عند السفر. زيف: نقود مزيفة.

مآل التدين

إنما صاحبُ التقى ... تاجرٌ يدفع السَلَم

أصبح الشيخ مارداً بعدما حجّ واستلم

السلم بفتحتين: البيع لأجل.

التدين بين الجهل والتجارة

رأيتُ بني الدهر في غفلةٍ وليست جهالتهم بالأَمَم
فنسكُ أناسٍ لضعف العقول ونسكُ أناسٍ لبعد الهمم

الامم، بفتحتين، اليسير الهيّن.

سوء اخلاق المتدينين

توهمتَ يا مغرور أنك ديّنٌ عليَّ يمينُ الله ما لك دين
تسير الى البيت الحرام تنسكاً ويشكوك جارٌ بائسٌ وخدين

الخدين: الخليل المقرب.

وادّعى الهذْيَ في الانام رجالٌ صح لي ان هَذْيَهم طغيان

دعوة للتسامح واستنكار اضطهاد غير المسلمين

ظلمتم دينكم فأُديلَ منكُم وأخيارُ الانام مظلَّموه
تهاونتم بمُطران النصارى وأشياع ابن مريم عظّموه
وقال لكم نبيكُمُ إذا ما كريمُ القوم جاء فاكرموه

فلا يرجع خطيبكُمُ بحقدٍ متى لاقاهُمُ فتهضموه

اديل منكم: انتُقم منكم.

تهضموه: اشتكوا من هضمه لهم.. البيت ملتبس. لعله يريد اتهام الخطيب المسلم بالتحريض على غير المسلمين.

غيظ الحكماء وخيبتهم

فُقدتْ في أيامك العلماءُ وادلهُمت عليهم الظلماءُ

وتغشّى دماءنا الغيُّ لما عُطّلت من وضوحها الدهماء

ويقال الكرام قولاً وما في العصر إلا الشخوص والاسماء

وأحاديثُ خبّرتها غواة وافترتها للمكسب القدماء

غلب المينُ منذ كان على الخلقِ وماتت بغيظها الحكماء

ولو أن الانام خافوا من العقبى لما جارت المياهَ الدماء

وغَضِبْنا من قول زاعم حقٍ اننا في أصولنا لؤماء

عالَمٌ حائرٌ كطير هواءٍ وهوافٍ تضمها الدأماء

الدهماء الاولى: عامة الناس. والثانية قد يريد بها الارض أو الطريق.

هوافي: ضالة حائرة. ومنها في عامية مصر هايف وعامية العراق هفيان.

الدأماء: البحر.

الدين كلباً للصيد..

.. والدين قد خَسَّ حتى صار أشرفه بازاً لبازين أو كلباً لكلّاب

دين الرهبان

الـراهبُ المسجـونُ فرطَ عبـادةٍ ... من حبِ دنـياه الـكـذوبُ مولّـهُ

أعـرفـتـمُ أصـحـابكم بحقيقـةٍ ... أم كلكـم عنـهـم غبيٌّ أبـله؟

ذُكـر التـألـه فادّعـوه تخرصاً ... ما هذه أفـعـال من يتـألـه

بهائم الاديان

وقـد فتـشتُ عن أصحـاب دينٍ ... لهـم نسـكٌ ولـيس لهـم رياءُ

فألـفـيتُ البـهـائم لا عقـولٌ ... تقـيم لهـا الـدلـيل ولا ضياء

واخـوانُ الـفـطانـةِ في اختيالٍ ... كأنـهُـمُ لقـوم انـبـياء

فاما هؤلاء فأهـل مكـرٍ ... وإمـا الاولـون فأغـبـياء

فان كان الـتـقـى بَلهـا وعـياً ... فأعـيار الـمـذلـة اتـقـياء

الاعيار: حمير الوحش ومفردها عير.

حيل الوعاظ

رويدكَ قد غُررتَ وأنـت حُر ... بصـاحـبِ حيلةٍ يعظ الـنسـاءا

يحـرّمُ فيكـمُ الـصهبـاءَ صبحـاً ... ويشـربهـا على عمـد مسـاءا

يقـول لكـم غدوت بلا كسـاءٍ ... وفـي لذاتـه رهـن الـكـسـاءا

إذا فعـل الـفتـى ما عنـه يَنهى ... فمـن جهـتين لا جهـةٍ أسـاءا

الفقيه والمتكلم

كأن نفوسَ الناس والله شاهدٌ نفوسُ فَراشٍ ما لهنَّ حُلومُ
وقالوا فقيه والفقيه مموِّه وحلفُ جدال والكلام كلوم
أتوك بأصناف المحال وإنما لهم غرض في أن يقال علوم

حلوم: عقول. كلوم: جراح. المحال: الكذب المستحيل.
حلف جدال: كناية عن المتكلم.

فشل الاديان

قد حُجب النورُ والضياءُ وإنما ديننا رياءُ
وهل يجود الحيا أناساً منطوياً عنهم الحياء
يا عالمَ السوء ما علمنا ان مصليك اتقياء
لا يكذبنّ امرؤ جَهولٌ ما فيكَ لله أولياء
ويا بلاداً مشى عليها أُولو افتقارٍ واغنياءُ
إذا قضى الله بالمخازي فكل أهليكِ اشقياء
كم وعظ الواعظون منا وقام في الارض انبياء
فانصرفوا والبلاء باقٍ ولم يزل داؤك العياء
حكم جرى للمليكِ فينا ونحن في الأصل اغبياء

الحيا: المطر.

الغرض من التدين

وتجادلت فقهاؤها من حبها   وتقرّأت لتنالها قراؤها

الضمير عائد الى الدنيا.

سُببتَ بالكلب فأنكرتَه   والكلب خيرٌ منك إذ ينبح

صلى الفتى الجمعةَ ثم انثنى   لذارعٍ في مِسحه يَذبح

يعطي به التاجرَ أرباحَه   وتاجرُ الخسران لا يربح

فليتني عشتُ بداويةٍ   حرباؤها في عوده يَشْبح

يصدا بها الركب وأعلامها   كأنها في آلها تسبح

أوبت في صهوةَ مستوطناً   أمسي مع الاغفار أو أُصبح

المسح بكسر الميم: أصله ثوب من شعر، ويراد به هنا ما يتزر به الجزار وامثاله لوقاية ثيابه من الوسخ.

داوية: صحراء يصعب النفاذ منها.

يصدا: يظمأ, آلال: السراب.

صهوة: وردت في المطبوع منونة وينبغي ان تكون ممنوعة من الصرف ليستقيم وزن البيت.

الاغفار اولاد الاروية، من حيوانات الجبال. والمقصود هنا العيش في رؤوس الجبال، وهو ما تفيده كلمة صهوة التي تعطي هذا المعنى اذا نونت أما اذا منعت من الصرف فهي اسم مكان. وقد ذكرها ياقوت في معجم البلدان وقال انها بنواحي المدينة. واللزومية لا تقصدها بالذات وإنما تكني بها عن المتبذ.

استحالة الاستقامة في السلوك الديني

هل الـدينُ إلا كاعبٌ دون وصلها   حجـابٌ، ومهـرٌ معـوزٌ وحِباء؟

كاعب: الفتاة اول بلوغها. حباء: عطاء.

رجال الدين

ولـيس عنـدهُـمُ دينٌ ولا نُسُـكٌ   فلا تغُـرك أيدٍ تحـمـل السُبَحـا

وكم شيوخٍ غدت بيضاً مَفارقُهم   يسبّحـون وبـاتـوا في الخنا سُبُحا

لو تعقل الارض ودت انها صَغِرت   منهم فلم ير فيهـا ناظـر شبحـا

سبح جمع سبحة (المسبحة) سبح الثانية جمع سابح.

فرض الدين بالقوة

كم أمـةٍ لعبت بهـا جهـالُهـا   فتنطَّست من قبـل في تعذيبها

الخـوفُ يلجئها إلى تصـديقها   والعقـل يحملهـا على تكذيبها

وجِبلّةُ الناس الفساد فضلّ من   يسمـو بحكمتـه إلى تهـذيبهـا

يا ثُلَّةٌ في غفـلة وأُويسُـهـا الـقَـرَنـي مثـل أويسِـهـا أي ذيبـهـا

جبلة: الطبيعة.

ثلة: شلة وهي الجماعة من الناس ومن الغنم.

أويس القرني: زاهد من التابعين يشك في وجوده. والاويس مصغر أوس وهو الذئب.

ـ حتى اويس القرني وهو من الاولياء لا يختلف في حقيقته عن الذئب. والذئب ينبغي على هذه الثلة الغافلة ان تحذر منه.

رياء البشر

أراثيكَ فليغفر لي الله زَلّتي   بذاك. ودين العالمين رِئاءُ

تحذير من المتدينين

فلا تأمنوا المرء التقيَّ على التي   تسوء وان زار المساجد أو حجا
ولا تقبلوا من كاذبٍ متسوقٍ   تحيُّل في نصر المذاهب واحتجا
سواء على النفس الخبيث ضميرها   أمكة زارت للمناسك أو وجا

وج: اسم لمدينة الطائف.

نقد الرهبان

ويعجبني دأبُ الذين ترهّبوا   سوى أكلهم كدَّ النفوسِ الشحائح
وأطيبُ منهم مطعماً في حياته   سعاةُ حلالٍ بين غادٍ ورائح
فما حَبَسَ النفس المسيحُ تعبداً   ولكن مشى في الارض مشية سائح

تفضيل المجوس على المسلمين

لقد عرضنا على الابرار دينكُمُ   فكلهم عن دنايا فعلكم حادوا
ان المجوس لأزكى منكمُ عملاً   وإنما شأنكم جَحْد وإلحاد

المعري لا يصلي الجمعة

يقولون هلا تشهد الجُمعَ التي رجونا بها عفواً من الله أو قربا
وهل لي خير في الحضور وإنما أزاحم من أخيارهم ابلاً جُربا
لعمري لقد شاهدت عُجماً كثيرة وعُرْباً فلا عُجْماً حمدت ولا عُرْبا

فساد أهل الاديان

ما أسلم المسلمون شرهُمُ ولا يهودٌ لتوبةٍ هادوا
ولا النصارى لدينهم نصروا وكلّهم لي بذاك أشهاد

تداعوا فقالوا ناسكٌ وابن ناسكٍ وما هو إلا مارد وابن ماردِ

تحذير من المتدينين

خافي الهك واحذري من أمةٍ لم يلبسوا في الدين ثوبَ مجاهد
أكَلوا فأفْنوا ثم غَنّوا وانتشوا في رقصهم وتمتعوا بالشاهد

مخالفة أهل الدين للدين

نبذتم الاديان من خلفكم وليس في الحكمة ان تنبذا
لا قاضيَ المصر أطعتم ولا الحبر ولا القس ولا الموبذا
ان عُرضت ملتكم بينهم قال جميع القوم لا حبذا

الغرض من التلاوة

تلاوتكم ليست لرشدٍ ولا هدى ... ولكن لكم فيها التكاثر والكِبْرُ
بعشر روايات قرأت وصاحبي ... بعشرين ما فيها ادّغام ولا نبر

عشر روايات: يريد بها القراءات العشرة للقرآن، وهي التي روعيت فيها اللهجات العربية المغايرة للهجة قريش.
في البيت الثاني يؤكد عنايتهم بالقراءة الصحيحة ولكن للغرض الذي بينه في البيت الاول.

المصلي الظالم

يا ظالماً عَقَد اليدين مصلّياً ... من دون ظُلمك يُعقد الزنّاز
أتظن انك للمحاسن كاسبٌ ... وخبيُّ أمرِكِ شِرّة وشَنار؟

المتدينون

فلا يغرنك من قرائنا زُمَر ... يتلون في الظُلَمَ الفرقان والزُمَرا
يقامرون بما أُوتوه من حِكَم ... وصاحبُ الظلمِ مقمورٌ إذا قَمَرا
يُبدي التدينَ محتالاً ضمائرُه ... غيرُ الجميل إذا ما جسمه ضَمَرا
يشدو مزاميرَ داودٍ ويفضُلُهُ ... في النسك نافخ مزمارٍ له زمرا
يوفي على المنبر العالي خطيبهُمُ ... وإنما يعظ الآسادَ والنُمُرا
وما التقيّ بأهل إن تسميه ... بَرّاً ولو حج بيت الله واعتمرا

الفرقان: القرآن. الزمر بصمتين: مزامير داود.
مقمور: مغلوب في القمار. البر: البار.

الدنيا غرضهم

وحبُّها، وهي مذ كانت محببــةٌ، أقــام داودَ يتــلو ليلةَ الــزُّبُــرا

الزبر: جمع زبور وهو الكتاب. ويطلقه المسلمون على الكتاب المقدس لداود. في القرآن: وآتينا داود زبورا. والمقصود هو سفر المزامير من العهد القديم.

عهر...

كم قائــم بعــظاتــه متــفــقــهٍ في الدين يُوجَد حين يُكشفُ عاهرا

فساد الاول

(ضد الماضي الذهبي)

هل سار في الـنــاس أولٌ بتُـقـى فيتــبــعُ الـنــاس بعــده سِيَره؟

ملوكُــنــا الـصــالـحــون كلُّهُــم زير نســاءٍ يهش للزِيَرة

الزيرة جمع زير: وتعم زير الخمر، وزير العود، وزير النساء.

الانبياء يريدون الدنيا ايضاً

ونــحــب الام الــخَــلوب وداود يحــب الــدنــيا ويتــلو الــزبــورا

مزامير الغواه وصلاتهم

صار الكتــابُ مزاميرَ الغــواةِ، لهم به أغــانيُّ في حاميم والــزُّمَــرِ

صلُّوا به ثم صَلُوا في مظالـمـهـم مثل السيوف على المستأنس القمِر

حاميم والزمر من سور القرآن.
القمر بكسر الميم: من يضعف بصره في ضوء القمر. وفي اللزومية كناية عن البري، الضعيف من انسان وحيوان.

مزاد علني

نادت على الدين في الآفاق طائفةٌ يا قومُ من يشتـــري دينـــاً بدينــار؟
جنـــوا كبـــائـر آثـام ٍ وقـد زعمـوا إن الصغائر تجني الخلد في النار

الدين والنسك والعهر

ومـــن الرزيةِ عاهـــرٌ متـــوهِّـــم في النـــاسكين ونـاســكٌ في العُهْر

يبـغـي الـــطهـــارَة ناســكٌ ومحله في مومس ٍ برئـــت من الإطـــهـــار

تسميات كاذبة

غلب السَفــاهُ فكم تلقَّب معشـــر بالـمـؤمـنـين وهـم من الـكـفــار
ومـن الـبـلية ان يُسـمـى صادقــاً من وصـفُـه الأولى كذوب فاري

فاري: مفتري.

الحج

من خوف باريكِ امتـــطيتَ نجيبـةً عادت بسيركِ مثـــل قوس البـاري

فإذا وردتَ مِنى فغـايـاتُ الـمُنى مُلقـى جرائـم في الـحـياة كبـار

نجيبة: صفة للناقة السريعة المتينة. الباري من يبري الشيء. منى: بكسر الميم موقع في مكة.

الدين والدعارة

مسـاجـدكـم ومـواخـيركـم سواء فبـعـداً لكـم من بشـر

فيا ليتـني في الثـرى لا أقـوم إن الله ناداكُـمُ أو حشـر

ومـا سرنـي أنني في الـحـياة وان بان لي شرفٌ وانـتـشـر

الغاية هي الاكل

مذاهـبٌ جعلوهـا من معـايشهم من يُعمـل الفكـر فيها تُعطه الارقا

وكـلنـا قومٌ سوءٍ ـ لا أخص به بعض الانـام ولكن أجمع الفِـرقا

ان رمتَ من شيخ رهـطٍ في ديانته دليلَ عقـلٍ على ما قالـه خَرَقـا

إذا كشفتَ عن الـرهبـان حالهُمُ فكلهم يتـوخى التبـر والـوَرِقـا

التبر: الذهب.

الورق بكسر الراء: الفضة.

بين العبادة والطمع

سبـحْ وصـلّ وطفْ بمكـة زائـراً سبعينَ لا سبعـاً فلستَ بنـاسـك

جَهِـلَ الـديانـةَ من إذا عرضت له أطمـاعـه لم يُلْف بالمتمـاسـك

تجارة القرآن

تسوّق الناس بفرقانهم — وانتبلوا جهلاً فلم يُنبلوا
لو نطق الدهر هجا أهله — كأنه الروميُّ أو دِعْبل
فليت حواءَ عقيمٌ غدت — لا تلد الناس ولا تحبل

الرومي : ابن الرومي الشاعر. ذكره مع دعبل (الخزاعي) لاشتهارهما بالهجاء.
دعبل بكسر الدال والباء.
انتبلوا جهلاً : حملوا الجهل وكان عدتهم.

عن مرتزق بالدين

طلبَ الخسائسَ وارتقى في منبرٍ — يصفُ الحساب لأمةٍ ليهولَها
ويكَون غيرَ مصدقٍ بقيامةٍ — أمسى يمثل في النفوس ذهولها

رجال الدين

تق الله واحذر أن يغرَّك ناسكٌ — بما هو فيه من تغيّر حاله
فما أنفسُ الاقوام إلا توابعٌ — لقائل زورٍ مفرطٍ في مُحاله
فهذا الذي في صومه وصلاته — كذاك الذي في حِله وارتحاله
فكذّبْ زعيماً قال انيَ ديّن — فما دينُه إلا ضعيف انتحاله

زعيم : صفة مشبهة من الفعل يزعم.

تجارة الكذب القديمة

وارتـقـب من مؤذن الـقــوم فتكـاً فالنصـــارى يشكـون فعـل الابيل
ولـــحـــبـــرِ الـــيـهـــود في درســـه الـــتـــوراةَ فنٌّ، والـــهـــمُّ في الـــتـــدبـيـل
ربّلتـه اسـفــارُهـــا وحـمـتــه طولَ اســفــاره من الـتــربـيـل
كَذِبٌ لايزالُ يطعــم خبـزاً نُصَّ عن آدمٍ وعــن قابـيـل
يمتــريه جذلانُ مُهتبــلُ الغـرة يبــدي حزنــاً على هابـيـل

الابيل: الراهب. التدبيل: الاكل الكثير. ربلته: اسمنته. التربيل: أكل الربل وهو شجر بري. يريد انه استغنى بالتوراة عن اكل الشجر البري. جذلان: فرحان. مهتبل الغرة: انتهازي.

الاسفار الاولى في البيت الثالث هي الكتب والثانية هي الرحلات.

نقد الخرافة

تكذيب خرافة حول الغراب

يدعـو الغـرابَ أناسٌ حاتماً سفهاً لانـــه بغــراقٍ عنـــدهـــم حتـمـــاً
هذا التكـذّب، ما للجـونِ معـرفةٌ ولا يبـالي أنـال المـدح أم شُتمـا

الجون: الاسود، والاشارة الى الغراب.

وخرافة دينية

وســمــى ان أراق الـمـــاءَ جِبسٌ يراقـــب جِنّـــةً ان لا يســمـــي

الجنة بكسر الجيم: الجن.. من المعتقدات الدينية والشعبية اراقة الماء لطرد الجن. والجبس بكسر الجيم هو الثقيل البليد الجافي. وليست هذه من صفات الاوهاميين ولعله

أراد ان يقول: جاهل أو سخيف فلم يسعفه الوزن.

مطالبة السلطة بمنع التنجيم

أمـا لأمـير هذا الـمـصـر عقـل ... يُقيم عن الـطريق ذوي النجـوم
فكم قطعـوا السبيلَ على ضعيفٍ ... ولم يُعفـوا النسـاء من الهجـوم
هُم ناسٌ ولـو رُجمـوا استحقـوا ... بأنـهـمُ شياطـينُ الـرجـوم
إذا افـتـكـر الـلـبيبُ رأى أمـوراً ... تردُّ الضـاحكـاتِ الى الـوجـوم

العراف والمرأة

وحـذَّرهـا الـمـنجِّمُ فهـو ذئبٌ ... تشَـوقُـه الـضـوائـن أن يراهـا
فان هي لم تجـبـه الـى قبيحٍ ... تحلَّبها المنـافـعَ وامتـراهـا
يقـول لهـا زخـارفَ مغْـريـاتٍ ... فراهـا الاولـون أو افـتـراهـا

الضوائن: الغنم. فراها وافتراها بمعنى واحد.
امتراها: اخذ منها الميرة، كناية عن استغلاله لها.

القمر وسهيل

مَن فتـىً يعـرف الـهـلالَ ... غلامـاً قد احـتـلم؟
وسـهـيلاً مع الـمـعـاشـر ... في كفـه زُلَـم؟
خبطَ الـقـومُ في الـضـلالِ ... فهـلْ تكـشـفُ الـظُّلَم؟
فى بلادٍ مَضـلَّةٍ ... ليس في أرضـهـا عَلَم

احتلم: بلغ سن الرشد.

زلم، كعمر، واحد الازلام، من سهام المراهنات.
في البيتين الاول والثاني يسخر بخرافات شعبية حول الهلال ونجم سهيل.

.. العطاس

تشـــاءم بالعـــواطس أهـلُ جهـلٍ   وأهـــونْ إن خفـتــن وان عطسنــه

العواطس: قد يريد بها حيوانات يتشاءم بها العرب قديماً. أو الانوف البشرية. والعطسة في الخرافات الشعبية إذا كانت واحدة دليل شؤم واذا تلتها اخرى انقلب الى يُمن.

تكذيب معجزات

زعم النـــاس ان قومـاً من الابـرار   عولـــوا بالـــجـــو بالـــطيراد
ومشـــوا فوق صفحـــة المـــاءِ..   هذا الافـكُ هيهـات ما جرى العصـران
ما مشـى فوقَ صفحـــةِ الـمـــاءِ   لا السعـــدانِ فيمـــا مضى ولا العُمَـــرانِ

عولوا: مبني للمجهول من علا يعلو.
السعدان: لعله يريد سعد بن معاذ وسعد بن ابي وقاص من الصحابة.
العمران: ابو بكر وعمر.

النساء والجن

ما صح عنـدي أن ذاتَ خلاخـلٍ   تُقـفى من الجن الغـــواةِ بتـــابـــع

تُقفى: تتبع.
يتحدث عن ممارسة النساء للسحر تحقيقاً لرغائبهن أو رغائب الاخريات.

التنجيم

ينجّمـون ومـا يدرون لو سُئلوا   عن البعـوضـة أنى منهم تقفُ

انى: اين.

عن التعاويذ

يرقى المعزِّم ولـدانـاً ليُورثَـهم   نفعـاً، ولا نفـعَ إلا بُسْلة الـراقي

يرقى: يعمل الرقية (بضم الراء) أي التعويذة. والبسلة بضم الباء: اجرة من يعملها.
المعزم: من يقوم بالتعزيم وهو الرقية نفسها.

تكذيب خرافة عن السود

ما اسـودّ حامٌ لذنبٍ كان أحـدثـه   لكـن غريزةُ خلقٍ خطهـا الـملِك

الملك: الله. وحكاية اسوداد حام من الاسرائيليات.

وتكذيب خرافة عن الارض

ان لم يكن في سمـاءٍ فوقنـا بشـر   فليس في الارض أو ما تحتها ملَك

في الخرافات الشعبية الدينية ان الجن يسكنون في العالم الاسفل تحت الارض.

نقض خرافة تأريخية

وقـد ادعـى من ليس يثبُتُ قولـه   عِظمَ الجسـوم وبسـطةَ الاعمـار

ما كابـرٌ إلا كآخـر غابـرٍ   والـحـق يُعـلَم وجهـه بأمـار

أمار بفتح الهمزة: امارة أي علامة.

لا تصدق العرافين

لا تُصْغِينَّ إلى حازٍ لتسمعه فما يطيقُ لما اخفيت إبرازا
أراد إحرازَ قوتٍ كيف أمكنه فظل يكتب للنسوان أحرازا

أحراز: جمع حرز وهو التعويذة. والحازي هو العراف.

دعوة لامتحان القصاص

ألا يكشفُ القُصاصَ والٍ، فان همُ أتوا بيقين فليقصوا لينفعوا
وان خَرَصوا ميناً بغير تحرجٍ فأوجبُ شيء ان يُهانوا ويُصفعوا
ومن جاء منهم واثقاً بشفاعةٍ فكم شافعٍ في هيِّن لا يُشفَّع
سعوا لفساد الدين في كل مسجد فما بالهم لم يستضاموا ويدفعوا

القصاص: فئة من الاخباريين الشعبيين كانت تقص الاخبار الدينية في المساجد وتغلب على حكاياتها الخرافات، وساهمت كثيراً في شحن عقول الناس بها.
الخرص: التخمين والكلام رجماً بالغيب. المين: الكذب.

خرافة حول النجوم

ولا توهمتُ انثى الانجم امرأةً ولا ظننتُ سهيلاً كان عشارا

عشار: جابي ضرائب العشر (موظف الجمرك والمكوس). وكانت العرب تقول ان سهيل كان في الاصل عشاراً باليمن. وانثى الانجم يقصد بها الزهرة وتقول الأسمار الجاهلية انها في الاصل امرأة.

رد على فلكيات ارسطو

وإن صح ان الـنـيرات محسـة ... فماذا نكرتم من ودادٍ ومن صهر؟
لعـل سهـيلا وهو فحل كواكـبٍ ... تزوج بنتـاً للسِمـاك على مهـر
يقـولـون تأتي فوقنـا مثـلَ ما أتى ... بنو الارض في حال السِرارِ أو الجهر
فيا ليت شعري هل تُراع من الردى ... وتـركـع نسكـاً بالعِشـاء وبالظهر؟
وتكـذب، ان المين في آل آدم، ... غرائـز جاءت بالنفـاق وبـالعهـر

النجوم حسب فلكيات ارسطو كائنات حية متحركة بالارادة.

حيل المنجمين

سألْتُ منجّمهـا عن الـطفل الذي ... في المهـد: كم هو عائشٌ من دهره؟
فأجـابهـا مئـةً، ليأخـذ درهمـاً ... وأتى الحمـامُ وليدهَـا في شهـره

الحمام بكسر الحاء: الموت.

ضد التطير والتيمن

لا تفـرحن بفـألٍ ان سمعت به ... ولا تَطَيّر إذا ما ناعـبٌ نعـبا
إذا تفكـرتَ فكـراً لا يمـازجُـه ... فسادُ عقلٍ صحيحٍ هانَ ما صَعُبا

تطير اصلها تتطير حذف احدى التاءين للوزن.

إنكار الجن

فاخش المليكَ ولا تُوجد على رَهَب ... ان أنت بالجن في الظلماء خُشّيتا
فإنــمــا تلك اخــبــارٌ ملفــقــةٌ ... لخِـدعة الغافل الحشْويِّ حوشيتا

الحشوي: المتدين الجاهل.

خرافات المؤرخين

آليتُ ما الحبـر المـداد بكـاذبٍ ... بل تكـذبُ العلمـاءُ والاحبـارُ
زعمـوا رجـالاً كالنخيل جسـومُهم ... ومـعـاشـرٌ أمـاتـهـم أشـبـار

الامات: الامهات.

وخرافات فلكية

قد صدّق الناسُ ما الالبابُ تُبطله ... حتى لظنـوا عجـوزاً تحلبُ القمرا
أنــاقــة هو أم شاةٌ فيمـنـحَـهـا ... عُسـاً تُغيث به الاضياف او غُمرا؟
يخالف الطبعَ معقولٌ خصصتَ به ... فـاقبـل إذا ما نهـاك العقل أو أمرا

العس بالضم: قدح كبير.
الغمر، كعمر، قدح صغير.

الناس والمنجمين

لقـد بكـرت في خفهـا وإزارهـا ... لتسـأل بالامـر الضـرير المنجمـا

ومـا عنـده علم فيخبـرَهـا به	ولا هو من أهـل الحجا فيرجما
يقـول غداً أو بعـده وقـعُ ديمـةٍ	يكـون غياثـاً ان تجودَ وتُسجما
ويوهـمُ جهـالَ الـمحلةِ أنـه	يظلُّ لأسـرار الـغيوب متـرجمـا
ولـو سألـوه بالـذي فوق صدره	لجـاء بمينٍ أو أرمّ وجمـجمـا
كأن سحـابـاً عمهم بضـلالـةٍ	فليسَ الى يوم القيامـة مُنْجمـا
إذا قال أهـل اللب حان انسفارُه	تداركـه غيمٌ سواه فاثـجـمـا

الخف: الحذاء.

الحجا: العقل. يرجم: يخمن.

ديمة: بكسر الدال مطرة دائمة. تسجم: تهطل.

ارم بتشديد الميم: سكت. جمجم: لم يفصح.

منجم: اسم فاعل من انجم بمعنى اقلع.

اثجم: امطر.

نقد الطبيعة

مفارقة

تُكـرَمُ أوصـالُ الفتى بعـد موتـه	وهـنَّ إذا طال الـزمـان هبـاء

قـوة الحياة

خسستِ يا أُمنـا الـدنيا فاف لنـا	بنـو الخـيـسـة أو باش أخسـاء
يمـوج بحـرك والأهواء غالـبـةٌ	لراكـبـيه فهـل للسُّفْـن إرسـاءُ؟
إذا تعـطفـتِ يومـاً كنـتِ قاسيةً	وان نظرتِ بعـين فهـي شوسـاء
إنسٌ على الارض تدمي هامها إحن	منـهـا إذا دميت للوحش أنسـاء

شوساء: متكبرة مغتاظة، ومنها الاشاوس للشجعان. إحن: احقاد. أنساء: جمع نسا وهو

عرق النسا حسب طه حسين (شرح لزوم ما لا يلزم ١/٨٣ اللزومية السادسة) وقد يكون المراد إنساء بمعنى تأجيل أو جمع نسيء بنفس المعنى. وأياً كان ففرض البيت ان ما يقاسيه البشر أشد اذا قيس بالحيوان.

الجسوم الضخام؟

زيادُة الجسم عنّت جسمَ حاملِه إلى التراب وزادت حافراً تَعَبا

استحالة السلم في الطبيعة

والقول كالخُلق مِن سيء ومن حسنٍ والناسُ كالدهر من نور وظلماء
يقال ان زماناً يستقيدُ لهم حتى يُبدِّل من بؤسٍ بنعماء
ويوجد الصقر في الدرماء معتقداً رأيَ امرىءِ القيس في عمر بن درماء
ولست أحسب هذا كائناً أبداً فابغِ الورود لنفسٍ ذات أظماء

يستقيد: ينقاد. واستقادة الزمان للناس والمخلوقات ان يتراجع عن وحشيته فيسود السلام في الطبيعة.

الدرماء: الارنب. وعمرو بن الدرماء آوى امرىء القيس لما استجار به من المنذر بن ماء السماء.

يتحدث عن الامل بسيادة السلام في الطبيعة بحيث تنعقد بين الصقر والارنب نفس المودة التي انعقدت بين امرىء القيس ومجيره ابن الدرماء.

قوت الارض

على الموت يجتازُ المعاشرُ كلهم مقيمٌ بأهليه ومن يتغرب
وما الارض إلا مثلُنا الرزقَ تبتغي فتأكلُ من هذا الانام وتشرب

الارض تبتغي الرزق مثلنا ورزقها من اجسادنا.

لؤم الارض

والارض غذّتنا بألطافها ثم تغذّتنا فهل انصفت؟

الفسَاد من الطبيعة

حوتنا شرورٌ لا صلاحَ لمثلها فان شذَّ منا صالحٌ فهو نادر

وما فَسَدت اخلاقنا باختيارنا ولكن لأمرٍ سبّبته المقادر

وفي الاصلِ غشّ والفروعُ توابعٌ وكيف وفاءُ النجل والابُ غادر؟

إذا اعتلّت الأفعال جاءت عليلةً كحالاتها اسماؤها والمصادر

فقل للغراب الجون ان كان سامعا أأنت على تغيير لونك قادر؟

الجون: الاسود.

تساوي الكائنات الحية في الشر

نهاك ناهيكَ عن بيع على غَرَرٍ وأنت كلُّك فيما بان لي غَرَرُ

والشرُّ في الانسِ مبثوث وغيرهُمُ والنفع مذ كان ممزوجٌ به الضررُ

تشاكلوا في سجياتٍ مذمّمة وأشبهتْ لبوات الغابة الهِررُ

بيع الغرر، بفتحتين: بيع المخاطرة مثل بيع السمك في الماء والثمر في شجره قبل ان ينضج. وهو من البيوع المحرمة.

صراع العقل مع الطبع

والـلـبُّ حاربَ تركيبـاً يجـاهــده فالعقلُ والطبعُ حتى الموت خصمان

مصدر العدوان هو الطبيعة

ولــولا حاجــةٌ في الـذئب تدعـو لصيد الـوحش ما اقتُنص الغـزالُ
ومــا لذؤالــةَ الـمـسـكـين صبـرٌ فيصـرفَـه عن الحَمَـل الهــزالُ

ذؤالة: من اسماء الذيب. يريد انه لا يسعه تحمل الهزال رحمة بالحمل.

العدوان في الطبيعة وفقر الانسان

ليذمُـمْ والــداً وَلَـدٌ ويعتب عليه فبئسَ عُمـري ما سعــى له
أتــدري والــحـياة لهـا صروفٌ بمـا يلقـاه جُروك يا ثُعـالــة؟
فمــن ضارٍ يمـزق منـه شلواً ويعـطي فضلَ اكـرعـه جَعالـه
ومــن صقـر يقـول له رويداً ومــن شَرَكٍ يصـيح به تعـالـه
ومــا في الارض من أحــد غنيٌ ولــكــن كلنـا فقــراء عالـه

ثعالة: الثعلب.
جعالة: مكافأة أو أجرة. الفضل هنا: ما زاد عن الحاجة (الفضلة).
الشرك: بفتحتين هو المصيدة التي توضع لصيد الحيوانات.

سؤال

أيكــون رفــعٌ للشــرور فينتـهي غاوٍ ويقنــع بالـنبـات الضيغم؟

الضيغم: الاسد.
تحلم هذه اللزومية بتعديل نظام الطبيعة.

سريان العدوان في الاشياء

والغي في كل شيء ليس يَعدَمُه | باغيه حتى من الاعناب تُعتصر

ـ لان عصير العنب يتحول الى خمر.

القدر في التاريخ

كانت عجائبُ والمقدار صيَّرها | إلى ابن حربٍ ولاقى الحتف عمار

ابن حرب: معاوية، عمار: ابن ياسر...

الجبر لا الاختيار في الطبيعة

ارى شواهدَ جبرٍ لا أحققه | كأن كلًّا إلى ما ساء مجرور
وعالَمٌ فيه أضداد مقابَلةٌ | غنىً وفقرٌ ومكروبٌ ومقرور

المقرور: من قرت عينه، أي السعيد.

ما باختياريَ ميلادي ولا هرمي | ولا حياتي فهل لي، بعدُ، تخيير؟

مفارقات الطبيعة

لعل مفاصلَ البنّاء تُضحي | طِلاءً للسفينة والجدار

المخلوقات السجينة

فلكٌ يدورُ على معــاشــر جمــةٍ وكـأنـه سجــنٌ عليهــم مُطبـق
في كل حين يستهـلّ من الاذى مطر يخص أمــاكنــاً ويطبّــق

الوباء الشامل

ما خص مصــراً وبــأ وحــدهــا بل كائـنٌ في كل أرض وبـأ
أنـبـأنـا الـلبّ بلُقيا الـردى فالـغـوثُ من صحـةٍ ذاك النبـأ
هل فارسٌ والـرومُ والـتـركُ أو ربـيعـةٌ أو مُضَـرٌ أو سبـأ
ناجيـةٌ في عز أمـلاكـهـا ان يُظهـر الـدهـر لها ما خبأ؟
إن سار أو حلَّ الـفـتـى لم يزل يلحـظه الـمـقـدار بالـمـرتـبـأ

وبأ: وباء.

مرتبأ: ربيئة، موقع ناشز للمراقبة. والعراقيون يقولون عن الكثير التطلع: عينه تربي.

حول القمع

بين حكم الخوف وحكم العقل

كم أمـةٍ لعبت بهــا جُهــالهــا فتنــطست من قبـل في تعـذيبهـا
الخـوفُ يلجئـهـا إلى تصـديقهـا والعقــل يحملهـا على تكـذيبهـا

تنطست: تفننت ومنه الطبيب النطاسي.

التقيّة والكتمان

لا تخبــرنّ بكنــه دينــك معشــراً شُطُراً وان تفــعــل فأنــت مغــرَّر

واصــمت فان الصمت يكفي أهلَه والنــطق يُظهــر كامنــاً ويُقــرّر

شطر: شطار.

المعري في وطنه/ تطلع إلى الهجرة

ألِـفْنــا بلاد الـشــام إلـفَ ولادةٍ نلاقي بهـا سودَ الخطوب وحُمْرها

فطوراً نداري من سُبـيعــةَ ليثهــا وحينـاً نصـادي من رُبيعـة نمـرها

وددتُ بأنــي في عَمــايةَ فاردٌ تعــاشـرني الأروى فاكـره قَمْـرها

أفــرّ من الـطَغـوى إلى كل قفـرةٍ أوانسُ لطغياهـا والف قُمــرهــا

فأنـي أرى الآفــاق دانـت لظالمٍ يغــرّ بغــاياهـا ويشـرب خمـرهـا

ولو كانت الدنيا من الانس لم تكن سوى مومس أفنت بما شاء عمرها

تَدين لمــجــدودٍ وان بات غيره يهـزّ لهـا بيض الحـروب وسُمرها

سبيعـة وربيعـة بالتصغير، اسمـان رمز بهما للمتعاقبين على الحكم. نصادي: نداري ونجامل. عماية: اسم جبل. الاروى: من حيوانات الجبال. الطغيا: ابن البقرة. القمر بضم القاف: حمير الوحش. المجدود: المحظوظ: يغر البغايا: يصب الشراب بيده في افواههن.

حكم الخوف

الله ينــقــل من شاء رتــبــةً بعــد رتــبــة

أبـدى الـعـتـاهـيُّ نسـكـاً   وتـاب من ذكـر عتـبـة
والـخـوف ألـزم سفـيان   أن يغـرّق كتـبـه

العتاهي: ابو العتاهية كان يعشق عتبة جارية المهدي ولما يئس منها اتجه إلى الزهد.
سفيان (الثوري) فقيه معارض من القرن الثاني. مات مختبئاً وأوصى بغسل كتبه بالماء لمحوها.

حاجز القمع

الـفـتـى قد رأى الـيقـينَ ولـكـن   يُؤْثـر الـعـيشَ فهـو كالمختـول

يؤثر: يفضل.
المختول: الفريسة التي يختل لها الصياد ليصطادها.

ما لي رأيتُ دعـاةَ الـغي ناطقـةً   والرشدُ يصمتُ خوفَ القتل داعوه؟

إذا قلت الـمُـحـال رفعت صوتي   وان قلت الـيقـين اطـلـت همـسي

المحال: الكذب والباطل المستحيل.

قوة القمع

على الـذم بتنـا مُجمعين وحـالنـا   من الرعب حالُ المجمعين على الشكر

دعوة للحوار الديمقراطي

ترج بلطف الـقـول رد مخـالـف   إلـيك فكـم طرف يسـكّن بالنقـر

الطرف بكسر الطاء: الحصان الجيد الاصيل.

الكذب مجهور والحق مستور

فمـا للمـين يُنـطَق بالتـنـادي ومـا للحق يُهمس في السِـرار؟

لا تثق بأحد

نطالبُ الدهـر بالاحرار وهـو لنا مُبينُ عذرين: افـلاسٍ وتفليس
فاكتم حديثَـكَ لا يشعـرْ به أحـدٌ من رهط جِبريلَ أو من رهط إبليس

أسرار الصدر

آه لأسـرار الـفـؤاد غواليـاً في الصـدر أستُر دونها وأُجمجم

القتل على الشبهة

قد يُقـتـل الـحـرُّ ومـا دِينـه في طاعـة الله بمـكـلوم

مكلوم: مجروح.

الاضطرار إلى الكذب

تعـالـى الله فهـو بنـا خبـيرٌ قد اضـطرت إلى الكـذب العقول
نقـول على المجاز وقـد علمنـا بان الأمـر ليس كمـا نقـول

التصديق بالسيف

أتـوكـم بأقبـالـهـم والـحسـام فشـدّ بـه زاعـمٌ ما زعـم

تلوا باطـلاً وجـلوا صارمـاً وقـالـوا صدقـنـا فقـلنـا نعـم

أفـيقـوا فان أحـاديثـهـم ضِعـاف الـقـواعـد والـمـدّعَم

زخـارف ما ثبـتـت في الـعقـول عمّـى عليكـم بهـن الـمُـعَـمّ

المعم: المعمى، حذف الياء للقافية.

حدثني المـأسوف عليه هاشم الطعان ان العلامة الموصلي داود الجلبي، وهو من ابناء مدينته الموصل، زار ايطاليا في اوائل الثلاثينات فالتقى بمستشرق ايطالي، ذكره لي هاشم ونسيته، فسأله المستشرق:

أنت من القوم الذين يقول شاعرهم:

تلوا باطـلاً وجـلوا صارمـاً وقـالـوا صدقـنـا فقـلنـا نعـم

فقال الجلبي: نعم.

فقال له المستشرق: يكفيكم فخراً..

يعبر المستشرق الايطالي عن اهتزازه تجاه نص ثقافي يحكي عن قمع الثقافة بطريقة تعم المجتمعات والعصور الماضية والراهنة، في تحسس نادر لدى المستشرقين الذين لم يتمتعوا بنفس العمق الثقافي لزملائهم من المثقفين الغربيين.



نقد السياسة

ضلال سياسي

ما أجهـلَ الأممَ الـذين عرفتُهم ... ولعـلَّ سالفَهـم أضـلُّ وأتبـر

يدعـون في جُمُعـاتهم بسفـاهـةٍ ... لأميرهـم فيكـاد يبكـي المنبـر

الالقاب الكاذبة

وكـذاكَ يدعـى طاهـراً من كلُّه ... نَجسٌ ويُفقـد في الانـام الطاهـر

عبث الحكام

ملكـوا فما سلكوا سبيلَ الرشد بل ... ملأوا الـديار ضوارباً ومـزاهـرا

الضوارب والمزاهر آلات موسيقية .

الاسماعيلية والقرامطة

ما للمـذاهـب قد أمسـت مغيِّرة ... لهـا انتسـابٌ إلى القَدّاح أو هَجَر

قالـوا البـريّة فوضى لا حساب لها ... وإنمـا هي مثـلُ النبتِ والشجـر

فالجــاهـلية خيرٌ من ابــاحـتـهم سجيةُ الحــارث الحـراب أو حُجُرِ
فمـا أفـادوا سوى احـلال نسوتهم معـرّضـاتٍ لأهـل البـاطـل الفُجُر
وإنّ أحسن من تعــظيمهم رجـلاً ، صِغْراً من الحِكَمِ ، التعظيمُ للحجرُ

القداح: من مؤسسي الاسماعيلية.
الحارث الحراب وحُجر من سادات كندة وفرسانها في الجاهلية.
في البيت الرابع يشير إلى اتهام الباطنيين بالاباحية. وفي البيت الاخير إلى اتباعهم الاعمى للائمة.

طريقهم واحد

يســلك محـمــودٌ وأمـثــالُــه طريق خاقــانٍ وكُــنــداج

خاقان: من ملوك الترك قبل الاسلام. كنداج: لم اقف عليه.
محمود: هو الغزنوي، من ملوك الاسلام.

ضد الحرب

يا مُشـرع الرمح في تثبيت مملكةٍ خيرٌ من المــارِن الخـطّي سباح
يزيد ليلك إظــلامــاً إلــى ظُلَمَ فمــا له آخـر الايام إصـبــاح

السبح: يستعار لمر النجوم وجري الخيل وسرعة الذهاب في العمل. وغير واضح غرضه منه.
المارن: الرمح اللين. الخطي: الرمح المصنوع في خط هجر باليمامة.

علاقة الخادع بالمخدوع

رُئس الــنــاسُ بالــدهــاء فمــا ينـفــك جيلٌ ينــقــادُ طوعَ دهــاتــه

بعده عن الحكام

وأقصـــاني من الـرؤســاء كوني   وكـــونُـهــم لخــالـقـنــا عبيدا

إنفراد الطغاة بالبشر

عــاثت ذئـابٌ فلم يزجـر معَّـرتهـا   مستضعفـون لفقــدان السنــانير

السنانير: كناية عن القادة. . . غياب الزعامة التي تقود الضعفاء للرد على الذئاب الحاكمة.

تجاوز الحكام على عقد الحكم

مُلَّ المقــامُ فكم أُعــاشــرُ أمـةً   أمــرت بغيرِ صلاحهــا أمــراؤهــا

ظلمـوا الـرعيّة واستجـازوا كيدهـا   فَعَـدوْا مصـالحهـا وهم أجـراؤهـا

دعوة لمقاطعة السلطة

توحــد فان الله ربُّــك واحــدٌ   ولا ترغبنْ في عِشْـرة الـرؤســاء

عجز الحكام في زمانه

يا ملوك الـبــلاد فزتــم بنَسء الــعــمــر والــجــورُ شأنُــكـم في الـنَّــســاء

ما لكــم لا ترون طُرقَ الـمعــالي   قد يزور الــهـيجــاءَ زيرُ نســاء؟

النسء: التأجيل. وكذلك النساء بفتح السين. زير نساء: في الاصل لقب المهلهل بن ربيعة. يقول:

حتى لو جذبتكم النساء وتولعتم بهن فهذا ليس مبرراً لاحجامكم عن الفعل فقد كان المهلهل زير نساء وفي نفس الوقت فارساً خاض الغمرات وصارع الاقران وصرعهم. .

أحوال الشام

إذا دنــوتِ لشــامٍ أو مررتِ به ... فنـكّبـيه وراء الــظهــر أو حيدي
قد غيَّر الـدهـرُ منـه بعدَ مبتهَجٍ ... وألْـحــد السيف فيه بعــد توحيد

الامراء والوزراء

هل الامــراء إلا في خســارٍ ... أو الــوزراء إلا أهــلُ وزر؟

القرامطة

ألـمــا تعـجبـي من غير سُخْــر ... لقـذْحِ الـدهـر في جبـل وصخـر
ومخــرِ الغــادر الهَجَـري أرضـاً ... لهـتــك أوانسٍ كبنــات مَخْــر
ومــا كان الـتجــاربُ من رجــال ... سوى ملك يرام وحــب فخــر
كفــاك الــلبُ رحـلةَ جاهــلي ... تُزيرك أيلة وبــلاد نخــر

بنات مخر: غيوم بيضاء ربيعة.
أيلة: ميناء ايلات الفلسطيني. بلاد نخر: لم اقف عليها.
يتحدث عن غزوات قرامطة الاحساء واعتداءاتهم على من حولهم من مخالفيهم. وفي البيت الاخير يدعو للعودة الى السلوك الجاهلي.

دعوة لنزع السلاح

.. والرأي ان تدعوا الصوارمَ كلها ... بقـرى المشـارف والـرماحَ بسمهر

قرى المشـارف يريد بهـا مشارف الشام وكانت تصنع فيها السيوف المعروفة بالمشرفية.
وسمهر في الاصل اسم رجل من صناع الرماح. وهنا جعله. اسم بلد.

تقرير موجز عن أوضاع البلدان

أما الحجاز فما يُرجى المقامُ به ... لانــه بالحــرار الخمس مُحتَجـزُ

والشـام فيه وَقود الحـرب مشتعلٌ ... يَشُبُّـه القـومُ شدت منهم الحجُـزُ

وبـالعـراق وميض يستهـل دمـاً ... وراعــد بلقـاء الـشــر يرتـجـز

الحرار جمع حرة: حجارة سوداء تكثر في اماكن معينة من الحجاز وعددها خمس حرات مذكورة في الجغرافيا القديمة.

الحجز جمع حجاز وهو الحزام.

السياسة العقلية

وإذا الـرئـاسـةُ لم تُعَن بسياسـةٍ ... عقليةٍ خطِىء الصــوابَ الـسـائسُ

حقوق دافعي الضرائب

وأرى ملوكـاً لا تحـوطُ رعـية ... فعــلام تؤخــذ جزية ومكـوس؟

تحوط: ترعى.

الحكام بين الجهل والخسة

يســوســون الانـام بغير عقـل ... فينـفـذُ أمـرهم ويقـالُ ساســه

فأفٌ من الــحـياة وأفٌ منـهـم ... ومـن زمـنٍ رئـاستـه خســاســه

جوع النساء ونخمة الخيل

وجــدتُ الـنـاسَ عَمّهُمُ سقـوطٌ ... وكـلُّ الـخيل يدركـهـا سِقـاط

غدت لِلقــاطــهــا نســوانُ قومٍ وأفــراس الامــير لهــا لُقــاط
أمـا يُعـطي ذوي الحـاجـات حقاً وفــوق شَواتــه الـسيف السِقــاط

السقاط: العثرة. الشواة بفتح الشين: جلدة الرأس. قوله: غدت للقاطها.. يريد به بحث الجائعات عن الطعام فيما يسقط منه على الصعيد من ثمار أو فضلات. السيف السقاط: هو ما يقد القتيل من أعلى الى اسفل.
يدعو الى اخذ حقوق الفقراء من الامراء بقوة السيف.

اتفاق الدين والدولة على الظلم

لعمرك ما في عالم الارضِ زاهدٌ يقيناً ولا الـرهبـان أهل الصوامعِ
أرى أمراءَ النـاس يُمسون شرهم إذا خطفـوا خطفَ البـزاة اللوامـع
وفـي كلِّ مصــرٍ حاكـمٌ فمــوفَّـق وطـاغ يحابى في أخسّ المطامع
يجـوز فينفي الملكَ عن مستحقه فتُسكبُ أسـرابُ العيون الـدوامع
ومـن حولــه قوم كأن وجــوهـهــم صفــاً لم يُليَّن بالغيوث الهــوامـع
عدول لهـم ظلم الـضعيف سجية يُسمُّـون أعـرابَ القـرى والجوامع

الصفا: الصخر. الهوامع: الهواطل.
عدول: في الاصل موظفين قضائيين يتولون تزكية الشهود. وكانت وظيفتهم أساسية في القضاء. استعمل الاصطلاح في اللزومية بمعنى أوسع يعم الاكليروس المسلم كما يتبين من البيتين الاخيرين.
غرضه من الشطر الاخير غير بيّن. لا علاقة بين العدول والاعراب والجوامع.

بلطجة سياسية

ظلمٌ مستضعفٍ وأخــذُ مكــوسٍ وحــياةٌ في عالــمِ منــكــوس

جلَّ ربُّ الانــام زيدٌ كعــمــرٍو وأخــوَ الـبــرّ ليس بالمــوكــوس

ضد الحرب

فان تتـركوا الموتَ الطبيعيَّ يأتكم ولم تستعينـوا لا حساماً ولا خِرصا
وكان لكم حرصٌ على العيش بيِّن فما لكم حمتم على ضده حرصا؟

الخرص بكسر الخاء: سنان الرمح. ويطلق ايضاً على الرمح اجمعه.

شيوع الغش والخيانة

قد عَمّــنــا الــغش وأزرى بنــا في زمــنٍ أعــوز فيه الـخصــوص
ان نُصــح الــســلطان في أمــره رأى ذوي النصح بعين الشُصوص
وكــل من فوق الــثــرى خائــن حتى عدول المصر مثل اللصوص

الشصوص: الازورار. ومنه الشص (أو هو من الشص) لانعقافه.

مع الحرب الدفاعية ضد الحرب الهجومية

ومــا سَلُّ الـمـهـنّـد للتــوقي كســلِّ الـمـشــرفـية للتـشفي
وليس الخمسُ ضاربــة بسيفٍ نظيرَ الــخـمس ضاربــة بدف
أبــاغــي حظه بقنــا وخيلٍ كبــاغــيه بمــنــوال وحَــفّ

الحف، بفتح الحاء: مشط الحائك. والمنوال: هو النول.
تفضيل كسب العيش بالحياكة على كسبه بالسيف. والحياكة هنا كناية عن عموم المهن.

الحرب

وطُلَّ قتيل فلم يُذْكَر وغُلَّ أسيرٌ فما أُطلقا
وكم تركتْ آهلاً وحده وكم غادرت مثرياً مملقا
يسائلُ في الحي عن ماله وما القول في طاتر حلّقا
ولم يك دهرهُم شاعراً ولكنه لم يزل مُفْلقا
إذا كان هذا فعال الزمان فان به كامناً أولقا
فليت السماكين لم يَطلُعا وليت المنيرين لم يُخلقا

طُل القتيل: ذهب دمه هدَراً. يُذكر: يُذكر.
مملق: فقير. مُفلق: شاعر كبير. أولق: السريع في طيش من الدواب.
السماكين: نجمين. والمنيرين: الشمس والقمر.

القضاء

يقولون في مصر العدول وإنما حقيقة ما قالوا العدول عن الحق
ولست بمختار لقومي كونَهم قضاة ولا وضع الشهادة في رَق

الرق، بفتح الراء: جلد غزال كان يقوم مقام الورق قبل ان يتوصل المسلمين الى صنعه والبيت الاخير متعلق باشتغال اسرته في القضاء.

انحلال عام

كل البلاد ذميمٌ لا مقامَ به وان حللتَ ديار الوبل والرهَم
إن الحجاز عن الخيرات محتجز وما تهامة إلا معدن التهم
والشام شؤم وليس اليمنُ في يَمَنٍ ويثرب الآن تثريبٌ على الفَهِم

الوبل: المطر الغزير. الرهم جمع رهمة بكسر الراء: المطر القليل ولكن الدائم.

انتقاد المنصور لقتله ابا مسلم

لو بعث المنصور نادى أيا   مدينة التسليم لا تسلمي
قد سكن القفرَ بنو هاشم   وانتقل الملكُ إلى الديلم
لو كنت أدري ان عُقباهُم   لذاك لم أقتل أبا مسلم
قد خدَم الدولةَ مستنصحاً   فألبَسته شِية العِظْلِم

العظلم، بكسر العين: صبغة حمراء. الشية هنا كناية عن اللون.

الحرب الظالمة

ومن بديع الجورِ ما بيننا   حربُك من ألقى إليك السَلَم

الاستغناء عن الدولة

ان أكلتمْ فضلاً وانفقتمُ فضلاً فلا يدخلنَّ والٍ عليكم
لا تُولوا أموركم أيديَ الناس إذا رُدتِ الامورُ إليكم

شمول الظلم والغش

بكل أرضٍ أميرُ سوءٍ   يضربُ للناسِ شرُّ سكةْ
قد كثر الغش واستعانت   به الاشدّاء والأركّة
ولم يجد سائلٌ عليماً   يُزيل بالموُضِحات شكّه

الاصل في السلطة

إذا ما تبيَّنَّا الامور تكشفت   لنا وأميرُ القومِ للقومِ خادمُ

تعاقب الطغيان

ان جارت الامراء جاء مؤمَّر   أعتى وأجورُ يستضيم ويكْلِم
يتشبه الطاغي بطاغٍ مثله   وأخو السعادة بينهم من يَسلم

يكلم: يجرح.

النهي عن الغزو والاسترقاق

أراك زنيماً ان تعرضت ليلةً   لأُدْم رِماحٍ أو لغزلانِ أزنما
غنائمُ قومٍ سوف ينهبها الردى   فلا تدنُ منها واجعل النسك مغنما

رماح وأزنم: عشيرتان من بني تميم. كنى بهما عن أي جماعة تتعرض لغزو.
والادم بضم الالف: جمع اديم وهو الجلد، كناية عن الامتعة. الغزلان: كناية عن النساء.

حرمان الكرام من السلطة

يدولُ الزمانُ لغير الكرام   وتُضحي ممالكُ قومٍ طُعَم

طعم: جمع طعمة.

العراق والشام

يكفيك حزناً ذهاب الصالحين معاً   ونحن بعدهُم في الارض قُطّان



ان العـــراقَ وان الشـــامَ مذ زمنٍ   صفـــران ما بهمـــا للملك سلطان
ساس الانـــامَ شياطـــين مسـلَّطةٌ   في كل مصـرٍ من الـوالين شيطان
من ليس يحفل خمصَ الناس كلُّهمُ   ان بات يشـرب خمـراً وهو مبطان
متى يقـــوم إمـــامٌ يستـقيدُ لنـــا   فتعـــرفَ العـــدل اجبـــالٌ وغيطان

خمص: جياع. مبطان: متخوم. يستقيد: ينقاد.
غيطان جمع غائط: للمنخفض من القيعان.

عبيد الملذات

أتعجبُ من ملوكِ الارض أمســوا   للذاتِ الـنـفـوسِ عبـيدَ قنِ
فان دانـيتَهم لم تعـدُ ظلمـاً   ومـنّـاً فى الامـور بغـير من

لم تعد: لم تتعدَ. المن الاخيرة قد يريد بها ما يعرف بالمن والسلوى لمادة صمغية تنزل من الجو وتعمل منها بعض الاغذية من الحلوى. وردت في اللزومية كناية عن العطاء.

حاجة الملوك الى التأديب

يُعــزَّر الـمَـلْك توقيراً، وحـق له   على الــمـآثـم تأديبٌ وتـعـزيرُ

يعزر الاولى: يوقر. والتعزير الثانية: التأديب. واصل الكلمة واحد وهو النصر، ومنه اسم ملك صيدا الكنعاني شمن عزر أي المنصور بالاله شمن. استعمل القرآن هذه المفردة في معنى النصر والتوقير واستعملت في الفقه للتأديب بقرينة ما يؤدي التأديب من تحسن سيرة المشمول به كأنهم حين أدبوه أعانوه على اصلاح نفسه.

تجبر الملوك

يسود الناس: زيدٌ بعد عمروٍ كذاك تقلُّبُ الدُولات دُوله
ومن شر البرية ربّ مُلكٍ يريد رعيةً ان يسجدوا له

الدولة بضم الدال ما تتداوله فئة دون اخرى ويكون عرضة للزوال ومنه اشتق اسم الدولة في الاسلام.



نقد الناس والمجتمع

التجار وقطاع الطرق

في البــدو خُرّابُ اذوادٍ مســوَّمــة وفي الجــوامع والاسـواق خُرّابُ
فهــؤلاء تســمّــوا بالــعــدول أو التجـار واسم اولاك القـوم أعراب

خراب: جمع خارب، لسارق الابل.
الاذواد: جمع ذود، قطيع الابل. مسوّمة: عليها علامات.

تفضيل الحجر على البشر

يحــســنُ مرأى لبــنــى آدمٍ وكــلُّهــم في الذوق لا يعــذُب
ما فيهــم بَرٌّ ولا ناســكٌ إلا إلــى نفــعٍ له يجــذب
أفـضــلُ من أفـضـلهـم صخـرةٌ لا تظلم الــنــاسَ ولا تكــذب

كلنا سواء

من ليَ ان لا أُقـيمَ في بلدٍ أُذكــر فيه بغـير ما يجــب
يُظنُّ بي الــيُسْــرُ والــديانــةُ والــعــلم وبــيني وبــينــهــا حُجُــب

كل شهوري عليّ واحدةٌ لا صَفَرٌ يتقى ولا رجب
اقررتُ بالجهل وادّعى فَهَمي قوم فأمري وأمرهم عجب
والحق أني وأنهم هَذَر لست نجيباً ولا همُ نُجُب

التجار ايضاً

يا تاجرَ المصرِ ما انصفت سائمةً كذبتها في حديث منك منسوق
ان تشكُ قطع طَريق في الفلاة فكم قطعت من قبل طرق الناس في السوق

سائمة: مشترية تساومه على الثمن.

جناية الآباء

تواصَلَ حبل النسل ما بين آدمٍ وبيني ولم يوصل بلاميَ باء
تناءبَ عمروٌ إذ تثاءب خالدٌ بعدوى، فما اعدتنيَ الثؤباء
وزهّدني في الخلق معرفتي بهم وعلمي بان العالمين هباء
على الوُلْد يجني والدٌ ولو أنهم ولاةٌ على أمصارهم خطباء
وزادَك بعداً من بنيك وزادهم عليك حُقوداً أنهم نجباء
يرون أباً ألقاهم في مؤرَّبٍ من العقد ضلت حله الأُرباء

مؤرب: محكم. يشير الى عقدة الحياة المستعصية على العقلاء أو مصاعبها التي يتعذر حلها.

الانصاف في الذم

بني الدهر مهلاً ان ذممتُ فِعالكم   فاني بنفسي لا محالةَ أبدا
متى ينقضي الوقت والله قادر   فنسكن في هذا التراب ونهدأ
تجاور هذا الجسمُ والروحُ برهةً   فما بَرِحت تأذى بذاك وتصدأ

لو لم يخلقوا لكان أفضل!

فأُفٍ لعصريهم نهارٍ وحندسٍ   وجنسيْ رجالٍ منهم ونساءِ
وليت وليداً مات ساعةَ وضعهِ   ولم يرتضع من أُمه النُفَساء
يقول لها من قبل نطق لسانه   تُفيدين بي أن تُنكبي وتسائي

اعترافات . .

أوصيت نفسي وعن ودٍ نصحتُ لها   فما أجابت إلى نصحي وايصائي
والرمل يشبه في أعداده خطأي   فما أهِم له يوماً باحصاء

ثوبيَ محتاجُ إلى غاسلٍ   وليت قلبي مثلُه في النقاء

كلهم سواء

وجدتُ الناسَ في هَرْج ومَرْجِ   غواةً بين معتزلٍ ومرجي
فشأن ملوكهم عزف ونزف   وأصحابُ الامور جباةُ خرج
وهمّ زعيمهم إنهابُ مالٍ   حرامٍ النهب أو إحلال فرج

مرجى: مرجىء نسبة الى المرجئة، فرقة ظهرت في الاوان الاموي عارضت الخوض فيما

نشب بين الصحابة من صراعات وقالت بارجائها الى يوم القيامة ليحكم فيها الله . ومن آرائها ان الايمان مقدم على العمل.

نقد . . ونقد ذاتي

ان مازت الناسَ اخلاقٌ يعاش بها فانهم عند سوء الطبع أسواء
أو كان كلُّ بني حواءَ يُشبهني فبئس ما ولدت في الخلق حواء
بُعدي من الناس برء من سَقامهُمُ وقربهم للحجى والدين أدواء

اسواء: متساوين.
الحجى: العقل.

الانسان لئيم بالطبع

وغَضِبْنا من قولِ زاعم حقٍ اننا في أصولنا لؤماء
فَهمُ الناسِ كالجهولِ وما يظفَرُ إلا بالحسرة الفُهماء

الاعوجاج هو الاصل

وفي طباعك زيع ، والهلال على سموّه حِلف تقويس وتعويج

اشرف الناس!

وأشرف من ترى في الارض قدراً يعيش الدهرَ عبد فمٍ وفرج

الدهر: اي طول الدهر.

الاجماع على الجهل

عَدِمْتُـكِ يا دنيا فأهلك أجمعـوا على الجهل: طاغٍ مسلمٌ ومُعاهد
لقد ضل هذا الخلق: ما كان فيهم ولا كائنٌ حتى القيامة زاهد

المعاهد: الذمي.

أفاعيلنا العجيبة

وأحلفُ ما الانسان إلا مذمم أخو الفقر منا والمليكُ المحجب
أيعقلُ نجمُ الليل أو بدر تِمّه فيصبح من أفعالنا يتعجب؟

ذئبية البشر

لم يقدرُ الله تهذيباً لعالمنا فلا ترومنّ للاقوام تهذيبا
ولا تصدق بما البرهانُ يُبطله فتستفيدَ من التصديق تكذيبا
يغدو على خِلّه الانسان يظلمه كالذيب يأكل عند الغرة الذيبا

الغرة: الغفلة.

هل كان آدم عاقلاً؟

كأن حواء التي زوجُها آدمُ لم تَلْقَحْ بشخص أريب
قد كثرت في الارض جهالنا والعاقل الحازم فينا غريب

الاصل الوسخ

جسميَ انجاسٌ فما سرني … اني بمسك القول ضُمّختُ
من وسخٍ صاغ الفتى ربُّه … فلا يقولنَّ توسختُ

كلنا أبو لهب

وكلُّنا في مساعيه أبو لهبٍ … وعِرسُهم لم يقع في جيدها مسد
وهكذا كان أهل الارض كلهم … فلا يظن جهول انهم فسدوا

في البيت الاول اشارة الى قول القرآن عن زوجة ابو لهب: في جيدها حبل من مسد.

الامير والتقي

قالوا فلان جيدٌ لصديقه … لا يكذبوا ما في البرية جيّد
فأميرُهم نال الامارةَ بالخنا … وتقيهم بصلاته يتصيّد

سهولة حياة الحيوان
وتكاليف حياة الانسان

أرى حيوان الارض غيرَ أنيسها … إذا اقتات لم يفرح بظلم ولا جدا
أتعلم أسدُ الغيل بعد افتراسها … تحاول دُراً أو تحاول عسجدا؟
وما اتخذ الابرادَ سِرحانُ قفرةٍ … ولا شب ناراً أين غار وأنجدا
وأضعفُ من تلقاه من ابن آدمٍ … إذا ما شتى يبغي وقوداً ويَرْجدا

وأنصفُهم: ما هابت الـوحش سُبّةً ولا وقـعت من خشية الله سجـــدا

جدا: عطاء. الغيل: الغابة. العسجد: الذهب.

الابراد: جمع برد صنف من الثياب. سرحان: ذئب. انجد: ارتفع.

برجد بفتح الباء: قماش غليظ..

.. الحيوانات خلصانة من اثقال الديانة.

انحطاط الحاكم والمحكوم

ومــا أعـجـبتني لابن آدمَ شيمــةٌ على كل حال من مســودٍ وسـائـدِ

الاصل غير طاهر

يا ليتَ آدم كان طلّق أمــهــم أو كان حرّمــهــا عليه ظِهــار

ولــدتـهـم في غير طهــر عاركــاً فلذاك تفــقــد فيهــم الاطــهــار

الظهار: هو قول الرجل لزوجته عند الشجار أو الغضب: انت علي كظهر أمي. وتحرم عليه عندئذ حتى يدفع كفارة.

عارك: حائض. معنى اللزومية ان آدم ضاجع حواء وهي حائض فجاء اولادهما غير اطهار...

حيوانات البر آنس

والوحش في الفلوات أجمل عِشْرة للمــرء من أهـليه في الامـصــار

الامصار: المدن.

الخير هو الاستثناء

شذَّ التقيُّ فما يقاسُ على أبي ذرٍ وشيمته رجالُ غفار

أنا وهم سواء

إذا سألوا عن مذهبي فهو بيّنٌ وهل أنا إلا مثلَ غيري أبله؟
خُلقتُ من الدنيا وعشت كأهلها أجدّ كما جدوا وألهو كما لَهوا

مضار النسل

خيرُ النساءِ اللواتي لا يلدن لكم فان ولدن فخير النسل ما نفعا
وأكثر النسل يشقى الوالدان به فليته كان عن آبائه دُفعا
أضَاع داريك من دنيا وآخرة لا الحيَّ أغنى ولا في هالك شفعا
وكم سليلٍ رجاه للجَمال أب فكان خزياً بأعلى هضبة رُفعا

الظلم طبع

وعقلك يا أخا السبعين واهٍ كأنك في ملاعبك ابن سبع
ظلمتَ وكلّنا جانٍ ظَلومٌ وطبعك في الخيانة مثل طبعي
يسرّك ان رُبع سواك خالٍ إذا مُكّنتَ من أهل وربّع
ولولا ذاك ما حُملتْ لرميٍ معابل صائد وقسيُّ نبع

«ربع» الاولى في البيت الثالث تعني المنطقة أو الحارة. وربع الثانية تعني المعشر والجماعة. المعابل: السهام العريضة. والنبع: الشجر الصلب تتخذ منه القسي والسهام.

مخازي الناس

وفـرّقـتـهـم على علاّتـهـا مِلَلٌ   وعـنـد كل فريق انـهـم ثَقِفـوا
ولـو درت بمـخـازيهـم بيوتـهـم   هوت عليهم ولم تُنظرهم السُقُف

ثقفوا: صاروا حاذقين مهذبين وهو أصل اصطلاح ثقافة.
تنظرهم إنظاراً: تؤجلهم.

تنديد بأهل المعرة

ما لُمت في أفعـالـه صالـحـاً   بل خلتُـه أحـسـنَ مني ضمير
يا قومُ لو كنـتُ أمـيراً لكـم   ذمـمتُـم في الـغـيب ذاك الامـير
وإنـمـا سائـسـكـم دائـبٌ   يرعـى المـطايا ويسـوق الحمير
وردتـم الآجـنَ من دينـكـم   ومـا ظَفِـرتُـم بالـصـريح النمير
فعـرّفـونـي بفـتـىً منـكُـمُ   لا يمـتـري الـنـاس ولـكن يَمير

صالح: يقصد ابن مرداس الذي حاصر المعرة ثم انسحب عنها بشفاعته.
الآجن: الآسن، الفاسد.
يمتري: يأخذ الميرة، يمير: يعطيها.
في البيت الثاني دليل حاسم على انه لم يحكم المعرة خلافاً لما توهمه ناصر خسرو.

الاساءة هي الاصل

والمـرء ما عاش مبسـوطٌ إسـاءتُـه   يشقى به القوم ان هانوا وان فرعوا

فرعوا: علوا وارتقوا.

لا تصلوا علي

سأفعل خيراً ما استطعت فلا تُقَم   عليّ صلاةٌ يوم أصبح هالكا
فما فيكمُ من خيِّرٍ يُدَّعى به   يفرج عني بالمضيق المسالكا

ليس فيكم خيّر يساعدني بصلاته على عبور الصراط. . .

انقلاب المقاييس والجيل القادم أرزل

وصاحبُ نكرٍ بات يُعذرَ بيننا   وفاعلُ معروف يلام ويُعذل
وقِدْماً وجدنا مُبطل القوم يعتدي   فيُنصر والغادي مع الحق يُخذل
فان يك رَذْلاً عصرنا وأنامُه   فما بعد هذا العصر شر وأرذل

الانام: المخلوقات وتخصص بالبشر. أصلها من Animo اللاتينية وتعني النفس.

اليأس من الاصلاح

ناديت حتى بدا في المنطق الصَحَلُ   تخالفَ الناسُ والاغراضُ والنِحلُ
رجوا أماماً بحقٍ أن يقوم لهم   هيهات لا بل حلول ثم مرتحل
ولن يزالوا بشرٍّ في زمانهم   مادام فوقهمُ المريخُ أو زحل

الصحل بفتحتين: بحة الصوت.
النحل جمع نحلة بكسر النون وهي الملة.

حاجة الارض للطوفان. .

فَسْلٌ أبو عالمنا آدمٌ   ونحن من والدنا أفسل

لو تعلم النحل بمشارها لم ترها في جبل تَعْسل
والخير محبوب ولكنه يعجز عنه الحي أو يكسل
والارض للطوفان مشتاقة لعلها من درنٍ تُغسل
قد كثر الشر على ظهرها واتُهم المُرسِل والمُرسَل
وأمقرت أفعال سكانها فهم ذئاب في الغضا عُسَّل

مشتار النحل : الذي يجمع العسل منها. درن : وسخ .
أمقرت : صارت مرة. الذئاب العُسَّل : السريعة الجري .
الغضا : شجر بري تعيش فيه الذئاب. وكان العرب يتخذون منه وقوداً جيداً.

لصوصية الورثة

مال الدفين أتى الوراث فاقتسموا ولم يراعوه في ثلث له قَسما
لا اطعموا منه مسكيناً ولا بذلوا عُرفاً ولا كفّروا في حِنثه قسما
أوصى فلم يقبلوا منه وعاهدهم فقابلوا بخلاف كل ما رسما

الثلث: هو ما يسمح للمورث ان يوصي به خارج الحصص المقررة شرعاً للورثة. الحنث بكسر الحاء: نكث القسم. العرف: المعروف.

ضغط الغرائز على الانسان

أجِدَّك لن ترى الانسان إلا قليلَ الرشد محتملاً ملاما
وتحمله الغريزة وهو شيخ على ما كان يفعله غلاما

عدوان البشر وخفة عقولهم

أخفّتْ حلوم الناس أم كان من مضى من القـوم جُهـالاً خِفـاف حلومٍ ؟
فلا تأسفنّ الشـاة إن أدنيَ ابنهـا لشـفـرة عاتٍ للرجـال ظلوم
فلو حَمَـلُ الخضـراء أصبح بينهم لآض ذبـيحـاً أو نجـا بكـلوم
أنـاس متى تهـرب إلى القبر منهم فأنـت بعـلم الله غير ملوم

حمل الخضراء : يريد به الحمل الذي سمي به احد الابراج الاثني عشر في الفلك القديم .
كلوم : جروح .
الحلوم : العقول.

عيوبه وعيوب الناس

أجـامـل الـنـاس ولـو أنني كشفـتُ ما في الـسـر أخـزاني
أسِـيتُ من نقـصـي ولـكنّ ما يظهـر من غيريِ عزانـي

اسيت : حزنت .

وحشية الناس وعدم ارتقائهم

بعـضكـمُ يقتـل بعـضـاً كأن جوزيتُـمُ عن غنـمٍ تعـبـطون
ظن ارتـقـاءً بكـمُ جاهـلٌ وكـلكـمْ في ضَبَـبٍ تهبـطون
ضبـطتـم الـمـال ولـكـن ما يجمـع بالانسـان لا تضبـطون
لم تقتـنـوا مجـداً وأصبـحتُم قنٌ فروجٍ لكـم أو بطون

يعبط هنا بمعنى يذبح .
ضبب : منخفض .

حماية الانسان للغنم؟

لو حاورتـك الضـأنُ قال حصيفها ... الـذئـبُ يَظلم وابـنُ آدم أظـلمُ
اطـردت عنـا فارسـاً ذا رُجـلةٍ ... ساقـتـه حاجـتـه ولـيلٌ مظلم
ويزيده عذراً لدينـا أنـه ... سَدْران ليس بعـالـمٍ ما تعـلم
تهـوى سلامتَنـا وترعى سرحَنـا ... وحـراب ضارٍ من حرابـك أسلم

رجلة بضم الراء: القدرة على المشي. سدران: سادر، غافل غير واعٍ. بهزأ من حماية الانسان للغنم من الذئاب.

اخلاق القرود

تشـبَّـه بعضٌ ببـعضٍ فمـا ... تزال الـشـمـائـلُ قردية

من اين تأتيكم النجابة؟

بني الارض ما تحت التراب موفَّقٌ ... لرشـدٍ ولا فوق التراب سوى فَسْل
أكـان أبـوكم آدمٌ في الـذي أتى ... نجيباً فترجون النجابة في النسل؟

اكتشاف!

ظننت أنيَ وحـدي مخـطىء فإذا ... أفعـال كل بني الـدنيا كأفعالي

حتمية الظلم

ولم يأت في الدنيا القديمة منصفٌ ... ولا هو آت، بل تظالـمـنـا جزم

الخير الموهوم

توهمتَ خيراً في الـزمـان وأهله وكـان خيالًا، لا يصـح التـوهم
فمـا النـور نوّارٌ ولا الفجـر جدولٌ ولا الشمس دينـارٌ ولا البدر درهم

أخلاق الطيور وأخلاق البشر

أعـيرت غيرك داءً عراه وخـالـقُـكَ الـواهبُ المُجـزل
وقـد عاش ما شاء هذا الغـراب فمـا قالـت الـطير يا أقـزل؟

أقزل: اعرج.

الجهل الشامل

هذي الحياة مسـافةٌ فاصبر لهـا كيمـا تبـينَ وأنـت غيرُ مَلومِ
في عالمٍ أخـذ الالـه عقـولهم فغـدوا جمـيعـهُـمُ بلا معـلوم

تبين: من البين وهو الفراق.

تطلع نحو الجاهلية

عش بخيلاً كأهـل عصـرك هذا وتـبـالَـهْ فان دهـرك أبْـلَهْ
قومُ سوءٍ فالـشـبـل منـهـم يغـولُ الـليثَ والـليثُ يأكـل شبـلَه
ان تُرد أن تخصَّ حراً من الـنـاس بخـيرٍ فخصَّ نفـسـك قبـله
أوردوك الاذى لتـغـرق فيه وأروك الـخـنـا لتعـرفَ سُبْله
هل ترى ناعبـاً كعنتـرة العبْسي يبـكـي على منـازل عبـله

أو خُفـافٍ يرثـي رجـال سُلَيم   أو سُحيم يحـدو مع الركب إبله؟

خفاف بضم الخاء: ابن ندبة بضم النون شاعر جاهلي. سحيم: عبد بني الحسحاس شاعر مخضرم جاهلي اسلامي.

أعينوا من أنتم مثله

إذا مر أعمى فارحمـوه، وأيقنـوا   وان لم تُكَـفَّـوا ان كلكُـمُ أعـمى

مبدأ خالف تعرف

وخالفَ ناسٌ في السجايا ليُشهروا   كمـا جُعل التصريع ختم القصائد

التصريع: تكرار القافية في الشطرين ويكون عادة في المطلع. وجعله في ختام القصيدة مخالفة يفسرها بالرغبة في اشهار القصيدة أو الشاعر.

الى الادباء

بنـي الآداب غرّتـكـم قديمـاً   زخـارفُ مثـلُ زمزمةِ الـذبـابِ

ومـا شعـراؤكـم إلا ذئـابٌ   تَلصَّصُ في المـدائـح والسِباب

أضـرُّ لمـن تودُّ من الاعـادي   وأسـرق للمقـال من الـزِبـاب

أُقـارضـكـم ثنـاءً غيرَ حقٍ   كأنـا منـه في مجـرى سِياب

أأذهـبُ فيكـمُ أيامَ شيبـي   كمـا أذهـبـت أيام الـشبـاب؟

معـاذ الله قد ودعـتُ جهـلي   فحسـبي من تميمٍ والـربـاب

ومـا سُمُّ الـحُبـاب لديَّ إلا   كنـظم قيل في آل الـحـبـاب

شُغــولٌ ينــقــضــين بغــير حمــدٍ ولا يرجــعــن إلا بالــتــبــاب
ذروني يفــقــد الهــذيانَ لفــظي وأُغــلقُ للحِــمــام عليَّ بابــي

الزباب: جمع زبابة جرذ كبير يضرب العرب به المثل في السرقة.
الحباب بضم الحاء: الحية. وآل الحباب عشيرة. يقارن سم الحية بشعر المدح.
شغول: جمع شغل. التباب: الهلاك. زمزمة الذباب: طنينه. الحمام: الموت.

شرارهم

فِرَقــاً شعــرتُ بأنــهــا لا تقــتــني خيراً وان شرارَهــا شعــراؤهــا

ومصدر التضليل والكذب

ومــا أدبَ الاقــوامَ في كل بلدةٍ إلــى الــمين إلا معــشــر أدبــاء

الميـن: الكذب. ادب: في الاصل دعا الى مأدبة. ومراده الدعوة عموماً.

قصيدة المدح

لا خيرَ في جَزْل الــعــطاءاتــى رجــلًا بأن كلامَــه جزلُ
يرجــو فيمــدح غيرَ مرتــقــبٍ ربــاً وكــلُّ كلامــه إزْلُ
خيرٌ لعــمــري من جمــائــله الــكــومِ الــجــلادِ، جمــائــلٌ جُزْل
شَهَــرتْ سيوفَ الــقــول طائــفــةٌ كُذْب، وأفــضــل منــهــم العُــزْل

إزل بكسر الهمزة: كذب. جمائل: جمال. كوم: ضخمة السنام. جزل: مقروحة.
يريد ان الابل المريضة افضل من الابل القوية التي استلمها هذا المرتزق من ممدوحه.

النحويون

تبــاهــوا بأمــرٍ صيّروه مكــاسبــاً فعــاد عليهم بالخسيس من الامــر
ولم يصنعـوا شيئـاً ولكن تنــازعـوا أبـاطيلَ تُضحي مثلَ هامدةِ الجمر

.. واللغويون

ما ثعلبٌ، وابن يحي مبتغاي به، وان تفــاصـــح إلا ثعلبٌ ضَبَحــا

يريد به اللغوي المعروف ثعلب. الضبح : صوت الثعلب.



من شوارد اللزوميات ونوادرها

الى الانسان

كم غال طاهيكَ من عفراءَ مُرضعةٍ	وذاتِ لونين صارت قوتَ مكسال

وقـد ضننـتَ بشـاةٍ وهـي فاردة	على أزلٍّ فقيدِ القـوت عسّـال

بخـلت ان يتـغـذى طفله دمهـا	وأنت شارب لَذ الـطعم سلسـال

مكسال: امرأة مدللة. ازل عسال: يريد به الذيب. ضن: بخل.

سلم مع الظباء

ومـا الـظبيات مني خائفـات	وردْنَ على الاصـائـل أو ربضنـه

فلا تأخـذ ودائـعَ ذاتِ ريش	فمـا لك أيهـا الانسـان بضنـه

ودائع: يريد بها البيض.

تحذير للثعلب

ثُعـالـةُ حاذر من أمـير وسُـوقـةٍ	فمن لفظ صيد جاء لفظ الصيادنِ

ولا تتـخـذ من آل حواءَ صاحبـاً	وغيرَهُمُ ان شئت فاصحب وخادن

فان كان في دنياك للشر معدن		فانهمُ في ذاك أزكى المعادن
ولا تقرب الناظور في الارض خلته		هِداناً فتَلقى فاتكاً لم يهادِنِ
وكم أيَّموا من ضيغمٍ أمْ اشبُلٍ		وكم أثكلوا من أم شاد وشادن

الصيادن: الصيادلة وهنا يراد بهم الحذاق في أي شيء. شادن: غزال. الناظور: الناطور.
ايموا: قتلوا الزوج فصارت الزوجة ايم أي أرملة. أثكلوا الانثى: قتلوا ولدها فهي ثاكل.

لا أشْرَكُ الجديَ في دَرٍّ يعيش به		ولا أروع بنات الوحش والضان

الجدي: ابن السخلة.

الرحمة بالبرغوث

تسريحُ كفي برغوثاً ظفرتُ به		ابرّ من درهم تعطيه محتاجا
لا فرقَ بين الاسكّ الجَون أُطلقُه		وجَون كندة أمسى يعقد التاجا
كلاهما يتوقى والحياة له		حبيبة ويروم العيش مهتاجا

الاسك: الصغير الآذان أو المصلومها. يريد به البرغوث.
جون كندة: لقب ثور بن عَفير من آبائهم ذوي النفوذ. اللزومية تساوي في الحقوق والمشاعر بين زعيم كندة هذا وبين البرغوث...

الامومة الواحدة في البشر والحيوان

وسيان أمّ بَرة وحمامة		غذت ولداً في مهده وغذت بُجّا
فلا تَبكُرنْ يوماً بكفك مدية		لتُهلك فرخاً في مواطنه دجا

البج بضم الباء: فرخ الحمام. دج: مشى، فعل مختص بالطيور (قارن مع اسم الدجاج).

انتقاد للحمامة

لقـد أكثـرت في يومهـا أم ناهض　　　من السجع حتى مُل منطقُها الهذرُ
وقـد عُذرت في نوحهـا وغنـائهـا　　　فلمـا أطـالت فيهمـا بَطَل العـذر

ناهض: اسم لفرخ الحمام.

تطمين للحيوانات

أرى حيوانَ الارض يَرهبُ حتفَـه　　　ويُفـزعـه رعـد ويُطمـعـه برق
فيا طائـرُ أئمنّي ويا ظبي لا تخف　　　شذاي فمـا بيني وبينكمـا فرق

الشذى هنا بمعنى الحدة والقوة. [لتحديث هذا البيت يمكن احلال اذاي محل شذاي].

تحريض الغراب على البشر

جر يا غراب وأفسد، لن ترى أحداً　　　إلا مسيئـاً، وأي الخلق لم يجـرُ
فخذ من الزرع ما يكفيك عن عُرُضٍ　　　وحاول الرزقَ في العالي من الشجر
ومـا ألـومـك بل أُوليك معـذرةً　　　إذا خطفتَ ذُبال القوم في الحُجَر
فآل حواءَ راعـوا الأسـد مُخْدِرةً　　　ولم يغـادوا بسلم ربـة الـوُجُـر
ومن أتـاهم بظلم فهـو عنـدهُمُ　　　كجـالب التمـر مغتـراً إلى هجـر
هم المعاشرُ ضاموا كل من صحبوا　　　من جنسهم وأبـاحـوا كل محتجـر
لو كنـتَ حافظ أثمـار لهم يَنَعتْ　　　ثم اقتـربت لمـا أخلوك من حَجَر

الذبال: الفتيلة.

مخـدرة: وهي في خدرها. الوجر جمع وجار، مأوى الحيوانات الاقل ضراوة كالضبع.

محتجر: من الحجر وهو المنع والحظر ويراد به المصان الممنوع.

في البيت الرابع يقول ان مصدر العدوان هم البشر لا الضواري. وفي الخامس أن الحيوان اذا اعتدى على الانسان لا يأتي بجديد مادام الانسان قد ألف العدوان وتجوهر فيه فهو اذ يؤذي الانسان يكون كمن يجلب التمر الى مدينة هجر المعروفة بانتاجها الوفير للتمور. وفي اللزومية تضمين للمثل القائل: كجالب التمر الى هجر. يضرب لمن يأتي بأمر أو قول معروف شائع.

زواج الفتاة من الشايب

إذا خطبَ الـزهـراءَ شيخٌ له غنى ... ونـاشيءُ عُدْمٍ، آثـرت من تعـانق
وقـل غَنـاءٌ عن فتـاةٍ، وزوجُهـا ... أخـو هرم، أحجـالها والمخـانق

ناشيء عدم: شاب فقير. آثرت: فضلت.
الاحجال والمخانق: من حلى المرأة. وهذه لا تغني الفتاة وزوجها هرم.

بدا شيبـه مثـل النهـار ولم يكن ... يشـابـه فجـراً أو نجـوم ظلام
يحـدثهـا ما لا تريد استمـاعـه ... ولـم يبـق عنـد الشيخ غير كلام
تقـول له في الـنفس غيرَ مُبينـةٍ ... خذ المهـر مني وانصرف بسـلام

تأييده المهر الغالي

مهـر الـفتـاة إذا غلا صونٌ لهـا ... من ان يبتَّ عشيرُهـا تطليقَهـا
هوي الفـراق وخـاف من إغـرامـه ... فأدام في أسـبـابـه تعـليقـهـا
ولـربـمـا ورثـتـه أو سبـقـت بـه ... أقـدارَ ميتـتـهـا فكـان طليقَهـا

تفضيل الزواج من العاقر

إذا رمتَ يوماً وصلةً بقرينةٍ فخيرُ نساء العالمين عقيمها

خير النساءِ اللواتي لا يلدن لكم فان وَلَدْنَ فخير النسل ما نفعا

ـ حول تعدد الزوجات (زواج الضرائر) راجع باب نقد الدين.

دعوة للمشاركة

كيف لا يُشرك المضيقين في النعمة قوم عليهم النَعْماء؟

التفاوت الطبقي

لقد جاءنا هذا الشتاء وتحته فقيرٌ معرّى أو أميرٌ مدوَّجُ
وقد يرزق المجدود أقوات أمّةٍ ويُحرَمُ قوتاً واحدٌ وهو أحوج

الدواج: كساء غليظ للشتاء. والمدوج لابسه. المجدود: المحظوظ.

الى الشحاذ

قطعتَ البلادَ فمن صاعدٍ بغيث النوال ومن هابط
تمدُّ عصاك إلى النابحات فيَعجبن من جأشك الرابط
وتغبِطُ كلّاً على ما حواه وما لك في العيش من غابط
وقفتَ على كل بابٍ رأيتَ حتى نهاك أبو ضابط

أبو ضابط: كناية عن الموت.

الى الاغنياء

والفقر أحمدُ من مالٍ تبذّره ان افتقارَك مأمون به السَرَف
يعرى الفقير وبالدينار كسوته وفي صِوانك ما إعداده خرف

السرف: الاسراف.
الصوان: خزانة الملابس.

مع الفقراء ضد الملوك

فمن مبلغٌ عني المآلكَ معشراً علياً ومحموداً وخاناً وآلكا
فما اتمنى أنني كأجلكم ولكن أضاهي المقترين الصعالكا

مآلك جمع مألكة: رسالة.
في الشطر الثاني اسماء لملوك وإمراء.

شيوعية المال

لو كان لي أو لغيري قيدُ أُنْمُلَةٍ فوق التراب لكان الامر مشتركا

انملة بضم الالف والميم: طرف الاصبع. قيد: مقدار.

المال عند من لا يحتاج اليه

قد يحوز الخب الشحيح جبا الماء ولا يستحق نضحَ لَهاته

جبا الماء: حوضه.

دعوة لتوزيع المال

ففرق مالك الجم   وخل الارض تسبيلاً

التسبيل: اشاعة الاموال. والمسبَّل المشاع.

ضد الحرب

فان تَرْشُدوا لا تخضِبوا السيف من دم   ولا تُلزموا الأميال سبر الجرائح

الاميال جمع ميل وهو المسبار ونحوه. وهنا كناية عن الرماح.

ولا تشيمنْ حساماً كي تُريقَ دماً   كفاك سيفٌ لهذا الدهر ما حُمِدا

شام الحسام: شهره.

المساواة على اختلاف الاديان

وساوِ لديك أترابَ النصارى   وعِيناً من يهودَ ومسلماتِ

ومن جاورتَ من حُنُفٍ وسربٍ   صوابىء فليسنَّ مكرَّمات

فان الناس كلُّهُمِ سواءٌ   وان ذكت الحروب مُضرَّمات

الاتراب والعين بكسر العين: يريد بها النساء. والحُنُف: المسلمات والصوابىء: الصابئيات.

وعلى اختلاف الاقوام

لا يفخرنَّ الهاشميُّ على امرىءٍ من آل بربر

فالـحـقُّ يحـلف ما علي عنـده إلا كقـنـبـر

قنبر: خادم علي بن أبي طالب.

تقاتل على السلطة

فلا تشهـرن سيفـاً لتـطلب دولـةً فأفـضـل ما نلت اليسير المـروَّج

حرية الاديان

تروم شفـاءَ ما الاقـوامُ فيه؟ رويدكَ ان داء الـقـوم أعـيا
وألـقـت هذه الايام علمـاً إلـيكَ فلم تصـادف منـك وعـيا
ودينُـك ما عليُّ الـحـكـم فيه فابـغـي للذي أخـفـيتَ بغـيا
إذا الانـسـان كفَّ الشـرَّ عني فسـقـياً في الـحـياة له ورَعـيا
ويدرس ان أراد كتـابَ موسـى ويُضـمـر ان أحـب ولاء شعـيا

شعيا: نبي يهودي. اسمه في العهد القديم اشعياء.

قبول الاختلاف

ان خالفـوكَ ولم يجـرر خلافُهُمُ شراً، فلا بأس: ان الناس أخياف

اخياف: اخوان لام واحدة وآباء مختلفين. ويكونون في العادة اقل وئاماً من الاخوة الاشقاء او الاخوة لاب.

البشر أقرباء

ومــا نأتِ الـقــرابــةُ من أنــاسٍ   أبــوهــم يافــثٌ وأبــوك سام

يافث، حسب التوراة، احد ابناء نوح، أي أخو سام. وهو ابو يأجوج ومأجوج (الصين) والروم والصقالبة والترك حسب علم الانساب اليهمسلامي.

تكافل الناس وتعاونهم

والنــاس بالنــاس من حَضْرٍ وباديةٍ   بعضٌ لبعض وإن لم يشعروا خدم

وكــل عضــو لامــر ما يمــارسـه   لا مشيَ للكف بل تمشي بك القدم

الرد على الشر بالشر

ولا تك جازياً بالــخــير شراً   وان انــا خنــت في سببٍ فخنّي

إنصاف الموتى

لا تظلموا الموتى وان طال المدى   انـي أخــاف عليكـم ان تلتـقــوا

حول تبادل الهدايا

إذا كنت تُهـدي لي واجزيك مثلَه   فان الهــدايا بيننـا تعبُ الـرسـلِ

فلا أنـا مغبـونٌ ولا أنت في الذي   بعثنـا: كلانـا غير ملتمس الـرِسْل

فدونــك شغــل ليس هذا لعــله   يعــود بنفــعٍ / لا كشغلك بالنســل

أبــوك جنــى شراً عليك وإنــمــا هو الضب إذ يسدي العقوق الى الحسل

الرسل بكسر الراء: الرفق. ومنه قولهم على رسلك أو جاء على رسله.
الحسل بكسر الحاء: ابن الضب.
يقول: لا تشتغل بالهدايا مع شرط التبادل وابحث عن شغل آخر على ان لا يكون الزواج والنسل.

عيادة المرضى

إذا عُدتَ في مرضٍ مُكــثــراً فخـفـف وخَـفْ ان تُمــل العليلا
وان كان ذا فاقــةٍ مقــتــراً فأســلفْ وان كان نيلاً قليلا

أملّه: سبب له الملل.

قبول المجاملة

ولا تبــدوا عداوتــكــم لقــومٍ أتوكم في الــحـياة مجــامـلينــا

ناكري الجميل

بعض الـرجال كقبر الميت تمنحه أعــز شيء ولا يعـطيك تعـويضـا

من أصول المجالسة

لا يَفـقــدنْ خيرَكــم مُجــالـسُكم ولا تكــونــوا كأنــكــم سَبَــخ
ولا كقــومٍ حديثُ يومــهُــمُ ما أكــلوا أمــسهــم ومــا طبخــوا

الترحيب بالطفيلي

ان كنت صاحبَ اخـوانٍ ومـائـدةٍ فاحبُ الـطفيليَّ تأهيلاً وتـرحيبا

لا تلقينْـه بتـعـبيس لتـوحشـه فالـزادُ يفنى ولا يُبقى الاصـاحيبا

مسألة كرامة

من السعد في دنياكَ ان يهلِك الفتى بهيجاءَ يغشى أهلُها الطعنَ والضربا

فان قبيحـاً بالـمسـود ضجعـة على فَرْشه يشكو إلى النفر الكربا

المسود: الزعيم . .

المصدر الصحيح للرزق

فُرَّ من هذه الـبـريّة في الارض فمـا غير شرهـا لك حاصـل

واطـلب الـرزق بالـمـرور من الـشـجـراء لا من أسـنّـةٍ ومـنـاصـل

المرور: جمع مر وهو المعول. الشجراء: كناية عن النباتات. مناصل: سيوف.

الحث على أكل الزيت

يكـفـيك أدْمـاً سليط ما اريق له دم ولا مسّ روحاً، إذ جرى، ألم

له فضـائـل منهـا فقـد كلفتـه وانـه بسـنـاه تنجلي الـظُلَم

ادم بضم الالف: أدام. فقد كلفته: رخصه.

العمل بدل الشحاذة

لا تقـومـنَّ في الـمـسـاجـدِ ترجـو بهـا الـزُّلَـف
مُعْـمـلاً بسطَ راحـتـيكَ إلـى نائـلٍ يُلَف
ورُم الـرزق في الـبـلاد فان رُمْـتَـه ازدلـف

الزلف: جمع زلفى وهي التقرب والتوسل لاخذ المعونة من الناس. ازدلف: اقترب.

حث على السعي

.. فالرزق يهتف يا إنس اعملوا وكُلُوا يا أيهـا الـظبي رد يا طائـر التقطِ

عدم تنويع الاطعمة

يكـفـيك طُعـم جنسـه واحـد اطـعـمـةٌ ضرت بتـجـنيسـهـا

طعم بضم الطاء: طعام.
قارن مع كتاب التاو:
الخمسة ألوان تعمي العين.
الخمسة طعوم تفسد الذوق.
الخمسة أصوات تُصم الاذن.

سعة العلوم وقصر العمر

أمـا الـمـراد فجـمٌّ لا يحـيط به شرح ولكن عمـر المـرء مختصـر

الاستعلاء على الحوادث

إذا صح فكـر المـرء فيمـا ينـوبـه — من الـدهـر لم يَشْغَل بحادثةٍ فكرا

كفاح الانسان ضد طبيعته

والـمــرء في حال التيقظ هاجــعٌ — يرنــو إلـى الـدنـيا بمـقـلةِ حالم
وأخـو الحجى ابـداً يجـاهد طبعَه — فتــراه وهـــو محــارب كمســالم

الحجا: العقل. مجاهدة الطبع وسيلة المثقف الكوني لاعادة خلقه.

معيشته

لبــاســي الـبُـرْسُ فلا أخـضـرٌ — ولا خَلوقــيٌّ ولا أدكــن
وقــوتــي الــشــيءُ أبــى مثـلَه — فصــيحُ هذا الــخـلق والالـكـن

البرس: ثياب صفراء. خلوقي: معطر بالخلوق، من العطور القديمة. ادكن: داكن.

تكاليف السمو

والشــر يجلبـه العـلاء وكم شكـا — نبــأً عليٌّ ما شكــاه قنــبــر

هل نصدق؟

دعــيتُ أبــا الــعــلاء وذاك مينٌ — ولـكـنَّ الـصـحيح أبــو النــزول

غربة المثقف الحقيقي

هي غربتان: فغربة من عاقلٍ ثم اغترابٌ من محكِّم عقله

غربة العاقل بمجرد كونه عاقل. وغربته الثانية إذا استعمل عقله.

لا محدودية الفكر

الفكر حبلٌ متى يُمْسَك على طرفٍ منه يُنط بالثريا ذلك الطرف

والعقل كالبحر ما غيضت غواربه شيئاً ومنه بنو الايام تغترف

الغوارب: جمع غرب وهو الدلو.

الشمس التي لا تغيب

وانك ان تستعمل العقل لا يزل مبيتُكَ في ليلٍ بعقلكِ مشمسِ

ثبات الكل مقابل الجزء

وما عالمي ان عشتُ فيه بزائدٍ ولا هو ان أُلقيتُ منه بناقص

فيه تلميح بثبات كمية المادة في العالم.

التهويم في افق الحقائق

ويعتري النفسَ إنكارٌ ومعرفةٌ وكلُّ معنىً له نفيٌ وإيجاب

سجونه الثلاثة

أراني في الثـلاثـة من سجـوني فلا تسـأل عن الـخبرِ الـنبيثِ

لفـقـدي ناظـري ولـزوم بيتـي وكـونِ النفس في الجسد الخبيث

الخبر النبيث: الواضح المنتشر.


نصوص مارقة ليست في اللزوميات

نقد المتصوفة

أرى جيلَ الـتـصـوفِ شرَّ جيلٍ　　فقـل لهُـمُ وأهـونْ بالـحـلول
أقـال الله حـين عبـدتمـوه　　كلوا أكـل البهـائم وارقصـوا لي

هذا النقـد اعمق من الـذي في اللزوميات بخصوص التصوف. وقد أورد البيتين يا قوت في معجم الادباء (١٣٥/٣) عن ابن الهَبّاريّة رواية عن أبو زكريا التبريزي. ثم نسبها في (٢٧١/١١) الى شداد بن ابراهيم (ابو النجيب الجزري، بفتحتين نسبـة الى الجـزيرة الفراتية) المتوفى عام ٤٠١ هـ، وفي صيغة مختلفة يغلب عليها التفكك:

أيا جيلَ الـتـصـوف شرَّ جيلٍ　　لقـد جئـتـم بأمـر مستـحيل
أفـي الـقـرآن قال لكـم الـهـيَ　　كلوا أكـل البهـائم وارقصـوا لي

ويمكن توثيق الـرواية لان ابن الهبارية اخذها مباشرة من تلميذ للمعري، فضلاً عن تماسك البيتين وعمق المضمون النقدي فيهما. وانا ارجح انها تحرفت على ألسنة الناس فرويت بهذه الصيغة المفككة، واللغة الدينية الساذجة، منسوبة الى شاعر مغمور.

تناقض الفعل الالهي مع الشرع

صرفُ الـزمـانِ مفـرّقُ الإلـفين   فاحكـم الـهـي بين ذاك وبيني
أنهيتَ عن قتل النفوسِ تعمداً   وبعثتَ أنتَ لقبضها ملكين
وزعمـتَ ان لهـا معـاداً ثانيـاً   ما كان أغناها عن الحالين

إنباه الرواة (١/٧٤)، المنتظم (١٨٨/٨) ونقلها عن غرس النعمة. وهو معاصر صغير لابو العلاء (توفي والده قبل ابو العلاء بسنة واحدة) ويفترض انه عرفه عن كثب واطلع على شعره لانه نشأ في اسرة منتجي ثقافة وورث اهتمامات ابيه فكتب في نفس مجاله. ويجعلنا ذلك نميل الى توثيق نسبة الابيات تأرخياً. اما فنياً فهي قريبة من اسلوبه في اللزوميات وان لم تكن منظومة على طريقة لزوم ما لا يلزم. وقد بدئت بمطلع لا علاقة له بمضمون البيتين اللاحقين وهذا هو اسلوبه في اللزوميات التي تضمنت آراءه في الدين كما بينا في القسم الاول. وطريقة تفكيره، فضلاً عن هذا، واضحة فيها. عبارة «لقبضها» وردت في رواية اخرى «لاهلها» وفي ثالثة «لقتلها» وأرجح الاولى.

تكذيب الانبياء

فلا تحسبْ مقال الرسل حقاً   ولكن قول زور سَطروه
وكان الناس في عيش رغيد   فجاءوا بالمحال فكدروه

ابن الجوزي في المنتظم (١٨٦/٨) القفطي (١/٧٩) ياقوت (١٧٣/٣) ونقلها عن غرس النعمة. وهي على نمط لزوم ما لا يلزم والبيت الثاني محبوك

باسلوبه الشعري. ويتضمن فكرة معقدة لها اصل في القرآن. وهي الآية ٢١٣/ بقرة: «كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وانزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه. وما اختلف فيه إلا الذين اوتوه من بعد ما جاءتهم البينات، بغياً بينهم..».

التفاسير تقول ان المراد بالآية ان الناس كانوا كفاراً كلهم متفقين على الكفر فبعث الله الانبياء فآمن بعض وبقي بعض على كفرهم فحدث الاختلاف. (في القرآن نصوص تعتبر الاختلاف محتوم، ١١٨ هود، مثلاً، وهناك حديث يقول: اختلاف امتي رحمة). والبيت المذكور يقول ان الناس كانوا سعداء قبل ظهور الانبياء. وأحسبه يريد انهم كانوا منسجمين لا تمزقهم الاختلافات أو انهم كانوا في سلام فجاءت الاديان فاوقعت بينهم الشقاق. وقد مر بنا ان المعري يجعل الاديان سبب الحروب والتناحر. والبيت جليّ الدلالة على هذا المعنى، أما الآية فهي من المتشابه الذي يقبل اكثر من تأويل. إلا ان ظاهرها يعطي دليل على مصادرات المعري وغيره ممن اتهموا الانبياء بتمزيق وحدة البشر.

ضلالات الاديان

عجبتُ لكسرى وأشياعه — وغسل الوجوه ببول البقر

وقول اليهود الـهٌ يحبّ — رسيسَ الدماء وريح القُتُر

وقول النصارى الـه يضام — ويُظلم حياً ولا ينتصر

وقوم أتوا من أقاصي البلاد — لرمي الجِمار ولثم الحجر

فيا عجباً من ضلالاتهم — أيعمى عن الحق كل البشر؟

اوردها ابو الفداء في (المختصر من اخبار البشر ١/٨١). وقد كتبت على

طريقة المعري في مهاجمة الاديان جميعها، وهو اتجاه لا نجده إلا عند الرازي دون بقية زنادقة الاسلام الذين ركزوا هجومهم على العقائد الاسلامية. والرازي لم يكن شاعر وكتب بيتين في آخر ايامه ليسا من نفَس هذه الابيات. وانا لذلك لا استبعد انها من شعر ابو العلاء.

الحيف في تقسيم الارزاق وتبرير الكفر بسببه

إذا كان لا يحظى برزقك عاقلٌ   وترزقُ مجنوناً وترزق أحمقا

فلا ذنبَ يا رب السماءِ على امرىءٍ   رأى منك ما لا يشتهي فتزندقا

انباه الرواة (١/٧٥)، وياقوت في ترجمته من الجزء الثالث. وأشك في نسبتها اليه لانها لا تشبه اسلوبه. وقد يكونان لابن الراوندي الذي نسب اليه في رسالة الغفران بيتين في معنى مقارب.

البشر اولاد غير شرعيين

إذا ما ذكرنا آدماً وفِعالَه   وتزويجه بنتيه لابنيه في الخنا

علمنا بان الناس من نَسل فاجرٍ   وأن جميعَ الخلق من عنصر الزنا

نكت الهميان للصفدي ص ١٠٦.

ارجح نسبتها اليه لتماثلها مع اسلوبه في النظم وطريقة تفكيره. الحكاية التي يوظفها لاثبات لاشرعية الولادة البشرية هي من الاسرائيليات وقد ورد فيها ان آدم زوج بناته من ابنائه لكي يتناسل البشر اذ لم يكن في وقته بشر غيرهم.

إنكار المعاد

خبر المقابر في القبور، ومن لهم بمبشرٍ يأتي بصدق المحشر
هيهات يرجى ميتٌ في قبره لو صح ذاك لكان عين المتجر
خسرت تجارتهم فهل من ميتٍ يرجو التجارة في ضريح المحفر

القفطي (١/٧٦) واسلوبها قريب من اسلوب المعري.

اخيراً أورد الجندي الابيات المشهورة:

في اللاذقية ضجة ما بين أحمد والمسيح
هذا بناقوس يدق وذا بمأذنة يصيح
كلٌ يعظم دينه يا ليت شعري ما الصحيح

وانكر نسبتها اليه لتهلهل حبكتها. وهي في الحقيقة ادنى درجة من سائر شعره، الذي قد يجد فيه المرء ما هو متكلف أو محكوم بالوزن أو القافية وقلما يجد نسجاً بسيطاً. وفي تقديري ان الابيات من نظم شخص آخر ثم تداولها الناس على انها للمعري نظراً لتلاؤمها مع افكاره.

* * *

انبه في الختام ان هذه الاشعار التي نسبت اليه وليست في احد ديوانيه الباقيين (سقط الزند) و(لزوم ما لا يلزم) قد تكون اخذت من ديوانه الثالث الضائع (استغفر واستغفري) وكان كما بينا في المقدمة على غرار اللزوميات في المضامين دون الاشكال لانه لم يلتزم فيه قافيتين. والاشعار المذكورة من هذا الطراز عدا البيتين الرائيين.

فهرس

صدر عن مركز الابحاث والدراسات الاشتراكية في العالم العربي

١ ـ وثائق الاحزاب الشيوعية والعمالية في البلدان العربية ١٩٦٤ ـ ١٩٨٤.
٢ ـ حميات في الغرب .... سليم خياطة
٣ ـ من تاريخ التعذيب في الاسلام .... هادي العلوي
٤ ـ المادية والفكر الديني المعاصر (نظرة نقدية) .... فالح عبد الجبار
٥ ـ الحزب الشيوعي والمسألة الزراعية في العراق .... نصير سعيد الكاظمي
٦ ـ الشيوعية والمسألة القومية العربية
في فلسطين، ١٩١٩ ـ ١٩٤٨ .... ماهر الشريف
٧ ـ الماركسية والفن الحديث .... ف. د. كلنغدر، ترجمة: مصطفى عبود
٨ ـ حول الدور القيادي للماركسية
في السياسة الثقافية .... جورجي اتزل، ترجمة: مصطفى عبود
٩ ـ مصائر الرأسمالية
في الشرق .... نوادري. م. سيمونيا، ترجمة: فاضل جتكر
١٠ ـ الوعي والابداع . مجموعة من المؤلفين السوفييت، ترجمة: رضا الظاهر
١١ ـ الاقتصاد السياسي غير الماركسي المعاصر ـ الجزء
الاول .... مجموعة كتاب سوفييت، ترجمة: عصام الخفاجي
١٢ ـ الكومنترن والشرق (الستراتيجي
والتكتيكات) .... ريزنيكوف، ترجمة: نصير سعيد الكاظمي
١٣ ـ الاغتيال السياسي في الاسلام .... هادي العلوي
١٤ ـ المستطرف الجديد .... هادي العلوي
١٥ ـ برودون، ماركس، بيكاسو .. ماكس رافائيل، ترجمة: د. مجيد الراضي
١٦ ـ الشيوعيون وقضايا النضال الوطني الراهن .... د. ماهر الشريف
١٧ ـ الطبقة العاملة في مصر المعاصرة .... بكلانوف، ترجمة: احمد حسان
١٨ ـ الاقتصاد السياسي غير الماركسي المعاصر ـ الجزء
الثاني .... مجموعة كتاب سوفييت، ترجمة: عصام الخفاجي



صدر عن مركز الابحاث والدراسات الاشتراكية في العالم العربي

١٩ ـ التأريخ الاقتصادي لعصر الامبريالية
ـ جزءان، . . . . ف. بوليانسكي، ترجمة: عبد الاله النعيمي
٢٠ ـ الحركة العمالية التونسية ١٩٢٠ ـ ١٩٥٧ . . . . . . عبد الحميد الارقش
٢١ ـ نقد علم الاجتماع البرجوازي . . . . ترجمة: رجاء احمد
٢٢ ـ نتائج عملية الانتاج المباشرة (الجزء المجهول من رأس
المال) . . . . كارل ماركس، ترجمة وتقديم: فالح عبد الجبار
٢٣ ـ جدلية العلاقة بين مبدأ التطور ومبادىء وحدة العالم
والتشارط المتبادل والتعاكس العام . . . . د. نمير العاني
٢٤ ـ وحدة النشاط الايديولوجي والتنظيمي للحزب الشيوعي . د. حميد بخش
٢٥ ـ نقد نظريات الاقتصاد العالمي
(جزءان) . . . . توماس ستش، ترجمة: عبد الاله النعيمي
٢٦ ـ منطق ماركس . . . . ف. يندريش زلني، ترجمة: ثامر الصفار
٢٧ ـ الامبريالية والاقتصاد العالمي . نيكولاي بوخارين، ترجمة: رجاء احمد

٢٨ ـ وجهات في النظر . . . . جون برجر، ترجمة: فواز طرابلسي
٢٩ ـ تناقضات ومآزق، دراسات في الاقتصاد
الاشتراكي والمجتمع . . . . يانوش كورناي، ترجمة: عبد الاله النعيمي
٣٠ ـ الثقافة الروحية والتفكير الجديد . . . مجموعة من المؤلفين السوفييت، ترجمة:
رضا الظاهر
٣١ ـ قراءات في ازمة اوربا الشرقية . . . . ستش، راكيتسكي، لوكاش
٣٢ ـ فرضيات حول الإشتراكية . . . . فالح عبد الجبار

هذا الكتاب

شاعر بشرط الحساسية الشعرية، ومفكر بشرط التعمق والاحاطة ومثقف كوني يعتزل الناس دون ان ينقطع عنهم لانه يقف بهواجسه الانسانية الكثيفة خارج مطالب الحياة اليومية وهموم الجسد. وفي اعتداده بسلطته الثقافية فهو يقف نداً للحاكم ورجل الدين وصديقاً للمخلوقات الضعيفة من بشر وحيوانات ومناهضاً للعدوان من أي مصدر جاء.. وبقوة وعيه الشمولي لم يوفر أحداً من نقده: المؤسسات الحاكمة على اختلافها، الاديان كلها، المجتمع البشري بأجناسه الشتى، ونظام الطبيعة الذي يتهمه باللاعقلانية واللاعدل.

وفي هذا الكتاب خلاصة تتجسد فيها تلك الأمثولة الاستثنائية استمدها المؤلف من اللزوميات واستخلصها بمنهج اصطفاء معاصر جرى فيه على نهج ادونيس في عمله الكبير «ديوان الشعر العربي».. مع ان هذه المنتخبات لا تضم الشعر بما هو شعر وإنما الشعر بما هو فلسفة. ولو انه يبقى شعراً بحساسيته الفنية العالية.

ارفقت النصوص التي تناهز الالف بيت بدراسة معمقة للظاهرة المتفردة التي عبرت عنها اللزوميات من خلال ارتباطها بسيرورة تطور المجتمع الاسلامي الذي كان قد ناهز في عهد اللزوميات ذروة صعوده ومن ثم بداية انتكاسه. وقد عرضت الدراسة لشتى مناحي هذه الظاهرة بمنهج علمي صارم ينطلق من المادية التاريخية في أفقها الواسع الذي ينفتح على مختلف عناصر الحقيقة في المناهج الاخرى.

كتاب للمعرفة الهادفة والثقافة المعتزة بسلطتها.

هادي العلوي

مركز الابحاث والدراسات الاشتراكية في العالم العربي